إنَّ معَ العُسْـرِ يُسْـراً

(منْ اغتيال فردٍ الى اغتيال أمـة)

التغريبة

في شبه ذكريات ومذكرات

د. أحمد سليمان الأحمد

إنَّ معَ العُسْرِ يُسْراً

(منْ اغتيال فردٍ الى اغتيال أمة)

التغريبة

في شبه ذكريات ومذكرات

الدكتور

أحمد سليمان الأحمد

الطبعة الاولى - ١٩٩٢

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

٩٢٨و١
٣٨٤ الاحمد ، أحمد سليمان
التغريبة في شبه ذكريات ومذكرات/
احمد سليمان الاحمد . بغداد : دار الشؤون
الثقافية العامة ، ١٩٩٢ .
٢٤٠ص ؛ ٢٤سم
١ ـ الاحمد ، أحمد سليمان (شاعر سوري)
أ . العنوان
م .و
١٩٩٢/٦٦٧
المكتبة الوطنية (الفهرسة أثناء النشر)

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

أردنا الراحة
وأرادت المقادير التعب

يوم الاثنين ٢٣ تموز ١٩٩٠

غادرْتُ باريس بالسيَّارة يصحبني رفيقان ، في رحلة امتَّدتْ أربعة أيام ، توقفنا خلالها في ألمانيا والنمسا ويوغوسلافيا ، بينما كانت وجهتنا صوفيا. وتوجهتُ رأساً الى القرية الجميلة الهادئة القائمة على حدود العاصمة البلغارية ، والتي تملك زوجتي فيها منزلًا ريفياً ذا حديقة مزروعة بشتى الثمار والخضار. وعلمْت أن اللصوص سطوا ، أثناء غيابنـــا ، على المنزل ، وســرقوا كلَّ ما جمعناه في حياتنا من ذكريات ، من البلدان التي زرناها واخترنا منها ـ حسب طاقتنا ـ ما تتميز به هذه البلدان وما تشتهر به من الأعمال الفنية. أجل ، لقد انتقلت بلغاريا دفعة واحدة من بلدٍ بوليسي رهيب ، للشرطة أن تتدخل في أدقّ الخصوصيات ، وفي الشؤون الحميمية ، الى بلدٍ فوضوي ، مباحة فيه السرقة فإذا راجعْتَ الشرطة هزُّوا أكتافهم وأفهموك ـ في تسليم كامل ـ أن السرقات قد طغت حتى ليس لديهم الوقت ولا الرغبة ولو بمجرد تسجيلها. وفي هذه الزيارة لبلغاريا فهمْتُ ان المجرم حمزة الحجي الذي حاول اغتيالي قد غادر صوفيا في ثاني يوم الجريمة ،

على عجل ، والتحقَ بعمله كرقيب لدى رئيسه « الحوري » في المخابرات السورية وشوهد مراراً ، والناس ورؤساؤه ينظرون إليه باحتقار واشمئزاز ، الناس لأنه أقدم على اغتيال شاعر سوري ومناضل له مكانته ومحبته في الميدانين ويمثِّل أملًا من آمال انقاذ سورية واستقرارها وتوجيهها ، ورؤساؤه لأنه لم ينجح في تنفيذ عمليته النجاح التام إذ ما زال هذا الشاعر والمناضل حياً يكتب ويخطب ويجابه.

ويوم **الخميس ٢ آب ١٩٩٠** أعلمتنا إذاعات العالم أنَّ الجيوش العراقية تدخل الكويت. إنها بداية عهد عربي وربما عالمي جديد. ولا يمكن التنبؤ بمسيرة هذا العهد.

ويوم **الاثنين ٦ آب** تبدّتْ أدوار عربية أخطر من دور السادات في كامب ديفيد ، تغطي عملية احتلال الأميركيين وكل الدول الإستعمارية القديمة ، والمرتزقة ، للأرض العربية ، وللسعودية على وجه التخصيص. ويبرز التناقض بين تصرفات وتطبيقات السياسيين العرب والأجانب المتورطين في الخط الامبريالي الصهيوني ، كأن يعلن بطرس غالي بأن مصر تعمل جهدها لعدم انقسام العالم العربي الى قسم يؤيد العراق وآخر يؤيد الكويت ، مشدِّداً على عروبة الحلّ ، وبين غطاء مصر لاستقدام كل مَنْ هبَّ ودبّ من قُطّاع الطرق والسفّاحين والمستنزفين لشرايين العرب البشرية والاقتصادية.

ويوم **الثلاثاء ٧ آب** كنتُ أُقلب بعض الكتب في ما تبقى من مَكْتَبَتي وقرأتُ بالإسبانية ما كتبه الشاعر التشيلاني بابلو نيرودا عن الاتحاد السوفياتي أثناء زيارته الأولى لهذا البلد عام ١٩٤٩ ، في الذكرى المئوية لوفاة شاعر روسيا الأكبر ، الكسندر

بوشكين. أية أحلام لم تتبخَّرْ حتى جثمت على صدورنا ضباباً من شحوم ، ودخاناً من حرائق نفطية.

وأهرب من هذا الجو الخانق ـ ولو في التصور ـ الى الطبيعة. الى شجرة التفاح ، وأختها شجرة الكرز. وأسقي جذور شَتْلَةِ طَماطِم ظامئة من البئر السخية النقية في حديقة منزلي الريفي. ونسيمٌ برودٌ يهب على دفعات مفاجئة فنستقبل مفاجآتها وكأنها حبيب غائب أطلّ على غير موعد. أما آن الأوان كي أحقق حلمي القديم المتجـــدد : أن أنسحب الى الريف !. لقـد أردتُ هذا مبكـراً كما صرَّحتُ لإحدى الصحف السورية عام ١٩٦٧ كما أذكر ، ولم يتحقق حلمي إلّا لفترة قصيرة ، فهل يتحقق ، ولو متأخراً ، في خاتمة المطاف.

أستريح ولكنَّ أخبار الإذاعات هي هنا. تعلن عن نفسها بقوة. وتعلن الجمهورية في الكويت. ثم إتحاد هذه الجمهورية الوليدة مع الجمهورية ـ الأُمّ ، العراق. ولكنَّ حسني مبارك ألقى خطاباً متخاذلًا أمام الأميركان ، أعاد الى الأذهان أنور السادات ، وخوَّف العراق من ضربة مدمِّرة ، والعرب يتفرجون إنْ لم يكونوا يُسْهِمون في صفوف المعتدي بجريمة التدمير.

وتتوالى يوماً بعد يوم أحداثُ مثيرة عجيبة دون أن يكون لنا فيها حظٌ إلّا السماع. وهكذا تتصاغر الولايات المتحدة بجبروتها أمام سورية وإيران كي تَسْتَجِرَّهُما الىٰ الحِلْفِ الجهنمي في صف إسرائيل. وتجد الولايات المتحدة كل التجاوبْ من البلـــدين الثوريين ، أحدهما باسم العلمانية ، والآخر باسم الأصولية الدينية ، ولكنهما يُقدِّران ، كُلٌّ حسب ظروفه وأسلوبه ، طريقة التعبير عن هذا التعاون ، حتى ينكشف إذعاناً ذليلًا أو تآمراً قديماً

متجدداً ، حين يتأكد أنه لن يكون هناك صوت مرتفع يحاسب. وأخذنا نَفْزَعُ مِنْ إذاعة مصر العربية الى إذاعة إسرائيل والولايات المتحدة فقد كانتا أقلَّ انحيازاً لِنَفْسَيْهِما من إذاعة مصر لهما. وأصغينا ، وسط الضباب الخيالي ، الى بريق وطنية وقومية ومنطق وواقعية ينبثق من تونس على لسان رئيسها زين العابدين بن علي ، وفيه يشير الى أنَّ المؤتمرين العرب في القاهرة لم يتطرقوا الى المشكلة الرئيسية وهي احتلال أميركا للسعودية والخليج. وقامت مظاهرات ضخمة في الخرطوم تشجب وجود القوات الأميركية في الجزيرة العربية ؛ وفي قسنطينة وغيرها بالجزائر كانت الهتافات تعلو : بالروح والدم نفديك يا عراق.

وشهدْتُ في هذه الأثناء جلسة عاصفة في المجلس النيابي البلغاري. إنهم يتخبطون ولا يجدون مخرجاً. وأخشى عليهم من التغلغل والتسلط الصهيونيين

وسمعْتُ حديثاً من إذاعة فرنسا الدولية للوزير الفرنسي الأسبق ميشيل جوبير يدعم فيه موقف العراق ويقول : إن الكويت ليست إلّا بئر بترول. وان جزيرتي وربة وبوبيان غير مأهولتين وكان بإمكان الكويت تأجيرهما للعراق.

وسمعْتُ في الإذاعات ان فرنسا باعت لأميركا أسرار أنظمة الأسلحة التي اشتراها منها العراق. ونسج الاتحاد السوفياتي على منوال فرنسا. وجرى تكذيب خجلٌ لهذه الأخبار ، ولكني أعتقد أن الخبر غير مستغرب على أخلاق حكاّم الغرب وما كان يدعى بالشرق.

وفي الأخبار أن رئيس الجبهة الوطنية الفرنسية ، جان ماري لوبين ، أيَّدَ ضَمّ العراق للكويت ، في حين بذل فهد وجابر ملياراتهما

لتأليب العالم على العراق ، ولو بذلا جزءاً من هذه المليارات لصالح العراق والعرب عموماً لأمِنا على نفسيهما وثرواتهما. أما الدول الغربية فتحت سلطة الولايات المتحدة ، ومَنْ لم يكن كذلك فتحت سلطة عقليته الإستعمارية القديمة.

من صوفيا الى باريس
من جديد

كانت الأخبار تتلاحق بسرعة ، ولم أعد مرتاحاً الى انعزالي وجمودي في ريف صوفيا ، فقرَّرْتُ العودة ، بالسيَّارة ، الى باريس في صباح الجمعة ، الرابع والعشرين من آب ١٩٩٠.

وفي الخميس ، ٣٠ آب ، سمعنا وقرأنا تحذير آرينز ، وزير الحرب الإسرائيلي ، الموجه الى الولايات المتحدة ، كي لا تخرج من السعودية قبل تدمير العراق. فأعطى ، بوضوح ، معنى ومغزى كل هذه الحملة المسعورة.

وفي السادس من أيلول كنا نستمع ، مع أستاذ جامعي فرنسي وزوجته ، في منزلنا الى مقابلة صحفية على التلفزيون مع الرئيس الفرنسي. وعلَّقنا على ذلك بالأسف لهذه الكيفية التي يفقد بها المسؤول المنطق عندما يتبع هواه ، أو يخضع للضغط الصهيوني.

وفي الثامن من أيلول وصل بوش وغورباتشوف الى هلسنكي. وتدلُّ التحليلات على أنَّ غورباتوشف ، قبل الاجتماع ، مستسلم لما سَيُمْلِيه بوش ، وغدا الاتحاد السوفياتي تابعاً ، مثل أقل دولة ، لأميركا ، وبدا بوش وكأنه مالك العالم. إنَّا نمدُّ له في الضلالة مدَّاً.

وفي الأربعاء الثاني عشر من أيلول يواصل حافظ الأسد كتابة سجلّ خيانته بإرسال عشرين ألف جنــدي سوري الى الخليج ، ويُلْقي بوش خطاباً يَدُلُّ مرةً جديدة على ضحالته وتفاهته وتفاهة المصفقين ، فقد كان همه أن يبلِّغَ الأميركيين بأنهم لن يدفَعوا تكاليف هذه الحرب بل غَيْرُهم من الأغبياء والخونة.

وسجَّلْتُ رسالة حقيقة وتذكير الى شعبنا وجيشنا في القطر العربي السوري ، على أشرطة فيديو وراديو ، وأرسلنا نسخاً منها الى جهات عديدة ، بما فيها داخل القطر ، والعراق الصامد الأبي. وهذا نصُّ الكلمة :

[تمرُّ منطقتنا ويمرُّ العالم بأحلك اللحظاتِ التي عرفها تاريخ المنطقة والعالم ، متجاوزةً بأهوالها الحرب العظمى وجميع الأشباح الرهيبة التي أناخت على دنيانا في العقود الأربعة الأخيرة. ومردُّ كل ذلك ـ وربَّما مردُّ كل شرٍّ في حياة جيلنا والأجيال التي تلينا ـ الى تكالُبِ الامبريالية والصهيونية على مواقعنا الاستراتيجية وعلى ما تحتويه أرضنا من ثرواتٍ نفطية ومعدنية وطاقة بشرية ، ومدى ما يهمُّ الامبريالية والصهيونية أن نبقى دون قوة تدافع عن هذه الأرض بما فيها ، عاجزين ليس فقط عن استرداد ما استلبوه منَّا ، بل عاجزين عن الوقوف في وجه أيِّ استلاب جديد. وزاد في تأزيم الأمور وتعقيدها أنَّ هناك شعوباً أصبحت رشيدةً ، حيوية ، وانه انبثق عنها قيادات حكيمة قادرة ، وأننا أدركنا مدى دورنا تجاه أنفسنا وتجاه العالم.

وعندما أخذ العراق الشقيق على عاتقه أن يكون دِرْعَ الأمة العربية وسيفها ، وعقْلَها المبدع ، واندفع في طريقٍ حضارية هي طريق الأجداد الأمجاد منذ السنى الأوّل الذي شعَّ في مكة المكرَّمة

وحمله تلامذة النبي العظام ، والمهتدون بتعاليمه ، في زهوة المجد والتمدين ، ما كان للامبريالية العالمية وأعلى مراحلها الصهيونية ، بكل ما تملك من أجهزة التجسس والتخريب والإفساد والتضليل ، يساعدها في ذلك أشباه رجال باعوا أنفسهم ووطّنوها على الخيانة في سبيل مصالحهم الزائلة التي هي ، في كل الأحوال ، بيد المستعمِر والعدو الصهيوني ، نقول : ما كان للامبريالية والصهيونية إلا أن تُجَيِّشا كلَّ آلتهما العدوانية ضد العراق المتمثلة فيه آمال الأمة العظيمة وثقتُها المكينة وإيمانها الذي لا يتزعزع باليوم العزيز المنيع والغد الأعز الأمنع.

وهكذا قُرِعَتْ طبول العدوان الفظ الصفيق ، وطبولُ الدعاية المضلِّلة بأساليبها الوقحة ، التي تحمل على الرثاء ، حزناً على تفاهة العقلية التي يمكنُ أن تسيطر في كثير من رؤوس القائمين على قيادة جزء كبير هام أو غير هام من هذا العالم.

ونهض العراق الشقيق ، بكل شموخ العروبة والإسلام ، في بنيانه الروحي والمادي ، متصدياً لهذا العدوان ، بل لهذه الهمجية الصليبية الجديدة المسعورة التي تريد أن تبيح فلسطين كلها ، والكثير من بلاد الشام ، لموجة معتدية ترفع كيانها على التفنُّنِ في قتل الأطفال والنساء والشيوخ ، واضعة نصب عينيها ثروة الوطن العربي ومياهه ؛ وسيجد المتآمرون أنفسهم مطية غبية وخيانية لهذه الصليبية الجديدة ، والتعبير ليس لنا ، بل لوزير خارجية فرنسا الأسبق ، ميشيل جوبير الذي خاطَبَ مُواطنيه المعتدين الغربيين بالحرف الواحد ، وفي المجلة اليمينية « الفيغارو ماغازين » الصادرة في أول أيلول ـ سبتمبر من هذا العام ١٩٩٠ : « إذا كانوا (أي الغربيون والأميركان) يريدون

الحرب الصليبية فَلْيُعْلِنُوها دون موارية ! ».

وانتقد الزعيم اليميني ، جان ماري لوبين ، فرنسا على أنها تريد الحرب لصالح إسرائيل. وذكرت الصحافة العالمية بما فيها صحافة قَطَر وحتى صحيفة النجم الأحمر « كراسنايا زفيزدا » العسكرية السوفياتية أنَّ هناك إسرائيليين كثيرين في صفوف الجيش الأميركي. كما ان الأميركان ، في هذه الفوضى والإستسلام العالميين ، حملوا معهم نُفاياتهم المُشِعَّة التي كانوا لا يجدون مكاناً في العالم لدفنها ، ولو بأبهظ الأثمان ، وهم الآن يدفنونها مجّاناً في الأراضي السعودية غيرَ بعيد من قبر الرسول الهادي صلواتُ الله عليه ، ومن الكعبة الشريفة التي يؤمُّها في كل عام ملايين الحجاج من كل أنحاء المعمورة ، ولم يعودوا بمأمن من انتشار هذه الأشعة القاتلة وتلويث الجو الى أجيال وأجيال.

ونداؤنا ، ونداءُ التاريخ والحاضر والمستقبل إليك ، أيها الشعب العربي السوري ، أيها الجيش العربي السوري الذي هو وارث أجنادين واليرموك ، وبطولة ميسلون ، والتصدِّي دوماً للآجنبي الغازي ، سواء في بطاح الغوطة أو جبال العلويين ، أو جبل الدروز وحوران ، أو سفوح الشهباء ، وكل بقعةٍ مجيدة من هذا البلد الذي عوَّدنا على أن يكونَ دوماً في طليعة مَنْ يستجيبون لنداء العزَّة والكرامة. أنْتَ الآن أيها الجيش الوطني الذي أذلَّـكَ حكامك يوم فرضُوا عليك الهزيمة أمام الصهاينة كما فرضوها على شقيقك الجيش المصري ، وتنازلوا عن أرض عربية سورية حصينة غالية وسكتوا سكوتَ أهل القبر ، سكوتَ مَنْ ماتت المروءةُ في قلبه ، عن ضمِّ الجولان التاريخية الى الكيان الصهيوني ، وعن تغلغل الصهاينة في لبنان مستهينين بوجودك هناك ـ كما زعم الحكام ـ

للحفاظ على لبنان وإشاعة السلام في ربوعه. وها أنْتَ الآن تقف في خط واحد ـ وليكن هذا واضحاً لكل جندي عربي سوري شريف تجري في دمائه نخوة ابن الوليد وهنانو والعلي والأطرش والأشمر والقسَّام. أجل أنت الآن يا جيشنا العربي السوري في خط واحد مع الجندي الإسرائيلي ـ ولْيشْهَد الله أنَّ هذا هو الواقع الذي أنت فيه الآن ، والذي أراده لك حكامك ، وذلك لضرْب العراق ، واستعباد العرب من جديد ، الى جيل وأجيال لا يعلمها إلا الله. والله وحده يعلم كم سيكلف هذا جيلنا والأجيال القادمة من عذابٍ وذلٍ ، ودم وقهر ، وإفقار وإذلال ، وموت زؤام.

يا أبناء الوطن وجنوده

هذا هو الواقع المخزي الذي أوْجَدَنا حُكَّامنا فيه : الجولان بُتِرَتْ من أرضنا العزيزة وضمَّتْ الى إسرائيل ، ناهيك بالقدس الشريف وبالأرض المحتلة. ولا يعلم إلا الله دورَ مَنْ سيأتي غداً ، وأي قطعة أو مدينة ، أو نهر ، أو عاصمة عربية سينالها البَتْرُ من جسد أمها ، والضمُّ الى سيطرة عدوها.

هذه هي حالُ أرضنا. بينما ترابط كتائب من جيشنا في خندق واحد مع العدو الصهيوني على أرض نجد والحجاز وهَدَفُها ـ بإشارة من هذا العدو ـ تحطيم القدرة العراقية ، الضمان الفعلي الأول على تحجيم إسرائيل وإرتدادها عن الأراضي المحتلة ، وفكِّ أسر الجولان. ونداؤنا هذا يتوجه في الوقت نفسه للجيش المصري والمواطن المصري ، ولا نريد لجيشينا أن يُوَجِّها حرابَهُما الى ظهر العراق البطل ، محرِّر الأمة ، كما فعل العبد وحْشِيّ عندما وجَّهَ حريته غدراً الى ظَهْرِ حمزة البطل ، فارس الإسلام ، محرِّر العبيد.

وإلا فهل يدورُ في خَلَدِ عاقل في الدنيا أنَّ كلَّ هذا التجييش ،

والإجلاب ، هو من أجل الدفاع عن السعودية ، وما مِنْ أحدٍ في الدنيا يهدِّدُها إن لم تكن تصرفات مسؤوليها اللا مسؤولة والقصيرةُ النظر ، حتى لاعْتَرَفَ بذلك وزير الخارجية السوفياتي ـ وهو من هو قُرْباً من واشنطن ـ إذ أشار الى أن حجم القوات الأميركية والغربية في السعودية والخليج لا يعني الدفاع عن السعودية وإنما العدوان على العراق.

أيها الشعب. أيها الجيش

إن الآلة الامبريالية الصهيونية الأميركية كما نقرأ حتى في صحف الغرب المؤازرة حكوماتُهُ لهذه الهجمة الصليبية ، تهدف ـ حرفياً كما ننقل من هذه الصحف ـ الى ضرب العراق وليس للدفاع عن السعودية ، وليس لتحرير الكويت. إنها تريد الحيلولة دون أن يمتلك العراق ـ ومعه العرب ، التكنولوجيا العالية بما فيها الوصول الى السلاح الذري ، ومن أجل شق الطريق وتعبيده أمام إسرائيل الكبرى. وشعارُ هذه الحرب : من أجل إسرائيل. من أجل البترول !

ومع ذلك فالولايات المتحدة الأميركية تريد أن تأكل الكستناء ـ كما يقول المثل الغَرْبي ـ دون أن تحرق أصابعها بل كي تأكل الكستناء : لتحترِقْ أصابع السوريين والمصريين والبنغلاديشيين والسنغاليين والباكستانيين وأمثالهم من الشعوب الدنيا حسب المفهوم الصهيوني الغربي.

ولن تكتفي الولايات الم[illegible] بذلك ، بل سوف تُغالي في استهانتها بهذه الشعوب وإزدرائها لهم فتحمل دول النفط العربية على دفع الحساب لشذَّاذ الآفاق من الأميركيين والصهاينة ، المجرمين ، المدربين ، والمدمنين ، والبغايا ، وحاملي

الايدز وحاملاته الى المنطقة.

وللتدليل على هذه العقلية الإجرامية على مشارف القرن الحادي والعشرين يصرِّح حاكم الكويت الفارّ انه سيصرف ثروة الكويت جميعها من أجل إستعادة قصره. وكأن ثروة الكويت لم تُخْلَقْ إلا لهذه المهمة الحقيرة والمستحيلة بإذن الله وإرادة الأمة.

أيها العرب أينما كنتم

إنَّ أية محاولة تستهدف تغطية الإحتلال الأميركي للأراضي العربية والإسلامية المقدَّسة هي محاولة مفضوحة تندرج تحت عقاب النارين : غَضَبِ الله العلي العظيم ، وغَضَبِ الشعب لِأعَزِّ ما يملك من قيم روحية وقُدْراتٍ مادية. وإن موقف النظام السوري ـ رغم عدم إستغراب أي شيء يصدر عنه ـ لَمِنْ أعجب وأغْرب المواقف وأكثرها تناقضاً مع التقاليد العربية السورية التي حاربت كل إستعمار ، ورفضت كمب ديفيد ، وها هو ، هذا النظام ، أول مَنْ تجنَّدَ تحت هذا اللواء البائس الشقي ، ليس فقط ليعترف بكمب ديفيد وبما نتج عنه سراً وعلناً ، بل لِيتَجَنَّدَ في صفوف العدوان الإسرائيلي ؛ دون أن يسمح للشعب السوري حتى بالتظاهر كما حصل في الجولان ، وكما أشارت الصحافة العالمية.

إنَّ الحزب الوطني الديمقراطي ، من موقع المسؤولية التاريخية ، من موقع عقودٍ قضيناها نضالًا في سبيل استقلال الوطن ، وجلاء الأجنبي الدخيل ، ثم في سبيل البناء ، ثم في سبيل الحرية ، ثم في سبيل العزّة ، يُهيب بكل مواطن وبكل ضابط وبكل جندي ـ وباستطاعتنا أن نتوجه الى قادة ومناضلين بأسمائهم ولكنهم يعرفون أنفسهم ، ولسانُ حالهم قول الشاعر :

إذا الناسُ قالــوا مَنْ فتىً خِلْتُ أنني
عُنِيتُ فلم أكســــــل ولم أتبلَّــــــدِ

إننا نهيب بالمواطنين السوريين وبصرف النظر عن كل ميول سياسية وحزبية ، إذْ في زحْفِ العاصفة تزول الحدود ولا يكون حياد ، ونناشد كل شريف ومناضل ، كلَّ وطني ، كلَّ واعٍ تهمُّهُ مصلحة بلاده ومستقبل أبنائه ، أن يقوم بدوره ، ولِكُلٍّ دَوْرُهُ ، لكي نستعيد قوَّاتنا المتواجدة في السعودية باسْمِ المصالح الإسرائيلية الأميركية ، ولكي تتخذ سورية موقفاً قومياً تجاه الشقيق العراق ، ويكون ذلك بمقاومة تُقَدِّرُ الجماهيرُ وطلائعُها الشريفة شَكْلَها وأسلوبَها ، ونُنَاشد حتى المرتكبين من جماعة النظام القائم أنَّ هذه فرصتهم الذهبية للتوبة والتكفير عن كل ما اجترحوه حيال شعبهم وأمتهم. وإنَّ على جيشنا أن يرفعَ حالة التأهب فيه الى الدرجة القصوى على الحدود مع الصهاينة ، وأن تكون الإصبع على الزناد راصدةً أي تحرك صهيوني ، وأن تنفتح الحـــدود مع العراق الصامد ، وأن تسيل الأنابيب على ساحلنا السوري بالنفط العراقي مُتحدِّين الإرادة الصهيونية الأميركية ، وسنرى عند ذلك كيف يتضاءل المنتفخون بما حَشَوْا به جلودهم من ذلنا وتصاغرنا وانصرافنا عن حَقِّنا واستسلامنا لباطلهم.

إنَّ الحزب الوطني الديمقراطي في سورية الذي هو بالأصل لجان ثورية نضالية تحريضية معبِّرة عن الإرادة الحقيقية للشعب العربي السوري المغلوب على أمره، ليقف بكل ما يملك من طاقات روحية ومادية في خندق العراق العظيم ، ويدعو جيشنا أن لا ينسى الجولان والقدس الشريف والأراضي المحتلَّة وأن ينسِّق مع جيش

الأردن الوطني الكفء ، وأن يَهبَّ الى نصرة العراق ، الآن ، قبل اندلاع النار التي ستحرق مُشْعِليها من الصهاينة والامبرياليين بإذن الله. [فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمِّ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين] صدق الله العظيم.

ويحيي الحزب شعبنا وقادته في تونس والجزائر والأردن وفلسطين وليبيا واليمن والسودان وموريتانيا ، مناشداً إيَّاهم تصعيدَ موقفهم القومي وتكثيف نضالهم من أجل نصرة العراق ورفض الإستعمار الجديد والتآمر الصهيوني المسعور على استقلال الأمة وثرواتها ومقدَّساتها ، بل على وجودها أصلًا. والى هذا ندعو شعبنا في الجزيرة العربية وأرض الكنانة والمغرب. ونسأل الله أن يجنِّب المنطقة والإنسانية أهوال حرب مدمِّرة يفرضها أعداء الإنسانية بكل الاستخفاف بحياة الآخرين. ولكن إذا لم يكن ثمة مناص ، فاللّهَ اللّهَ أيها العرب والشرفاءُ في العالم كافة ، وأيها السوريون خاصةً ، أن تقولوا للعراق كما قال بنو إسرائيل لموسى : « فاذهب أنت وربُّكَ فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون » أو تقولوا للعراق كما يقول بعض الخونة والعملاء من عرب ومن عالم ثالث : « فاذهب أنت وربُّكَ فقاتلا إنّا ضدَّكما مُقاتلون ». ولكنْ لنهتف ونحن نتقدم معاً : « إذا كان القتالُ مفروضاً عليك يا عراق ، ياقلعة الصمود والهدى ، فاذهب أنت وربُّكَ فقاتلا إنّا معكما مقاتلون ».

والله أكبر. والعزَّة لله جميعاً.

والنصرُ للمستضعفين في الأرض.

المنفى الجديد

وفي السبت ، الخامس عشر من أيلول ، أعلن ميتران ، رئيس فرنسا ، أنه سيطرد الملحقين العسكريين العراقيين ومَنْ يمثلون خَطَراً على الأمن الفرنسي. وأصْغَيْتُ إليه ولم أكن أتصور أني أنا وعائلتي بين هؤلاء ، إذ لم أكن في أيٍّ من هذه الفئات التي قرَّر الرئيس الفرنسي الحريص على أمن فرنسا ، إبعادها. ولكنَّ السفير العراقي اتَّصَلَ بي مساء ذلك اليوم ، مؤكداً ضرورة مغادرتي الأراضي الفرنسية مع أسرتي قبل أقلَّ من أسبوع من هذا التاريخ.

ضاقت الدنيا في عينيَّ. أين سأذهب بنفسي وبأسرتي. وكيف سأتوصل الى تصفية أموري خلال أربعة أيام. وأيّ بلد يمكن له أن يستقبلني ، وليس بوسعي الذهاب الى العراق. وإذا كنت أتحمَّلُ ذلك ـ وكان هذا قدري ـ فهل ستتحمله زوجتي وابنتي وهما بلغاريتان. بل أن الإخوة العراقيين نصحوني بعدم الذهــاب الى بغداد إذ لن يكون لديهم الوقت أو الإمكانية للإهتمام بي. وأنا رغم ان بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان ، ليس لي أقارب هناك ، وليس لي سكن ، وسيكون كلٌّ من إخواني مشغولًا بنفسه وأهله ووطنه عني. ولم أعد شاباً ، ولستُ قادراً على حمل السلاح ، بل على تحمُّلِ نقص الدواء والغذاء.

كان هذا التفكير يعذبنا ويلحُّ علينا بسوداويته. لم نعد في عُمْرٍ يخوِّلنا أن نُطْرَدَ من مطار الى مطار ، ولا أن نقضي الساعات وربما الأيام في الإنتظار في بَهْوِ هذا المطار أو ذاك ريثما يوجهوننا الى مطار آخر ، ولربما فطنوا الى أني سوري فوجَّهُوني الى دمشق ، وإن كان يطمئنني أني أحمل جواز سفر لبلد آخر. وصدق مَنْ قال : اشتدِّي أزمةُ تنفرجي !. كانت زوجتي لم يغمض لها

جفن طوال الليل وهي تفكّرُ وأخيراً وَجَدَتْها : سنحاول مع السفارة البلغارية فقد يُعْطُونَنَا تأشيرة دخول فورية ـ إذ كانت التأشيرة تقتضي انتظار عشرين يوماً وليس أمامنا مثل هذا المقدار من الأيام وذكرْنا أنَّ لديَّ إقامة دائمة في بلغاريا فلعلَّ القنصل يأخذ هذا بعين الإعتبار. وحملت زوجتي جواز سفري وبطاقة الإقامة البلغارية وذهبت الى القنصل ، وبقينا ننتظرها في سيارتي مع مرافقيَّ. وبعد وقت غير طويل خِلْناهُ دَهْراً ـ كما يقولون ـ لاحت لنا مبتسمة ابتسامة السعادة. وهكذا عرفنا أن مهمتها كُلِّلت بالنجاح ، وأن بلغاريا ما زالت لي وطناً ثانياً في النعماء والبأساء.

كانت السفارة العراقية قد طلبت من الخارجية الفرنسية السماح لنا بتجاوز حدود باريس ـ التي غدا تجاوزها محرَّماً على الدبلوماسيين العراقيين ، قاصدين مطار « اورلي » للمغادرة. وجاءت الموافقة في اللحظة الأخيرة ، مع إمكانية توصيلي بسيارتي الى المطار مِنْ قِبَلِ مُرافِقِيّ. ولم يُوَدِّعْنَا أحدٌ إلا صديق سوري وزوجته. وعلى المطار الفرنسي أخذوا جوازي وجواز زوجتي ولم يعودوا بهما إلا قبل انطلاق الطائرة بدقائق كي يحملونا على الهرولة الى الطائرة ويستمتعوا بهذا المنظر.

وصلنا صوفيا في العشرين من أيلول ، وكان على المطار بانتظارنا أقارب زوجتي ، وذلك الصديق البلغاري الذي كان يودعني على هذا المطار في التاسع عشر من كانون الثاني من هذا العام عندما هاجمني قتلة السفارة السورية.

استقبلتنا صوفيا بوجه كامد ، حزين ، يكاد يكون مظلماً. المعيشة لم تعد متوفرة ، والناس يلهثون حقاً وراء اللقمة ، ويقفون صفوفاً ممتدَّة أمام أي مخزن ، ويعود أكثرهم مع ذلك بخفَيْ حنين ،

ويا ليته يَتوفَّرُ له الخُفَّان. وأخذت حوادث السرقة تزداد ، وقد عاث اللصوص مرات متواصلة بمنزلنا الريفي وسرقوا كل ما استطاعوا حَمْلَهُ ، بعد أنْ سَرَقَ متقدموهم ما خَفَّ وغلا. أما القتل فلم يعد حالة شاذة. وبدا البلد وكأنه في فوضى شاملة. لا أمن ، ولا نظام ، ولا حكومة ، ولا غذاء ، ولا دواء ، ولا كهرباء ، إلا في الحدود الدنيا. وتبارت الإذاعة البلغارية مع الإذاعات العالمية في التهجم على العراق. كان كلٌّ يريد أن يبيِّضَ صفحته أمام أميركا. وبارى المستشرقون البلغار زملاءهم المستشرقين السوفيات في تسفيه إدعاء العراق بالكويت. وَبِلُغَتِهِمْ البالِغَةِ الرَكاكة ، السقيمة جداً كَزُملائِهم السوفيات أخذوا يُعَدِّدون الشواهد على أن الكويت دولة قبل أن يسمع الزمن بالعراق. وبدا السفير الأميركي هو صاحب الشأن ، يتصاغَرُ الجميعُ أمامه ، وأخذت الوفود الغربية تتوالى. وكل وفد غربي يقيم من نفسه أستاذاً ، ومن المسؤولين البلغار ـ إن وجد مسؤولون ـ تلامذة مطيعين همهم السمع والإستفادة وحفظ الدرس حتى دون مجرد الإستفهام.

وعدْتُ الى العزلة في منزلي الريفي. وكنتُ أرى كيف يُشْعِلُون النارَ في حديقتنا بالورق والخشب وكيف يضعون عليها القِدْرَ ، فأتذكر قريتنا منذ خمسين سنة.

قرأتُ في مجلة « نوفيل اوبسرفاتور » الفرنسية أنَّ في فرنسا ألفاً وسبعمئة عراقي حتى من المعارضة ، محتجزون ، ولا تُجَدَّد لهم الإقامة.

وفي الثاني من تشرين الأول ارتكب الصهاينة مجزرتهم التي خلفَّتْ اثنين وعشرين شهيداً وثلاثمئة جريح في المسجد الأقصى ،

وفي التاسع من تشرين الأول أعلن العراق عن صاروخ « الحجارة » تكريماً ودعماً للإنتفاضة الفلسطينية المجيدة.

وفي العشرين من تشرين الأول صرَّح بيكر ، دون مواربة ، أمام ممثلي الكونغرس بأنَّ وجود الجيوش الأميركية في الخليج هو لأمن إسرائيل.

بيكر أضاف ان الولايات المتحدة ستطلق قمراً صناعياً ، هو أكبر الأقمار الصناعية ، للتجسس على العراق ، وانهم سيزودون إسرائيل بأسلحة ضد الصواريخ ، وحوَّامات. أما سورية فمشغولة بتأييد الياس الهراوي لها ، والشكر الذي أسداه للجيش السوري على مساعدته للرئيس اللبناني في سحق العماد ميشيل عون.

وفي السادس من تشرين الثاني قتل شاب مصري عدوَّ الله ميئير كاهانا في نيويورك.

وشيخ الكويت يعد الولايات المتحدة بمزيد من المليارات لإعادته الى مشيخته.

وقرأْتُ في مذكرات خالد العظم [وفي دمشق شاهدْتُ من المظاهرات الحماسية ما لا أنساه. فجمال باشا وأنور باشا مع انهما شنقا نحو ثلاثين زعيماً وطنياً واضطهدا العرب ، قوبلا بزغاريد النساء وحشود الأهلين تحت زخَّاتِ المطر المتواصلة].

وتابعتُ القراءة في هذه المذكرات : [ثم اسْتُقْبِلَ الجنرال غورو فاتح دمشق بشكل غريب غير منتظر ، إذ هجم شباب آل الطبّاع على مركبة الجنرال وفكوا رباط الخيل وجرُّوها ثم حملوها ، والجنرال ينظر الى هذا المشهد وعيناه لا تصدقان أن دمشق التي حاربته نحو سنتين تستقبله بهذا الترحاب والحماس] ص. (١٥٩).

وأقرأ : [وكان تاج الحسني ـ رئيس الدولة السورية الذي عينه الجنرال كاترو عام ١٩٤١ ـ مزوّداً من حكومة فيشي بمال وفير] ص. (٢٠٧).

لجنة الأربعين
أو ملف الأزمات الأميركية

وأعيد التأمل في أحوال الوطن. وأعود الى تحقيق نشرته « الوطن العربي » حول « ملف الأزمات الأميركية » أو لجنة الأربعين كما يطلق عليها ، وهي تناقش كيف يسقط حافظ الأسد [الوطن العربي ـ الجمعة ٢٤ آذار (مارس) ١٩٨٩ ـ باريس] وألاحظ أنَّ هذه اللجنة التي اتخذت أخطر التوصيات قد نجحت في بعضها ، وقد فشلت في البعض الآخر.

وأقرأ بعض ما علَّقْتُ على آراء اللجنة : [تعبير « سورية بعد حافظ الأسد»، يُخفي وراءه إرادة أَوْ رَغْبَة مشبوهة ، وهو ما أرادته لجنة الأربعين إنسياقاً مع سياسة الولايات المتحدة في دعم حافظ الأسد لمصلحة الصفقة المعقودة معه من أجل تنازل سوري مضمون أمام إرادة إسرائيل. وهذا ما يفسِّرُ ولو تفسيراً جزئياً ، غير كامل على الأقل ، موقف أميركا من ارتكابات النظام السوري غير المعقولة وغير المبررة ، والتي أجمع على شجبها القائلون بحقوق الإنسان ، في حين وقفت أميركا بكل وزنها للدفاع عنه ، وخنق الأصوات الإحتجاجية التي ترتفع ولو كانت من أقوى الدول الغربية أو غير الغربية.

[إن تعبير : ماذا بعد حافظ الأسد ، أو سورية بعد حافظ

الأسد ، استجابة أو تجسيد لآراء الخبراء الأميركيين الذين يفتحون ملفً سورية فقط في حالة وفاة حافظ الأسد. أي أنهم يستبعدون أي تغيير في السياسة السورية أو الحياة السورية ما دام حافظ الأسد حيًّاً. وبمعنى آخر ، فانهم يائسون من الشعب والجيش السوريين ومن المعارضة السورية ، واثقون من قوة حافظ وهيمنته على الوضع في الداخل ، وسيطرته على العاملين معه ، وكأنهم بذلك يَنْفُونَ حيوية الجماهير أو يتناسون المفاجآت الكثيرة في الحياة السورية والتي تعصف ، خلال لمحة ، بمنْ يعتقد المحللون الكلاسيكيون بأنه معمِّرٌ في الحكم بمقدار نَسْرٍ من نسور لقمان على الأقل.

إن تعبير سورية بدون حافظ الأسد هو التعبير الأصح وهو الشعار الذي يجب أن يرفع على نطاق الجماهير السورية ، وعلى نطاق المعارضة في الداخل والخارج.

[ربما كانت الأكثرية الصامتة التي أشار إليها تقرير الأربعين هي التي أراد الحزب الوطني الديمقراطي أن يكون لسانَها وذراعها. ولقد بدت مبادىء هذا الحزب وكأنها الأكثر ديمقراطية ومنطقية وواقعية ، أو كأنها الأكثر التصاقاً بالمرحلة وإصراراً وحيوية في حلً مشاكلها ، بالإضافة الى تصور وتخطيط واضحين للمستقبل. ولئن كنا نحن أنفسنا لا ندري بالتحديد مدى استقطاب هذا الحزب لهذه الأكثرية الصامتة فلا شك في أننا نستنتج أثره العميق البعيد في صفوف المواطنين ، وفي أوساط مَنْ بِيَدِهِمْ القرارِ على السواء ، من خلال ردَّات فعل النظام الهوجاء على شخصي كرئيس لهذا الحزب.

[ومن سجايا حافظ الأسد (وأخويه ومساعديه) أنه يعتمد سياسة الضمّ بالأحضان والإبتسامة الصفراء والخنجر المسدَّد الى الظهر في الوقت نفسه. ويبدو أنها سياسة بسيطة وناجعة معاً ، رغم سقمها وبؤسها وافتضاحها ، إذ أن هناك مَنْ يستجيب لهذه الأساليب السقيمة البائسة المفضوحة ويرضيه أن يقع في شراكها.

[إن الطائفية التي يوصف بها النظام تعني أن النظام أوجد جوًّاً طائفياً في البلد أو في المنطقة ورمى الى توسيعه واعتباره شيئاً من الواقع ومن المسلَّمات. أجل ، لقد أوجد النظام فئاتٍ مستفيدةً من الفكر الطائفي كي تبقى البلاد في جو غير طبيعي وكي يَظلُّوا هم المسيطرين والمستفيدين في هذا الجو الشاذ. شذوذ يرضع من أثداء الشذوذ. ويعترف الجميع بأنَّ هناك أسماء معروفة من جميع الطوائف ، بل ثمة أقليات قومية وغير ذلك لا تدعم فقط هذا النظام بل تبدي من الحماسة في التنفيذ ما لا يبديه الكثيرون ممَّنْ يُفْتَرضُ فيهم أنهم الناهضون بأركان هذا الحكم الطائفي ، وهكذا سجَّلَتْ منظمات دولية ومحلية ان أكثر مَنْ استخدموا التعذيب في السجون والمعتقلات هم من طوائف غير طائفة رئيس النظام.

[وكما جَمَعَ النظامُ السوري الحالي أعداداً من جميع الطوائف حول الفساد بمختلف تعاريفه ومناهجه فان النظام الذي تطمح إليه سورية يجب أن يجمع الطوائف برمتها حول الحرية والديمقراطية والعدالة ، أي أن يُعِيدَ التركيبة السورية تركيبةً وطنية ديمقراطية يكون الشعب فيها هو الرقيب على الحكم وعلى نفسه. وهذه مهمة السوريين عموماً ، ولا يمكن أن يتفرد بها حزب

أو جماعة أو طائفة مهما بلغ من قوتها.

[إن تغيير النظام الأسدي سيتم في اعتقادنا من الداخل، دون تأثير كبير للخارج. وبالمقابل، فإن كل صوت معارض في الخارج، وكل تحالف بين أحزاب المعارضة أو شخصياتها يكون دعماً لا ينكر لأي عمل في الداخل.

[لقد تغيَّر الزمن وتقدَّم، ونهضت أجيال جديدة لها ثقافتها ولها نضالها ولها وعيها لمجريات الأمور، وهي التي شاهدت وتأملت وعانت ودرست وأهَّلَتْ نفسها، وأهَّلَها محيطها. ولا يعني هذا انقطاعاً بين الداخل والخارج ـ رغم أن هذا الانقطاع فرضه، عملياً، إرهاب النظام بأجهزة قمعه وتجسسه، ولكنه يعني بكل بساطة الواقع التاريخي وحكمه المبرم أن الشعب السليم القوي، كالحزب السليم القوي، يفرز دوماً قيادات جديدة متجددة، وأفكاراً أكثر التصاقاً بالواقع النضالي المتطور، وواقع البناء الجديد المغاير.

خطة إسقاط حافظ الأسد

[من البديهي أنه لا يمكن لمن كان لديه خطة في مثل هذا الحجم أن يبوح بتفاصيلها. ولكن لا بد من أن يبوح بوجودها، إذ من غير الممكن أن لا تكونَ هناك خطة ضد نظام برع في استثارة نقمة الشعب وحقده وتحفزه للوثوب رغم كل ما يبدو من استكانته. كما انه لا بُدَّ من أن تأخذ الخطة، أية خطة، بعين الإعتبار أن الإطاحة بحافظ الأسد وبكل متسلط وطاغية ليست فقط لمجرَّد الإطاحة به، بل لا بد من أن تكون درست وتوصلت الى إرساء

قواعد الحكم السوري الجديد بدون حافظ الأسد ؛ أي أنها تأكدت من كونها قادرةً أو على الأقل عاملةً باخلاص وقوة وتضحية ووعي للقضاء على عقابيل حكم حافظ الأسد. وهذه نقطة يجب التوقف عندها والتأكيد عليها ، لأن كل إزاحةٍ لحافظ الأسد على غير الأسس الشعبية والوطنية والديمقراطية ستقود الى أسوأ من نظام حافظ الأسد ، وليس هذا فقط بل سيكون لها صدىً في المنطقة لا تحمد عقباه.

[إن الإرث الذي سيرثه المطيحون بحافظ الأسد إرث ثقيل ، رهيب ومخيف على جميع الأصعدة. فلا بد من إعادة بناء الوحدة الوطنية ، وإعادة بناء الأخلاق ، والإسراع في وقف الإنهيار الاقتصادي حتى درجة الصفر أحياناً في بعض المجالات التي توقفت فيها المصانع والمعامل والمداجن. كما ان هناك جيش احتلال سورياً في بلد شقيق ، وهناك بالمقابل أرض سورية عريقة محتلَّة بل أُعلن ضمُّها رسمياً الى العدو التاريخي والحديث لسورية وللأمة العربية : إسرائيل والصهيونية العالمية. وهناك مؤامرات على القضية الفلسطينية وعلى منظمة التحرير ألحقت من الأذى والردى بالقضية ومناضليها ما لم يلحقه أي عدو في تاريخها البعيد والقريب.

[قد يكون المشهد داعياً لليأس. وليس بعيداً في الواقع عن ذلك. ولكنَّ حيوية الشعب السوري وطاقاته قادرة على الخروج من هذا المأزق ، بل الأتون ، وقد انصهرت خلقاً جديداً دون أن تحترق ، وتتشوه ، وتتلاشى].

وحول «السيناريوهات » التي عرضتها لجنة الأربعين أقرأ هذه التعليقات التي كتبتُها آنذاك :

[١ ـ لم يعد « العشرة الكبار » من العسكريين ، ولا المئة ، ولا دون ذلك ولا فوقه ، يفكرون بالاستعانة برفعت الأسد اتقاءً لمعارضته. الذي استعان به وفكَّر دوماً بالاستعانة به هو شقيقه حافظ. ولم يعد ثمة مَنْ ينادون بخليفة لهذا الأخير تكون له به صلةُ دم ، وقربى. إن رفعت الأسد لم يكن في يوم من الأيام معارضاً لحكم أخيه إلا عندما فكر أخوه بأن يُقَدِّمَ عليه ابنه باسل في الأولوية العائلية. صحيح أن رفعت تَصَرَّفَ لدى مرض أخيه تصرفاً محموماً ، إذ أخطأ في تقدير مَوْعِدِ مَوْتِ أخيه ، واسْتَبَقَ القَدَر. وكانت حوله عصبة مغايرة لعصبة أخيه تستعجل السلطة المباشرة وتُزَيِّنُ لرفعت الأمر ، وتسهِّلُهُ له طمعاً بما سيجدون في ظله من مجالات لممارسة فسادهم الجديد. وكانت بإمرة رفعت قوة عسكرية هامة ، لها إمتداد في القوى العسكرية الأخرى. ولكنه تخاذل واستسلم عند أول صدمة وعند أول مواجهة مع أخيه. ويخطىء خطأً كبيراً مَنْ يظن أن « العشرة الكبار » أو العشرين أو الثلاثين يخشون رفعت أو يتَّقونه أو يسعون الى إرضائه. قد يكون سعى إليهم بالمال ، ولكنهم أتبـــاع أخيه فقط ، وإن كـانوا في أغلبهم لا يستطيعون أن يهضموا بسهولة كيف أنَّ رفعت الذي انتصر عليه أخوه أو انتصروا هم بدورهم عليه ، ما يزال يحتفظ بأعلى منصب في الدولة وبالإشراف على الأمن السوري ولو إشرافاً نظرياً أو مرسومـــاً على الورق. ولعـلَّ خطأ لجنـة الأربعين كامنٌ في ان تقييمهم قد تجاوزه الزمن وأصبح لاغياً.

[٢ ـ أما سيناريو الخلافة الهادئة فقد جرى تجاوزه هو الآخر منذ فترة غير قصيرة ، رغم عودة بعض الصحف ومَنْ وراءَها لإحيائه بين الفينة والفينة. صحيح أن هذه الخلافة كانت في سبيل

التكون ، وكادت تصبح جدية. وكان أكبر المتضررين بها ، على الصعيد الشخصي ، رفعت الأسد ، وهو إذ حقد على أخيه ، ففي هذا المجال جَرى حِقْدُهُ والواقع ان هذا السيناريو المرفوض والوهمي معاً ، سقط في شراكه ليس رفعت فقط بل حافظ أيضاً. والسيناريو ، في قسم كبير منه بدعة ابتدعها فريق من « الضباط الكبار » ومن « السياسيين الكبار » أحدثوا بواسطته هذا الشرخ الذي لا يضمن أحد أن لا يعود فيلتئم ولكنْ على فَساد. وقد سقط في هذا الكمين حافظ الأسد في فترات ضُعْفِـهِ الجَسَدِي والمنطقي ، مسوقاً بحرصه على إستمرار أسرته في الحكم ، خاصةً في الأعوام الأخيرة حيث لم يعد يقبل أية شكوى حتى على أبعد أطراف الأسرة مهما ارتكب من جرائم وموبقات ، يحتجُّ عليها المَدَنِيُّون ورجال الدين. ولكنَّ هذا لا يعني أن يتحمل باسل الأسد أو أي شخص آخر من أسرة الأسد وِزْرَ الإخوة الحاكمين الثلاثة. فهذا مخالف لمفهوم المعارضة الوطني الديمقراطي ، لأنَّ كل شخص سيحاكم من خلال ملفّ أعماله وسوابقه. يبقى أنَّ باسل الأسد وإخوته وأبناء عمومته سوف يجدون من الصعب تحمل نظرات عشرات الألوف الذين عذَّبهم كبير الأسرة ، وسجنهم ، ونفاهم ، وعوَّقهم ، واللواتي اغتال وقتل لهن الأزواج والأبناء والإخوان.]

وتظل ثمة قضايا ملحة على حكومة التغيير أن تحلّها على وجه السرعة والوعي معاً وفي طليعتها :

١ - إشاعة وإعادة روح المواطنة السورية ، ومنع أي تحرك طائفي مشبوه من أية جهة جاء ، والقضاء بذلك على العقابيل التي خَلَّفها حكم حافظ الأسد. ولا بد للقضاء السوري وحده

أن يحكم من خلال ملفات ووثائق ، في جميع ما يُقَدَّم إليه من دعاوى ارتكابات وجرائم كي لا تمردون محاسبة قاسية عادلة. وقد تؤلف لهذه الغاية محاكم استثنائية ولكنها تظل محاكم قضاء مدني ، وقانون ؛

٢ ـ الإفراج الفوري عن جميع المعتقلين السياسيين ، وحرية العودة والخروج لجميع المواطنين ، دون مساءلة ، وإلغاء أجهزة المخابرات المتعددة إلا ما كان منها للأمن العسكري ، وتسريح أعضائها ومعاقبة المرتكبين وإعادة البقية الى مشاريع الانتاج الوطني.

٣ ـ إجازة العمل لجميع الأحزاب المؤلفة ، أو تأليف الأحزاب الجديدة ، وإفساح مجال العمل القانوني لها ، استعداداً للانتخابات الحرة الديمقراطية التي ستسلم الحكم للشعب على أساس حياة الشعب في ظل أرحم الديمقراطيات بعد أن عاش تحت كابوس أعتى الدكتاتوريات.

٤ ـ الإلتفات السريع للاقتصاد ، ودعوة الفعاليات الاقتصادية والفكرية السورية لإعادة سورية الى إزدهارها ، ومنحها التطمينات اللازمة ، باسم الشعب الممسك بزمام أمره ، مع الاهتمام بشكل خاص برفع مستوى الجماهير عامة. ولا بدَّ من أن يكون الاقتصاد ليبرالياً ضمن حدود القوانين المتعارف عليها عالمياً مع أخذ المكتسبات الشعبية بعين الاعتبار أو السعي الى هذه المكتسبات بخطى علمية وإنسانية سريعة خاصةً في مجال العمل والتطبيب والتدريس ؛ مع التأكيد على خصوصيات البلد ، وعلى تجنُّبِ تلقي أية معونات يترتب عليها موقف آني أو مستقبلي. وسورية قادرة بأبنائها وثرواتها في الداخل والخارج

أن تنهض من الكبوة الطويلة.

٥ ـ الالتفات السريع الى حلّ الأزمات والخلافات والعداوات التي خلّفها نظام حافظ الأسد على الصعيد اللبناني والفلسطيني والعراقي والأردني. ولا بد من العمل كي يكون الحل اللبناني بيد اللبنانيين وحدهم مع المساعدة المطلوبة طوعاً من أشقائهم السوريين أو غيرهم. كما لا بد من أن يكون الحل الفلسطيني بيد الفلسطينيين وممثليهم الشرعيين ولابد من أن تعود سورية مركزاً للعمل الفلسطيني والقومي بشكل عام.

٦ ـ في مسيرة السنوات العشرين الأخيرة التي شهدت وتشهد إنهيار الدكتاتوريات وبزوغ شمس الديمقراطيات ـ ليس دون صعوبة وليس دون تضحيات ـ لا يمكن لسورية أو لغيرها أن تؤلف جزراً منعزلة موبوءة تسيطر عليها العقلية الطائفية والقمع والفساد. ولكنَّ أيِّ حلٍّ غير وطني وغير ديمقراطي سوف « يلبننُ » المنطقة أو « يُبَلْقِنُها » ، ويجعل من إسرائيل ليس البلد الأقوى بل ربما الأكثر عدداً.

٧ ـ لا يمكن أن نخفي قلقنا من « الحماية » الاسرائيلية الأميركية لنظام حافظ الأسد. وعلينا أن نأخذها بعين الاعتبار لدى أي تحرك جزئي أو شامل. ومع ذلك فهذه الحماية ليست قدراً لا يمكن إحباطه ، أو لا يمكن لبعضه أن يتعدَّل اعتماداً على النظرة البراغماتية التي تتغلب لدى دول الغرب ، ونظراً لأنَّ الاستعمار أو الامبريالية كثيراً ما تعمد الى تغيير بيادقها كلما استنفدت هذه البيادق مهمتها.

٨ ـ صحيح ما جاء في رأي لجنة الأربعين من أنه من الصعب ، بعد غياب حافظ الأسد ، أن يأتي آخر يسيطر

على الأمور سيطرة تامة. ولكنْ ليس لأن الذي سيأتي بعد حافظ الأسد لن يكون بقوة هذا الأخير، بل لأن الحكم الديمقراطي لن يسمح لإنسان بأنْ يستولي على السلطات جميعاً. ومع ذلك فالرئيس الذي يستمد سلطاته من الشعب أقوى بكثير من ذلك الذي يستمد قوته من الإرهاب. وإذا آمنّا بحكم الشعب، وإستطاع الشعب أن يأخذ الأمور بكلتا يديه، فإنَّ من هذا الشعب سينبثق القادة الذين يعيدون للوطن إزدهاره، وكرامته، وتماسكه، ولحمته الوطنية. وسيكون هناك دور لكل مواطن في بناء هذا الإزدهار والكرامة واللحمة الوطنية.

٩ - حول « ملفّات المعارضة السورية » التي نشرتها مجلة « الوطن العربي » الصادرة بباريس، رأى البعض أنها « قدَّمت للنظام السوري خدمة لا تُقَدَّر ». ونحنُ نرى للقضية وجهاً سلبياً وآخر إيجابياً. ومن الأفضل أن تظهر أطراف المعارضة على حقيقتها وأن يعرف الشعب ذلك، إن لم يكن قد عـــرفه حتى الآن. ولمّا كانت أطراف هذه المعارضة معادية للنظام القائم، مع اختلاف درجاتِ العداء، وأبعاده الصحيحة أو الشاذة، فلا بُدَّ من تقييم هذه المواقف تقييماً ليس في صالح النظام.

١٠ - استنتجت « لجنة الأربعين » (انه لا توجد معارضة جدية يحسب حسابها ضد النظام). ولكنها تنبأت بأن (الوضع قد يتغير بعد سنة أو سنتين وبتأثير مباشر من العراق). ورأيي ان المعارضة - وإن كانت كما ذكروا - كامنة في الداخل، في جميع الأحزاب حتى المشاركة في الحكم والمجلس الوطني، لكي لا نتحدث عن جماهير الشعب وعن أوساط الفعاليات الاقتصادية الواعية ولكنها تقدِّم على الوعي جشَعَها الى المال والفوائد

المادية ، والنفوذ الذي تمارسه الى جانب خوفها من القمع الهمجي بأشمل معاني الهمجية.

أما المعارضة في الخارج فضعيفة وقوية في الوقت نفسه ضعيفة باعتبارها ليست على أرضها ، وموزعة في بلدان كثيرة ؛ وكثير من هذه البلدان ـ بما فيها الأجنبية ـ توصلت ، بحكم الواقع ، الى إمكانية الضغط على هذه المعارضة لصالحها. ومن جهة أخرى فان هذه المعارضة لا تملك تنظيمات قوية ملتزمة بها على ساحة الخارج. وأعباء الحياة المادية في الغربة تفرض وجودها وتخلق ألواناً من النفسيّات تكاد تكون عبئاً على الحياة السياسية والنضالية ، وتقترب أحياناً من أن تكون عبئاً على المعارضة أكثر مما هي مساعدة لها. وقد يكمن ضعف المعارضة في الخارج ، في وجود بعض قياداتها في الداخل ، مما يجعل الإتصال بها صعباً ، وتبقى هناك اجتهاداتٌ تُمليها مواقع الغُرْبة. كما ان القيادات الموجودة في الخارج قد لا تجد الكثيرين مِمَّنْ يلتزمون بها في الداخل. وتبقى قوة المعارضة كامنة في إمكانية التعبير الحر الصادق المنطقي المقنع ، عن ضمير الشعب السوري في الداخل ؛ وكلما اقتربت المعارضة في الخارج من التعبير عن هذا الضمير ، وإيصال إرادته الى العالم ، وبمقدار ما يبرز فيها من مؤمنين مخلصين موثوقين شجعان ، تحوز هذه المعارضة ، وبعض أحزابها على ثقة الشعب. وفي هذه الثقة قوتها الحقيقية ، كدتُ أقول : الوحيدة.

إرادة الشعب السوري

في إعتقادنا ان الشعب السوري لا يمكن له أن يجد حلًا لقضيته وفوزاً بحريته ما دام حافظ الأسد على رأس الحكم. وبالطبع ، لا يجوز للشعب ولا للمعارضة أن ينتظرا ، مكتوفي الأيدي ، صامتين ، موت حافظ الأسد. ورغم ان الشعب السوري في غـالبيته مـؤمن ، ويعـرف أنَّ الأَجَـلَ بكتـابٍ مـوقـوت ، فلا بد من النضال لتقريب الأجل السياسي. وبالإمكان تلخيص إرادة الشعب السوري ، من خلال تعبيرنا عن ضميره ، على هذا الأساس :

إن القوى التي ستعلن النصر يجب أن تكون قوى وطنية ديمقراطية مؤمنة ومتفقة على ان الطائفية هي ، قبل كل شيء ، عدوة الفريق الذي يمارسها ، وعلى ان الحكم للشعب وان المواطنة هي الدليل والهدف ، وان الشعب السوري مؤلف من مواطنين مُتساوين في جميع الحقوق والواجبات. وانه بدوره جزء من أمته العربية. وان التعددية الحزبية هي السبيل الى الديمقراطية والى التنافس في سبيل خدمة الوطن وإنسان الوطن وبناء الاقتصاد والثقافة ؛ وان الديمقراطية هي المناخ الروحي والمادي الذي يتحرك تحت سمائه وعلى أرضه كل عمل وطني ؛ وان الجيش هو حامي حدود الوطن ، وانه يأتمر بسلطة الشعب ولا كلمة فوق كلمة الشعب ؛ وان نضالًا طويلًا وتجرداً عالياً وتضحية سخية وتكاتفاً واعياً ينتظر الشعب وقادته وأحزابه من أجل إعادة سورية لأمتها العربية ولشعبها السوري ومن أجل إعادة بناء اقتصادها ، في جو الحرية ، ولمصلحة الناس جميعاً.. وبمقدار ما نعتبر النظام

الحالي ضالعاً في طريق القمع والفساد فان على الحكم الشعبي بعده أن يكون مصمماً على إجتثاث كل ذلك من الأساس ، في ظل الوحدة الوطنية ، والديمقراطية الشعبية.

لقد غدا كل ذلك ليس المطلب الملحُّ فحسب ، بل غدا العقد الذي لا انفصام له بين القوى الوطنية الواعية المخلصة المسؤولة من أجل سورية بدون حافظ الأسد. وبهذا فقط يمكن لسورية أن تواصل مسيرتَها بشعبها ومع شعبها ، وبأشقائها ومع أشقائها ، في طريق بناء هذا العصر الجديد. وهذا هو الذي أصبح من البديهيات لدى الشعب السوري. والتحرك الوطني هو في هذا الاتجاه ، والنصر الوطني هو لهذا الاتجاه.

قرار التغريبة

لم يعد البقاء في صوفيا محموداً ، لا من الناحية الصحية ، ولا من الناحية الأمنية. كان بردٌ شديد ما يبرح يجتاح البلاد ، وثلوج غزيرة تغطي الطرقات والسطوح. وقد استغرب طبيب القلب البلغاري الذي راجعته كيف ، وأنا ابن البلدان الحارة ، آتي الى بلاد الثلوج وفي فصلها ، في حين أنها محرّمة على مَنْ يشكون من قلبهم أو من كبدهم التي عناها الشاعر :

ولي كَبِــدٌ مقــروحــــةٌ مَنْ يبيعني

بهـــا كبـــداً ليست بـــذاتِ قـــروحِ

وقد قال ذلك وكأنه كان يتنبأ بالعمليات الجراحية الحديثة الباهظة التكاليف والتي هي عبارة عن تحقيق أمنية الشاعر

التي كانت تبدو مستحيلة في تلك الأيام. لقد أصبح بالإمكان مشتري كبد أو قلب غير ذي قروح ووضعه مكان القلب المقروح.

كان الأمن قد أخذ يُفْقَدُ بصورة صارخة. فالسرقاتُ لا حصر لها ، حتى أصبح الشرطة لا يقبلون شكوى ، وإذا قبلوها فَمِنْ قَبيلِ المُجامَلَة أو التظاهر بالقيام بواجب ، وهم بعد ذلك إنما يَطْوُونَ تقاريرهم وَيُنْزِلونَها إضبارات لعلها لن تنفتح بعد اليوم ، وعندما تتراكم ربما أُحْرِقَتْ أو أُلْقِيَ بها في أقبيةٍ طعامـــاً للفئران. بل ان القتل بدأ هو الآخر يبدو أمراً طبيعياً ، ولا يثير ، كالسرقة ، أي استغراب أو أي اهتمام بمعرفة الفاعل.

قرّرْتُ الاغتراب من جديد. ولكن الى أين. لقد أصابني الإبعاد الفظُّ المتجني الفجائي من باريس بخسائر مادية قاسية على مثلي. وكنتُ أحمل جواز سفر دبلوماسياً عراقياً ، أي انه لم يكن من المرغوب بي في أي من البلدان الأوروبية الغربية والشرقية معاً. علاوةً على أن البلدان الشرقية كانت تعيش فوضى وانهياراً وتفككاً متسارعاً وملامحَ حرب مقبلة ، وكـــان جوٌ من اللا معقول يسيطر على جوانب الحياة وفي عقول الجميع تقريباً. فإذا ما التفتُ الى الأقطار العربية تبيّنَ لي صعوبة الوصول الى بعضها فكيف الاستقرارُ فيها. ولَمَعَتْ في خاطري فكرة : لماذا لا أقوم بتغريبة جديدة بعد تغريبة قديمة الى الجزائر ، وبعد تغريبة أجدادنا بني هلال بِشعرائهم وفرسانهم وتجوالهم الضارب في أرض الله الوَساع.

كنتُ أعرفُ تونس منذ عام ١٩٧٣حيث زرتها في وفد لاتحاد الكتّاب العرب السوريين ، وألقيتُ يومذاك قصيدتي « التونسية » التي صرّحْتُ فيما بعد انها القصيدة التي جَعَلَتْ مِنِّي الشاعرَ

الذي أُريد. وكانت لديّ انطباعات جميلة عن جمال البلاد ورهافة أهلها ، والتشابه الخاص القائم بينهم وبين الشاميين. وقد عُدْتُ إليها زائراً في الخامس من تموز ١٩٨٥ ثم في الخامس عشر من نيسان (ابريل) عام ١٩٨٩ حيث اجتمعتُ الى اخوة مناضلين من سوريين وفلسطينيين. وإذا كنتُ أفكر بها فَلِأَنَّ لي هناك الكثير من الأصدقاء والزملاء الشعراء والكتّاب ، ولأنَّ أدباء تونس كانوا أول مَن وقف الى جانبي وشَدُّوا من أزري واستنكروا مؤامرة اغتيالي ، ولأنَّ تونس ، رئيساً وشعباً ، قد وقفت موقف القومية والحق في أزمة الخليج.

ومن الصدف أني حجزْتُ على الطائرة البلغارية المسافرة في التاسع عشر من ديسمبر ١٩٩٠ أي بعد أحد عشر شهراً من محاولة اغتيالي على نفس المطار الذي سأسافر منه. وعندما حجزتْ لي زوجتي التذكرة كان يقف وراءنا في الصف ، تاجر سوري من هؤلاء الذين عاشوا في البلاد الإشتراكية على نوع من التجارة لا يمتّ بصلة الى تلك التي حلَّلها الله. وكان صديقاً لبائعة التذاكر ، يتحدث إليها في غير دَوْرِهِ ، وقد خرج وغاب قليلًا وعاد ونحنُ لم نُنْهِ المعاملة بعد. هكذا البيروقراطية حتى في مشترى تذكرة ، خاصة لاجنبي ، إذ أنها مرَّتْ على عدة أشخاص ، ونُقلِت الى أشخاص كانوا محجوبين عنّا في غرفهم. وأوجَسْتُ خيفةً من أن تتردد محاولة الشتاء الماضي في اغتيالي ، ولكني صرفْتُ عني هذه الأفكار السود وقررت ، مع ذلك ، أن أكون أكثر حذراً هذه المرة.

لم أصطحب معي أحداً الى المطار إلّا زوجتي وشقيقها وشقيقتها. ولم ترافقني زوجتي الى تونس إذ لم تكن أنهت بعض

معاملاتها ، وقَطَعَتِ الطائرةُ ما بين العاصمتين في ساعتين ، لم أشعر بهما ، أمضيتهُما بالتأمل في نفسي وفي الحياة عامة ، وفي هذه الفصول التي تغيــرت بشكل ســريع ، غيـر منتظر وغير رحيم ، تجاه كل ما يمت لنا من أمور شخصية وعامة ، عَنَيْتُ ما له علاقة بشخصي وأسرتي ، وبالوطن عامة.

كان لقائي بتونس لقاء الغريب بوطنه وأهله ولغته. ونزلتُ في فندق « ديبلومات ». وما لبثتُ أن عرفتُ بأن هناك مؤتمراً للكتّاب العرب ومهرجاناً للشعر ، تخلَّفَتْ عنه دُوَلُ التعاون الخليجي وسورية ومصر ، أو الدول التي وقفت موقفاً معادياً للعراق. وفي المقابل حضرت الوفود الأخرى بما فيها وفد العراق الذي كان بينه حميد سعيد الأمين العام لاتحادات الكتّاب والأدباء العرب ، وعبدالأمير معلة ، رئيس اتحاد الكتّاب العراقيين. وكان يقيم في تونس بعض الكتّاب السوريين ، وقدم إليها بعضهم من الخارج ، فأردنا أن يكون للأدب السوري حضوره. والأدب ليس نتاجاً حكومياً أو رسمياً. صحيح ان الوفد الرسمي قد تغيَّب ، ولكنَّ الكتّاب السوريين يمكن لهم أن يكونوا حاضرين. وقد استجابت إدارة المؤتمر لرغبة زملائنا ، وكان لهم حضور ، وتحدثت الصحف عنهم ، وأبرزت بعضها وجودهم كجريدة « الشروق » التونسية وربما غيرها. ولكنَّ أهمَّ من ذلك كان العنوان الذي خرجت به علينا هذه الصحيفة التي قامت بدور قومي وطني إيجابي للغاية قبل العدوان الأمبريالي على العراق وأثناءه. كان هذا العنوان يحمل خبر استقالة شيفرنادزه ، الكُرْجي المُتَصَهْيِن ، وزير خارجية غورباتشوف ، على هذا الشكل : وزير أميركا في موسكو يقدِّم استقالته. وهكذا أوجزت في هذه العبارة خفايا هذا المدسوس على بلاده وشعوب

أوطانه.

كنتُ قد دُعِيتُ رسمياً للمشاركة في المؤتمر وفي مهرجان الشعر. وحضرتُ الافتتاح يوم الجمعة ، الحادي والعشرين من ديسمبر ١٩٩٠ ، وألقى الأمين العام وممثلو الاتحادات كلماتٍ جيدة في مجملها ، ولعلَّ أضعف الكلمات كانت كلمة ممثلي لبنان وليبيا. وصادف أن التقيتُ في المساء بمجموعة من الإخوة الفلسطينيين العائدين لتوهم من الكويت ، بعد دخول الجيش العراقي ، وحدثونا عن تصرُّفاته الحكيمة ، الوطنية ، الأخلاقية ، فترك هذا انطباعاً جميلًا مشرقاً في نفوسنا.

تميز اليوم التالي ، السبت ، الثاني والعشرون من كانون الأول (ديسمبر) بزيارة قام بها وفدنا السوري الى هايل عبدالحميد المعروف بأبي الهَوْل ، وذلك للتعزية بالشهيد العقيد أبي داؤد الذي قضى ـ وا أسفاه ووا خجلتاه ، ليس في سجون الصهاينة ، بل في سجون بلدي سورية. وكان أول ما توجه به أبو الهول الى وفدنا السوري هو السؤال عن صحتي والاطمئنان عليّ ، بعد محاولة الاغتيال الغادر ، المشوه لسمعة سورية ، الذي تعرَّضْتُ له على يد مخابرات حافظ الأسد المتنكر بــزي ديبلوماسيته الغادرة الشريرة.

وكان من الطبيعي ، أثناء انعقاد المؤتمر ، أن يتكثف الحضور الصحفي والإعلامي ، وكنا ننتقل من حديث الى حديث ، قد يطول فيحتجّ مَن ينتظر دوره ، وكان الشاعر يجد نفسه في حرج ، فلا هو قادر على صرف الصحفي الأول ، ولا هو قادر على دعوة الصحفي الثاني بينما زميله لا يزال ممسكاً بتلابيب الأسئلة.

وفي هذا اليوم أيضاً استقبلني الأخ أبو عمَّار وبدا متفائلًا

بأن التغيير العربي سيحصل ، واثقاً بقدرة العراق ، وقال : إن رئيس وزراء فرنسا ، إذ ذاك ، ميشيل روكار قال له : إن عملية الحرب لن تقتضي إلا سبع ساعات من الجيوش المتحالفة. فأجابه أبو عمّار : إنكم لم تستطيعوا التغلب عليَّ ، أنا ، في بيروت المحاصرة ، بكل طيرانكم ودباباتكم وأساطيلكم لا في سبع ساعات ولا في سبعة أسابيع. وروى لي أبو عمّار كيف ان جميع الاستقبالات الشعبية التي قوبل بها أثناء تجواله في عدة جمهوريات أفريقية كانت تهتف بحياة رئيس البلاد وبحياة ياسر عرفات باعتباره ضيف الجمهورية وبحياة صدّام حسين.

كنتُ في هذه الأثناء أواصل الاتصال بابنتي المتبناة ، ديسيسلافا ، في باريس. كان قرار الإبعاد ينطبق عليها كما علينا ، إذ كانت مسجلة على انها ابنتنا وحصلت بذلك على إقامة دبلوماسية من الخارجية الفرنسية. ولكنْ عند صدور قرار الإبعاد كانت في بلغاريا ، ورغبنا إليها أن تدخل كبلغارية ، بجوازها البلغاري ثم تتدبر أمْرَها بعد سفرنا. إنها طالبة في سنتها الجامعية الثالثة ، ومن الظلم أن تحرم فتاة في مثل عمرها وطموحها من إكمال تعليمها في وسط جامعي متقدِّم.

كنّا قد أعددنا بطاقة إقامتها الدبلوماسية قبل مغادرتنا باريس ، وكانت الخارجية قد تسلمتها برسالة رسمية من السفارة العراقية. وعندما كانت تراجع الشرطة من أجل الإقامة كانوا يطلبون إليها رسالة من الخارجية الفرنسية تُعْلِمُهُمْ بأنها سلَّمَتْ بطاقتها الدبلوماسية. وكانت الخارجية الفرنسية تُسَوِّفُ في منْحِها هذه الشهادة ، وكنا نعتقد أنهم يفعلون ذلك في انتظار الخامس عشر من كانون الثاني (يناير) ١٩٩١ ، الموعد النهائي للإنذار

العدواني على العراق ، فإذا نشبت الحرب أخذوا الطلاب العراقيين رهائن أو طردوهم الى حيث يحلو للسلطات أن تطردهم. وظلَّ هذا الموضوع يشغل بالنا ، رغم ان هذه السلطات كانت تعرف معرفة جيدة ان ابنتنا ديسيسلافا بلغارية ، أصلًا وجنسية ، واننا تَبَنَّيْنَاها تَبَنِّياً جزئياً حسب الوثائق المُقَدَّمة ، وأنها لم تتخذ جنسية أخرى غير جنسيتها الأم ، وإن كانت السلطات العراقية قد تفضلت فمنحتها جوازاً عراقياً استجابةً لطلب مني كي تبدو أسرتنا متجانسة المنتمى.

وهكذا فعلت السلطات الفرنسية بسيارات أعضاء السفارة، بما فيها سيارتي. بالطبع ، كانت كلها ملكاً شخصياً لكل واحد منّا ، ولكنها ما زالت تماطل في إمكانية بَيْعها حتى أبعدت الجميع ثم قطعت العلاقات ، وبقيت السيارات في مرآب السفارة. وكان بعضنا بحاجة الى ثمنها لإيفاء دين ، أو لاستخدامه في منفاه الجديد.

المؤتمرات مناسبة للقاءات الشخصية

ويظلُّ من مزايا المؤتمرات ، ولعلَّ هذا من أبرز مزاياها ، أن يلتقي الكتّاب والمثقفون ، ويتعارفوا ، ويتحاوروا. وكانت لي لقاءات مع أصدقاء وزملاء أعرفهم من قبل. وجلستُ الى الوفد الجزائري الذي أبدى اهتماماً بعملية اغتيالي ، وأدانها بقوة ، وسط تقدير لي مشكور.

وكانت قرارات المؤتمر الختامية جيدة. أدانت سورية لأول مرة ، ووقفت بحزم الى جانب العراق.

ولقد كرّمتني إدارة المؤتمر حين جرى افتتاح المهرجان الشعري العربي في صالة قصر الشرق بتونس ، إذ كنت أول مَن ألقى قصيدته. وكانت القصيدةُ التي أعددتُها لمربد بغداد الذي كان من المفروض أن ينعقد في أواخر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي. كانت كأنما تتحدث عن هذا الجو المحموم الذي تعيشه العروبة ويعيشه العراق. وعرّجت على محاولة اغتيالي الآثمة وكيف ان النظام وقَتَلَتَهُ قد وجدوا مَن صَفّقوا لهم عَبْرَ صُحُفٍ تافهة. والى هذا أشرْتُ :

قـــد أرادَ الأوغـــادُ قتلي. ولكنَّ
الألى صفّقُـــوا لهم أَوْغـــادُ
مُعْلِنُ الكُفْـــرِ والمُسِـــرُّ ســـواءٌ
حين يُقْضَى لكـــلِّ دينٍ سَـــدادُ
أيهـــا الجاحـدون تلـك جـراحي
عن بـــلادي لهـــا وعنكم ذيـــادُ
لـــو قتلتُمْ نفـــوسَكُمْ مـــا غَسَلْتُمْ
عـــارَكُمْ يـــوم يَشْهَـــدُ الأشْهـــادُ
أَثْخَنَتْنِي الجـــراحُ. لكنْ عـــزائي
أَنَّ شعبي ومـــوطني العُـــوّادُ
أنشبـــوا في دمي نيـــوبـاً حـــداداً
خسئت تلكُمُ النيـــوب الحِـــدادُ
ولقـــد تحطم الـــدمـــاءُ نيـــوبـاً
ثم تـــربـــو كـــالـــزرْعِ أو تَـــزْدادُ

وخاطبْتُ دمشق :

آه يا شامُ ! يا صباحي الذي امْتَدَّ الى حيثُ للوجودِ امْتِدادُ
كيف حالَتْ تلك الأغاني فحيحاً
والأفاعي في حَيِّنا وَالجَرادُ
بيننا يا عَدُوَّ شَعبِيَ يومٌ
فيه تُنْضَى عن شعبيَ الأصْفادُ
تلك حربي. ليست كحربِكَ غَدْراً
ولصوص ومجرمونَ العَتَادُ

(اللصوص إشارة لمخابرات النظام الأسدي الذين سرقوا حقيبتي اليدوية في جنيف وفيها عناوين وأوراق هامة لي، كما سرقوا سيارتي في باريس. والمجرمون هم هؤلاء القتلة الذين أرسلهم، أفواجاً أفواجاً، لقتلي في باريس وصوفيا).

أَيُّ ذنْبٍ للبَدْرِ تِمّاً. وهَرَّتْهُ
كلابٌ منه عَراها ارْتِعادُ
ليس تدري إلّا النُباحَ إذا ما
سَبّحَ الخالقَ البديعَ العِبادُ
كُلُّهُمْ ناضِحٌ بما هُوَ فيه
فلهم حِقْدُهُمْ وعندي الودادُ

وأشرتُ الى ضرورة الوقوف مع العراق الذي أعطى وضحى ـ عبر مسيرته الإنسانية ـ في سبيل الحضارة ثم في سبيل عزة العرب :

إن تَعُدُّوا يا قومُ نعمة بغداد
عليكم لم يُحْصِها تَعْدادُ

فَسَّرَتْ لي رسالةَ الريح : في
زخْفِ الأعاصير لا يكونُ حيادُ
إنني مُنْتَمٍ إليها ومُنْحازٌ
إذا عَجَّ بالنفاقِ مَزادُ

وكان لهذا البيت ، والبيت الآخر :

وَلِنُعْماكَ أسْتَمِدُّ. ومَهْما
أَحْكَمُوا الطَوْق يَنْفُذُ الإمدادُ

وقعٌ خاص ، إذ جاءا يضربان على وتر الواقع. وكان هناك منافقون كُثر ، وكان هناك حصارٌ لئيم على العراق ، وكان هناك أمل كبير ورجاء بأن يَنْفُذَ الإمداد رغم إحكام الطوق.

وَدَّعْنا عام ١٩٩٠ ، ووَدَّعْتُ معه أعوامي الخمسة والستين. وكان أجمَلَ ما تلقَّيتُهُ هاتف من ديسيسلافا ، الابنة البعيدة التي حُرِمَتْ من الجناح الذي كان يحنو عليها ، وأصبحت بين أيدي مَن لا تجد الرحمة ولا يجد المنطق ولا تجد الإنسانية سبيلًا إليهم.

ضد العدوان

كان موعد العدوان يقترب. وكان لا بُدَّ من أن نُسْهِمَ بدورنا في صدّه ، وأن نفعل ما نستطيع ضدّه. كان للكلمة دورها. وكنت قد جرَّبْتُ هذا السلاح مراراً وفي مناسبات متفاوتة. وجرَّبَتْ معي جماهيرُ العروبة وجماهيرُ العراق دَوْرَ الكلمة في المعركة الحاسمة ضد التوسع والهيمنة والتزوير الفارسي ، وكان لقصائدي « أشجار وراء السياج » و « المربدية » و « البغدادية » و « الحصاد الأكبر » وغيرها أثر فعّال في نفوس العراقيين ، شعباً وجيشاً

ومسؤولين ، وكانت كتائب قتالية إسنادية ، حاملةً تفاؤلاً وبشرى ، مبدعةً أجواء من التعبئة النفسية ، ضرورية للتعبئة القتالية ، وهي من لوازم النصر.

كان العمل الأدبي الثاني الذي قمت به هو تسجيل أجهزة الاعلام الفلسطينية ـ المتواجدة في تونس ـ لقصيدتي الجديدة : كاسرة الحصار ، وكنتُ قد كتبتُها قبل مغادرتي صوفيا ، متحيّناً فرصة إذاعتها وإرسالها الى العراق ، والى سورية. وفي بغداد أذيعت مراراً على الشاشة الصغيرة قبل قصف الصيني.

كنتُ ما أزال ـ وما زلتُ حتى الآن ـ بحاجة الى الاستجمام ، بعد كل جهد متواصل أقوم به. بل في رأس القائمة التي وضعها لي أطبائي : تجنّب الجهد والانفعالات. وهكذا جاءتني دعوة كريمة لتقضية عطلة رأس السنة في أحد منتجعات تونس الجميلة. واختار لنا الأصدقاء « حمّامات ». كان الطريق جميلًا ، منبسطاً ، يمتدّ على قرابة ستين كيلومتراً. ونزلنا فندق « فينيقيا » القائم وسط الرمال والنخيل والبحيرات والمطاعم والمشارب. كانت غرفتنا تطل على البحر ، وعلى مسبح تحيط به الأشجار ، تماماً كما في تلك الأفلام الهوليودية التي يريدون أن يعرضوا من خلالها حياة الأغنياء الكبار. وفكّرت : ما جدوى أن يملك فردٌ لنفسه الأموال الطائلة ليشتري بها قصراً وحديقة قد لا يزورهما إلّا أسبوعاً أو أسبوعين في العام ، بينما مِنْ حَقّ جميع الناس التمتع بجمال الطبيعة ، وجمال ما يَبْنيه الإنسان. تَجَوَّلْنا قُرْبَ الشاطىء ، وبَدَتْ لنا الجِمالُ المُعَدَّةُ للسيّاح كي يمتطوها ويتخيلوا أنفسهم من هؤلاء الأمراء والشيوخ الذين ، قرأوا عنهم ، أو أظْهَرَتْهُمُ الأفلام الغربية. واقترب منا فتىً لعله في الثانية عشرة ، وكان هو

راعي الجمال ، وسألنا من أي بلد نحن. قُلْنا : من العراق ، فهتف : صدّام بطل عام ١٩٩٠.

وفي المطاعم كان العاملون يتجمعون حولنا ويبدون كُلَّ حَماس للعراق ولصدّام ، ويعرضون رغبتهم بالتطوع في جيش العراق لمقاتلة الأميركان ومدنّسي الحرم الشريف. ومن الطرائف المعبِّرة أن العاملين في مطبخ المطعم الرئيسي في النُزُل ، لم يكن يَسْمَحُ لهم نِظامُهُمْ بمغادرة العمل لتحيتنا فأرسلوا لنا مع زملائهم التحيات والتأييد.

الحمّامات - الأربعاء
٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٩١

قرأتُ في جريدة « الفيغارو » الفرنسية حديثاً لأبي عمّار ، وفيه يقول ان السادس عشر من يناير سيكون يوماً مثل باقي الأيام. وقد ألقى بالتبعة على القادة الأميركيين الذين لا يتحدثون إلّا عن الحرب. وعلّق قائلًا : أنا لا أستطيع التصور بأنَّ هناك نيروناً جديداً يمكن أن يغرق العالم في الحرب والدمار. وقال : إن إيران عندما احتلّتْ جزيرة الفاو الستراتيجية عام ١٩٨٦، أَوْفَدَهُ صدّام حسين الى مدينة الكويت كي يطلب الى أميرها السماح للعراق بنشر قوّاته في جزيرة بوبيان لحماية جانبه الجنوبي ولكنَّ الأمير رفض. ويُخَيَّل لياسر عرفات ان وراء رفض الكويتيين تأجير جزيرتي بوبيان ووربة كما طلب العراق أخيراً أصابع المخابرات البريطانية والأميركية. وقال أبو عمّار : إنكم تحدثونني عن قرارات الأمم المتحدة فأين القرار ٢٤٢ الذي يقضي بانسحاب إسرائيل

من الأراضي المحتلة ، ولم يطبق منذ ثلاث وعشرين سنة ؟ والقرار ١٨١ الذي لم يُنَفَّذْ منذ ثلاث وأربعين سنة ، والقاضي بتقسيم فلسطين ؟ أين هي الأساطيل لتطبيق هذه القرارات ؟

وفي الصحيفة نفسها مقال لألكسندر زينوفييف ، الكاتب الروسي الذي أرغمه بريجنيف على المنفى عام ١٩٧٨ ، جاء فيه : إن غورباتشوف جاهز لخيانة كل القيم من أجل مجدٍ عابر. وانه متعطش الى النفوذ المطلق. وهو يتخذ أساليب ستالين ذاتها في إرغام الشعب على تنفيذ سياسته. وقال : ان أعداء الشيوعية والاتحاد السوفياتي جميعاً لم يسيئوا ، بمقدار غورباتشوف ، إليهما. إن في يده جميع السلطات ومع ذلك فان تاريخ الغورباتشوفية يتلخص بعدم التوقف عن طلب المزيد ، واستِجْداءِ وفَرْضِ السُلْطَةِ المُطْلَقة التي حصل عليها. ورأى ان هناك ثلاثة حلول : الأول هو إنهيار الشيوعية والعبور الى الرأسمالية ، ولكنَّ الاتحاد السوفياتي لم يصل الى هذه الدرجة من الفوضى كي يستسلم لهذا الأمر. والثاني هو إيجاد نَغْلٍ هجين من الرأسمالية والشيوعية مع إدخال اقتصاد السوق وبعض الأساليب والنماذج السياسية الغربية ، ولكنَّ هذا لن يحلَّ الأزمة بل سيزيدها تفاقماً. وأخيراً هناك العودة الى الشيوعية ، أي الى « الكونتر ـ بيريسترويكا » (مضاد البيريسترويكا). وقد نهج الاتحاد السوفياتي هذا السبيل.

الحمّامات ٣ يناير

أهمُّ ما في صحيفة « الفيغارو » التي نتابع الأخبار العالمية من خلالها ، القسم الثاني من مقال موريس آلي ، الحائز على جائزة نوبل للاقتصاد ، وفيه يؤكد ان أزمة الخليج الحالية لا يمكن أن تُحَلَّ بمعزل عن الظواهر الأخرى لأزمة الشرق الأوسط وفي طليعتها الصراع الإسرائيلي ـ العربي ، والحرب الأهلية الرهيبة في لبنان ، والاحتلالات الأجنبية التي رافقتها ، والحرب بلا هوادة بين العراق وإيران. ورأى الكاتب أنَّ رسْمَ حدود الدول العربية في الشرق الأوسط سواء في ليبيا أو مصر أو اليمن أو الأردن أو العربية السعودية وسورية والعراق والكويت ، قد تَمَّ ، في الأساس والجوهر ، حسب المصالح الخاصة للدول الغربية وخاصة بريطانيا والولايات المتحدة. وأضاف : إنَّ حدود هذه الدول التي هي في غاية الاصطناع ، ومواردها النفطية غير المتوازنة بشكل كبير ، وإقامة دولة إسرائيل ، كانت عوامل حاسمة في الأزمة الدائمة في الشرق الأوسط. وقال : ان الغرب الذي يدَّعي أو يزعم بأنه المدافع عن حقوق الإنسان لم يتحسس بعذابات لبنان ، وما فتىء طوال حرب العراق ـ إيران يسلِّحُ المتحاربين بشكل مباشر أو غير مباشر.. هذا الغرب الذي وجد من الطبيعي أن يأخذ قرارات من الأمم المتحدة ضد العراق ثم يطبقها معلناً بأن اللجوء الى الوسائل العسكرية مشروع في حالة عدم تطبيقها ، هو نفس الغرب الذي وقف ، دوماً ، لا مبالياً أمام انتهاك إسرائيل لقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بها. وقال حرفياً : وبشكل موضوعي تماماً فانَّ الغرب لم يكفَ عن ممارسة سياسة مجرَّدَة من كل انسجام

أخلاقي. وأضاف : على الغرب أن يعترف بكل ما يمكن أن يكون صحيحاً وعادلًا في المطالب العربية. أما فيما يتعلق بمطالب العراق في تموز (يوليو) الماضي من الكويت فانها لم تكن مجرَّدة من المبررات ، أكان الأمر يتعلق بضخ الكويت لجزء من النفط العراقي قرب الحدود بين البلدين ، أم بشأن الديون العراقية إزاء الكويت أثناء الحرب ضد إيران ، وسياسة خفض أسعار النفط التي استمرت الكويت بانتهاجها عن عَمْدٍ ، مُتَجاوِزةً حِصَّتَها المقرّرة ، أم بتأجير جزيرتي وربة وبوبيان تأجيراً طويل الأمد. واستطرد :كانت الكويت ، تحت الحكم العثماني وفي نظر جغرافية المنطقة الشاملة ، ملحقة بالعراق ، وامتداداً طبيعياً له. ومنذ إقامة الكويت لم تنقطع المطالبة العراقية ، في ظل مختلف الحكومات ، بضَمِّ الكويت الى العراق. وقال : يمكن لنا ، بشكل مشروع ، أنْ نتساءل ما الذي حمل الكويت في تموز الماضي على رفض الطلبات العراقية. واسترسل : إنَّ حوالي نصف احتياطي النفط في العالم موجود في العربية السعودية والكويت والإمارات والعراق ، وقد وفَّرَ لهذه البلدان مداخيل هائلة تفوق حاجاتها الحقيقية ، بينما في سائر العالم العربي هناك جماهير غفيرة ، وعلى وجه التحديد فلسطينية ، تعيش في حالاتٍ بائسة. وخلص الى أن حدود العراق والكويت كما هي حالياً قد تحدَّدت ، في الواقع ، تحت الهيمنة البريطانية ولمصلحتها فقط كما علينا أن نعترف ؛ وهي حدود مصطنعة الى حدٍ كبير ، وغير منطقية أو معقولة. وكان من غير الحكمة أن لا يكون للعراق منفذ على البحر. إنَّ الحدود الحالية لبلدان الشرق الأوسط هي حدود مصطنعة كُلَّ الاصطناع وعليها أن تُصحَّح.

الحمّامات ٥ يناير

قمنا بجولة سياحية. زرنا نزل السندباد، بحدائقه المتسعة، وإطلالته على البحر، ثم نزل « أبو نواس » بروعة فنه وجنائنه.

وفي « الفيغارو » أن عجوز الإرهاب، سياد بري، ينهار شلواً فشلواً، وهو يحكم منذ ١٩٦٩ مثل عجوز الإرهاب الآخر حافظ الأسد. لعلَّهُ الآن يُحِسُّ بحاجته الى أولئك الجنود الذين أرسلهم الى السعودية مقابل بضعة ملايين في مصارف الغرب.

الحمّامات ـ تونس.

الأحد ٦ يناير

كان المكان جميلًا، مريحاً، نقيَّ الهواءِ، شفَّافاً، وقد انتعشْتُ صحياً، وكانت الدعوةُ الكريمة مفتوحةً ولكني رأيتُ أن أختصرها فقد كان بنا شوق للعودة الى مركز الأخبار، الى تونس، وكان علينا من جديد أن نحاول تقديم ما نستطيع أن نقدمه، دعماً للحق العراقي، وحق جماهير العروبة عموماً.

تونس ـ الثلاثاء ٨ يناير

في جملة مطالعاتي لهذا اليوم: البيان السياسي الذي أذيع في الدورة التاسعة عشرة غير العادية ـ دورة الانتفاضة ـ التي عقدت في الجزائر من ١٢ الى ١٥ نوفمبر ١٩٨٨. وأذكر أني حضرتُها قادماً من بغداد الى القاهرة فالجزائر، حيث نزلْتُ في فندق « الاوراسي ». وجاءني هناك الدكتور إبراهيم ماخوس، نائب رئيس وزراء سورية ووزير خارجيتها إبّان رئاسة الدكتور نورالدين الأتاسي للدولة. وطال بنا حديث جادٌ ومُجْدٍ. وحاولْتُ إقناعه بالجلوس الى الإخوان المسلمين أو سماع حديث المراقب

العام الاخ عدنان سعدالدين الذي كانت غرفته بجوار غرفتي. ولكنه وافقني على المبدأ ورفض التنفيذ. وله عذره وله وجهة نظره التي أحترمها وإن اختلفْتُ معه ، إذ كنتُ قد حقَّقْتُ ، في نظري ، نتائج إيجابية مفيدة لمستقبل الوطن من خلال محاورات صريحة واضحة مخلصة.

في هذه الدورة جرى إعلان قيام الدولة الفلسطينية [فانَّ المجلس الوطني يعلن باسم الله وباسم الشعب العربي الفلسطيني قيام دولة فلسطين فوق أرضنا الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف] وذلك في الخامس عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨. وهكذا قَيَّضَ لنا الزمن شهود هذه اللحظة التاريخية ، فهل يقيِّض لنا أن نشهد تحقيق ذلك على الأرض ؟ ليس هذا على الله ، وعلى إرادة المقاتلين والمؤمنين المخلصين بعزيز.

وقرأْتُ كتاباً عن خليل الوزير ، أبي جهاد ، الذي استشهد ، كما قال أبو عمّار في رسالته الموجهة الى جماهير شعبنا الفلسطيني داخل الوطن المحتل وخارجه ، والى جماهير أمتنا العربية (وهو قائم على عمله ، في محرابه الثوري ، فجر يوم ١٦ نيسان ١٩٨٨ وهو كما عهدناه ، رغم بشاعة الجرم ، سلاحه بيده ، وظلَّ يقاوم حتى تكاثرت عليه العصابة الصهيونية لجهاز الموساد فاخترقت جسده الحبيب عشرات الرصاصات للغدر والجريمة).

وذكرْتُ عند ذاك نزهة قمت بها الى « سيدي بو سعيد » ، ودلّني مَن يرافقني على بيت السفير الأميركي الجاثم على تلة مشرفة على البحر ، مثل قلعة حصينة. وفي رواياتٍ

ان الإسرائيليين تسللوا الى هذا القصر ، من البحر ، ومن هناك الى بيت أبي جهاد ، القريب من هذا المكان ، حيث نفذوا جريمتهم ، وربما عادوا الى بيت السفير ثانية ريثما تدبروا أمر خروجهم ، بكل بساطة.

الخميس ١٠ كانون الثاني (يناير)

قال عبدالله الأشطل مندوب اليمن ورئيس مجلس الأمن ، في حديث هاتفي مع مجلة « اليوم السابع » الصادرة في باريس : « ان الموقف السوفياتي مخيِّبٌ للآمال ، وقد عرقل مساعينا. كما مارس السوفيات ضغوطاً كبيرةً علينا. وقد فوجئنا فعلًا بذلك ».

كانت الحصيلة الأولى لتصويت اليمن ضد استخدام القوة سبعين مليون دولار ، حققتها الولايات المتحدة من بَتْرِ المساعدات الأميركية لليمن.

الجمعة ١١ كانون الثاني

جاءني صديق بمجموعة من الصحف السورية القديمة. من زمن لم أطّلع عليها ولستُ آسفاً كثيراً فهي تحمل الكثير من الضحالة والعقم والتزوير ، وإن كان يظلُّ أفضل باب فيها هو بابُ شكاوى الناس الذين كأنهم يعيشون في واد ، وحكامهم ـ وأحياناً مثقفوهم ـ في وادٍ آخر. قرأْتُ في جريدة « الثورة » الدمشقية بتاريخ ١٩٩٠/١٠/٢٦ نعي المحامي عبداللطيف غانم. وأذكر انه كان ـ وهو المسلم العلوي ـ عضواً في جماعة الإخوان المسلمين ، وكنتُ أستشهد به عندما أذكر لإخواني في المعارضة. إن العلويين هم كغيرهم من المسلمين والمواطنين عامة لم يعودوا يكوّنون حلقةً مغلقةً على نفسها بل هم منفتحون

على جميــع الأحزاب ، بـل هم قادة وفـاعلون في أكثـرها ، حتى ان من بينهم مَن انضمَّ الى حــركة الإخـوان المسلمين التي ربمــا كانت تنظـر ـ في مجملهـا ـ الى العلـويين بعين غير راضية على الأقل ، كي نطلق تعبيراً عاماً تحتمي بظله أفكار وتفاسير كثيرة.

توالي صحف النظام السوري نَشْرَ دِعايات ضد العراق ، وتتحدث عن ممارساته في الكويت بروحية عدائية ليس للعراق فحسب بل لكل ما هو عربي شريف ذو عزة وكرامة. وقرأْتُ في جريدة « البعث » الصادرة في ١٩٩٠/١١/٨ افتتاحية لرئيس تحريرها تركي صقر فحزنْتُ لأنّي أعرفه شاباً وطنياً على خُلُقٍ في زمن قلّتْ فيه الأخلاق.

السبت ١٢ يناير

زرتُ مجلة « لوتس » التي يصدرها كتّاب آسيا وأفريقيا. هذه أول مرة ألتقي بهذه المجلة ، باللغة العربية. وأهداني رئيس تحريرها مجموعة من مجلة « المعركة » التي صدرت في بيروت أثناء الحصار الإسرائيلي للمقاومــة الفلسطينية البـاسلة من ١٩٨٢/٦/٢٣ الى ١٩٨٢/٨/٢٥. أخذتُ من على مكتب سكرتير التحرير مجلة « الموقف الدولي » العدد ٢٢١/٢٢٠ ، آب ـ أيلول ١٩٨٩ ، وهو عدد ممتاز كما جاء على غلافه. ولأول مرة منذ سنين أرى اسمي في مجلة أو صحيفة سورية ، إذ جاء عَرَضَاً وهم يتحدثون في جولة الشهر الثقافية عن الشاعر حامد حسن [فازَتْ قصيدته « امرؤ القيس والعذارى » بجائزة القطر ، وهو يعدّ في مصافّ الشعراء الكبار بدوي الجبل وعمر أبو ريشة ونزار

قباني وأحمد سليمان الأحمد وسليمان العيسى] ، وأرجو أن لا أكون نَبَّهْتُ السلطات الى كاتب المقال فيناله شيء من انتقامهم. طلبوا إليَّ في « لوتس » قصيدة للنشر.

الأحد ١٣ يناير

صرَّح دي كويلار بعد مقابلته الرئيس صدَّام حسين بأنه ليس متشائماً ولا متفائلاً. هل قرأ إذاً كتاب « المتشائل » لاميل حبيبي !!

الاثنين ١٤ يناير

جرى اتصال مع بغداد ، وعلمتُ أن القصائد التي أرسلتُها أُلقيت على الشاشة الصغيرة ، وان الناس أخذوا يتناشدونها في المجالس :

إني أَمُدُّ الى العراق يدي وفي يَديَ القصيدة

ذهبنا الى اجتماع الأحزاب والنقابات التونسية من أجل دعم العراق. جماهير غفيرة في قاعة « بورصة الشغل » وخارجها تُقَدَّر بالآلاف. ألقى رؤساء الأحزاب خطباً عاطفية ودعوا الى مظاهرة كبرى ، وأن تظلَّ الأضواء مشتعلةً طوال هذا الليل ، وحضّوا على التطوُّع ، وكانت الحشود تردد هتافات قومية مثل : قائدنا صدَّام حسين. الكويت لن تعود. بالروح ، بالدم نفديك يا عراق ، وعادت الى ذهني ، وأنا في شبه حلم ، أجواؤنا ، ذكرياتُ شبابنا في الأربعينات والخمسينات. هذه هي سورية الوطنية ، العربية تبعث من جديد. فرحْتُ ثُمَّ حزنْتُ عندما خيِّلَ إليَّ أن أربعين عاماً من عمرنا ذهبت دون جدوى ، دون أن نتقدم في طريق آمالنا خطوة واحدة ، بل كنا على طريقة كتاب لينين : خطوة الى الأمام ،

خطوتان الى الوراء. فكم هي المسافة التي قطعناها الى الوراء خلال أربعين عاماً. هذا حسابٌ لن تجيب عنه الحاسبات الالكترونية ولكن تفضحه ـ ولا تجعل منه حساباً سرياً ـ هذه الحالة المتردية على جميع الأصعدة التي نعيشها ونعايشها.

الى جانب زعماء الأحزاب التونسية ومنظماتها العمالية والطلابية ولجنة الدفاع عن العراق ، خطب سفيــرا العراق وفلسطين ، وطالت الخطب. وتعب الناس. وأخذ يقترب منتصف الليل ـ وفي هذا الجو دُعيتُ للكلام. كنتُ قد اختزتُ مكاناً جانبياً هرباً من التدخين الذي يملأ أجواء القاعة ولا يُخَفِّفُ منه انفتاحُ الأبواب من حين الى آخر ، رغم اننا في فصل الشتاء. بدأ البرد ، بل الزكام يتسرَّب الى أنفي وحَلْقي. وجاء أحدهم حاملًا كرسياً وزرعه الى يساري ولم ينقطع عن التدخين فإذا أضفنا الى ذلك الوقت الطويل الذي اقتضاه الاحتفال ، وكثرة الخطباء ، تبدَّى لي أني لم أكن في الوضع الأفضل لإلقاء قصيدتي. وربما كان عدد قليل في القاعة قد سمع باسمي من قبل. فالحضور في غالبيتهم العظمى عمال وطلاب تونسيون. ووقفْتُ وسط جوٍّ يكاد يكون لا مبالياً. وما إن بدأْتُ القصيدة :

إني أمُــدُّ الى العراق يـدي وفي يَديَ القصيـدَه

حتى التهبت القاعة من جديد ، وطلبوا الإعادة ، وتكرر هذا الطلب حتى لم أعُــدْ أُلبِّيه. ومن عــادتي التي يعرفهــا مَن يستمعون الى قصائدي أني لا أُلبِّي طلباً بالإعادة ـ إلّا في ظروف نادرة ، ولأسباب قد تكون قاسرة ـ . وعندما نزلت عن المنبر هبَّ جميعُ مَن في القــاعة وقــوفاً ، بمن فيهم الجــالسون على المنصــة الرئيسية ، وظلُّوا يصفقون حتى عدْتُ من جديد الى المنصة ،

وأقبل الناس يضمونني ويقبّلونني. وحيَّيْتُ الجماهير التي كان تصفيقها متواصلًا. وهتف الأديب الذي كان قد دعاني للكلام : أنتَ خليفة الأخطل الصغير ، فضحكت.

هذه القصيدة التي أرسلتُها على « كاسيت » الى بغداد ودمشق ، والتي ألقيتُها في أكبر اجتماع شعبي عرفته تونس لدعم العراق ، كانت ثورةً قوميةً نابعةً من أعماق الإحساس والوعي ، وقد تدفقت هكذا وكأني أرتجلها ارتجالًا ، وخالفْتُ - كما سأخالف بما تلاها في هذا الموضوع - طريقتي في الكتابة التي تعتمد على التأني وعلى إعطاء الزمن فرصته للعمل ضمن العطاء الإبداعي. وكنتُ ألقي هذه القصيدة وما تلاها إلقاءً ، أو كأنما يلتقطها الجمهور التقاطاً فإذا هي شيء من غذائه الروحي ، أو كأنما لا تحتاج إلّا أن تهدر بها ألوف وملايين الحناجر فإذا بها سنفونية العزة العربية والوعي العربي والشعور العربي.

ويظلُّ حبُّكَ يا عراقُ هو العقِيدَهْ
هو رايةَ الشعْرِ الأمينْ
وهو النشيدُ فلا نَشِيدَ سواهُ حتى يُشْرِقَ النصرُ المبينْ
شَرَفٌ لأشعاري إذا لامَسْنَ سَمْعَكْ
وهَزَزْنَ جَمْعَك.

لقد أَلْزَمْتُ الشِعْرَ بدَوْرِهِ الحقيقي في معركة الأمة. إنه يلامس سمعها ويهزُّ وجدانها. وانطلقت الأغنية تكسر حصار التشويه والتزوير والعدوان كخيل بدر ، متبخترةً كأبي دجانة في أُحُد ، عندما قال له رسول الله : هذه مشية يكرهها الله ورسوله إلّا في مثل هذا الموقف :

شعري الذي لَبَّى النفير كأنه أحدُ الجنودْ
لِيَخُوضَ معركة الوجودْ
يَحْمِي ـ كإِخْوَتِهِ حُماةِ الظَعْنِ ـ أهلي والأحبَّهْ
ويجاهد الأشرارَ والأوغادَ من «أبناءِ ضَبَّهْ»

تتداعى الصور التاريخية. هذا هو ربيعة بن المكدَّم ـ حامي الظعن حيًّا وميتاً ـ يقف وحيداً في وجه خمسمئة من المعتدين. يذود عن أهله وأحِبَّتِهِ، ثم يُصِيبُهُ سَهْمٌ قاتل فيسرع الى أمّه :

شُــــدِّي عليَّ العَصْبَ « أُمَّ سيَّـــارْ»
فقـــد رُزِئْتِ فـــارســاً كــالــدينــارْ

كان يعلم انه لا محالةَ سيسقط في هذه المعركة غير المتكافئة. أشار على الظعن أن يجدُّوا السير نحو خيام القبيلة، وسوف يقف على جواده قاطعاً الطريق على المعتدين، موقفاً زحْفَهُمْ الهمجي، حتى يصل الظعْنُ الى دار السلامة. ويموتُ الفارس العظيم على ظهر جواده مستنداً الى رمحه، دون أن يجرؤ أحدهم على الاقتراب منه، ساعةً وساعةً، حتى يضيقوا ذرعاً بجمودهم وعدم خوضهم المعركة، فيرموا جَوادَهُ عن بُعْدٍ بِسَهْمٍ ويقفز الجواد، ويسقط الفارس. تُرى هل يكون سَهْمُ تلك الأيام صاروخ هذه الأيام.

صُوَرٌ تتوالى في أزياء أكثر جدة. و« أبناء ضبّة » يتربصون بالشاعر العظيم أحمد بن الحسين المتنبي وهو عائد، بِصُحْبَتِهِ ابْنُهُ وغلامه، ويهاجمونه ويغدر الأشرار المعتدون، والأوغاد المتآمرون، في كل زمان ومكان، بالمثال الشامخ والرمز المتألق :

عارٌ على الشعر العظيم إذا تَخَلَّفَ عَنْ مُنازَلَةِ الطغاةْ

ونداءُ «صدّام» يجلجل في مسامع كل أبناء الحياةْ
«ألقدْسُ لا النفطُ القضيَّةْ»
والمؤمنون الرافعون شعارَهُ خيرُ البريَّةْ
والخائنون المنكرون شعارَه شَرُّ البريَّةْ

أجل ، كانت القدس ، وما تزال ، هي القضيَّة. وأراد العراقُ من خلال لغة النفط التي تفهمها الأمبريالية الغربية ، أن يهزَّ النفوس ويوقظ الجفون. ولكن ردَّة الفعل العربية على وجه الخصوص ، والأمم المستضعفة على وجه العموم ، بالاضافة الى ضمير مجلس الأمن ، كانت من الضآلة بحيث لا يمكن أن يتصورَها المَرْءُ مهما بلغ لديه تقدير الأمور وواقعية المحاكمة وعلميتها.

وصدق الله العظيم : [إنَّ الذينَ كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نارِ جهنَّمَ خالدينَ فيها أولئك هم شرُّ البريَّةْ * إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خيرُ البريَّةْ *].

وأعتقد ان جمال البيتين الأخيرين يكمن في الإشارة الى هاتين الآيتين الكريمتين ، وتحديد الإيمان بالدفاع عن القدس وكل ما تحمله من قيم تصنع الوجود الإنساني ، وتحديد الخيانة بالإنسياق مع هؤلاء الذين جحدوا كل وجود إنساني ، كدتُ أقول كل وجود إلهي ، في سبيل حصة من النفط.

ويأبى الشعر إلّا أن يتحدث عن نفسه ويتبختر أمام الأعداء في مشية يحبها الله ورسوله ، ويحبها الشرفاء والمجاهدون ، في مثل هذا الموقف :

أنا لم أُزخرِفْ هذه الأشعارَ بل لَبِسَتْ سرابيلَ الوغى ، نَفَضَتْ

غُبارَ مَعارِكٍ بالأمْسِ خاضَتْها الى جَنْبِ العِراقْ
كي تزدهي بغبار ما ستخوضه في اليومِ والغدِ ، من مَعَارِكَ ،
في صفوف الذائدينَ عن العراقْ
وتصوغَ من هذا الغُبارِ لها وساما
هُوَ كلُّ ما غَنِمَ النَشامىَ

وتعودُ بي الذكريات الى سلسلة القصائد والمواقف والبيانات والخطب التي جاهدْتُ بها العدوانَ الفارسي على العراق ، وذلك من القوم حقد دفين على العرب ينحدر من بقايا الشعوبية الزنيمة التي حرَّكت ميولهم وأهواءهم ، وأبعدتهم عن روحية الإسلام ، وعن كون القرآن منزلًا بلسان عربي مبين ، وعن كون سيد الخلق عربياً قرشياً ، وعن كون الإمام علي ، العربي القرشي ، قَدْ سَنَّ لنا « نهج البلاغة » ، وعن كون الإسلام ، رغم مزايا العروبة ، قد جعل الفضل للتقوى ، لا لعروبة ولا لعُجْمة ، ففقدوا كل مبرر لحقدهم وعدوانهم ، وحادوا عن النهج الذي يدَّعون اتباعه. ولا يعني هذا اننا نحن العرب المسلمين قد سرنا على الطريق المستقيم. فالحكام الفاسدون موجودون في كل زمان ومكان ، في كل أمة ، ومجموعة بشرية ، الأمر الذي يحملنا على أن لا نتهم شعباً برمته ، أو أمَّة بأسرها ، ولكن نتَّهِمُ مواقفها في مرحلة زمنية ، حتى إذا طالت هذه المرحلة حقَّ لنا أن نسيء الظن بتركيبة المبدأ الذي تصدر عنه. ولقد كان موقفي من كره الخميني للغة العربية حتى انه كان يأبى التحدث بها ، وهو الذي يحسنها حديثاً وكتابة وقراءة ، متجاهلًا أنها لغة القرآن الكريم ، ولغة نهج البلاغة ، ولغة جعفر الصادق الذي يتبع مذهبه ، موقفاً يتسم بالحذر والشك

ثم الإدانة. مواقف ضاعفت عليَّ حقد فرق الإرهاب ، وأقلام الارتزاق ، وكنت أعلم ما يعني كلُّ هذا ، ولكني كنت أعلم أيضاً أن الحياة موقف شرف وعز وكرامة وحق ، وصيحة تحذيرية ، تحريضية. وهكذا تحديتُ هؤلاء القتلة :

أنـا ذا بمحـراب العـروبـة ســـاجـدُ
أتلـــو صـــلاةَ محبتي السمحـــاءَ
هي فُــــرْصـــةٌ للغـــدر. لكني بهم
وبغـــــدرهم أتنـــــدّرُ استهـــزاءَ

أجل لقد استشهد الإمام علي وهو ساجد في محراب الله ، في محراب الهدى ، وإنه ليشرّفني ويجعلني أفوز بالدارين أن ألقى نفس المصير ، وشعاري قول دعبل الخزاعي في تحديه الرائع الخالد لطواغيت عصره : إني أحمل خشبتي على كتفيَّ منذ أربعين عاماً ولا أجد مَن يصلبني عليها.

وتسترسل القصيدة :

هذا الترابُ نصونهُ من أن يُدَنِّسَهُ الغُزاةْ
عادت الى صحرائنا الأغوالُ ، تحت عباءةِ الأنذالِ ،
غورو راح يَقْرَعُ بالعصا قَبْرَ المُحَرِّرِ
يا دمشقيُّونَ ، يا أبناءَ قومي ، يا عَرَبْ !

أجل ، بعد نضالٍ طويل استطعنا إجلاء الأجنبي الذي يحاول دوماً أن يعود في أزياء جديدة وشعارات قديمة مَهْما زَوّقها ونكَّرَها وهذه هي عباءَةُ الأنذال حقاً تمتدُّ غطاءً من حرِّ الهجير ، وحرّ غضب الشعوب ، على هؤلاء الذين لطموا بالعصا قَبْرَ صلاح الدين في دمشق ساخرين مستفزِّين : ها نحن عدنا يا صلاح الدين ! فكان

احتلال بلاد الشام من جديد استمراراً للصليبيات الأولى التي كان الفرنسيون عمادها منذ عقد البابا مؤتمره اللا مسيحي في كليرمون في تشرين الثاني من عام ١٠٩٥ ودعا الى تخليص « ضريح الرب » من أيدي المسلمين « الكفّار » ، والتي توالت أمواجها ، حتى حلّ الاستعمار الحديث على متن الصهيونية أوحلّتْ هي على متنه في تلك الربوع التي ما نفتأ نردد أنها مقدّسة ، ولم ندافع عنها كما تقتضي القداسة.

كانت دولنا ومجتمعاتنا العربية تهوم وتتضمحل الحيوية فيها ، وتتآكل من الداخل ، وتستمرىءُ التخلُّفَ رغم مظاهر التقدُّم ـ والكثير منه تقليد أعمى لأسوأ ما في الحضارة الغـربية أو ما يزعمون بأنها حضارة ـ وتسعى الى التجزؤ فعلًا وإلحاحاً ، وتنادي بالوحدة قولًا صاخباً ، في صورة بائسة.

وكان من الطبيعي أن أتوجه قبل كل شيء الى الشام ، لأن الصراع الصليبي ـ العربي الإسلامي كان يدور فيها ، من إنطاكية الى طرابلس ، ومن عكا الى الرملة ، ومن الموصل الى حلب ، ومن السويدية الى السويداء ، ومن الساحل الى دمشق. وكانت الحملة تتوضح أكثر فاكثر بأنها تواصلٌ مشؤوم للحرب الصليبية الأولى ، وأنها تجيء في ظروف حالية شبيهة بتلك التي كان يعانيها العرب والمسلمون حينذاك ، والتي يعيشها الغربيون الآن في حمَّى النشوة بانهيار ما يسمى بالمعسكر الاشتراكي انهياراً مأساوياً بعد أن كان قيامه قياماً مأساوياً ، وفي حُمَّى الجشع الى ثروات الوطن العربي ، الشبيه بشهية أولئك الهمج الرعاع الجياع الذين لم يكونوا يملكون إلّا بؤسهم وجهلهم ، كي يفقدوه ، على غرار بروليتاريا كارل ماركس.

وكانت الشام ـ وما زالت حتى كتابة هذه السطور ـ يحكمها نظام نقول فيه ما لا يقول مالك في الخمرة ، أم الخبائث. ولما كانت مجاورةً في الجغرافيا الجديدة لدولة يقال لها إسرائيل ، ولمّا كانت إسرائيل هذه هي حاملة الطائرات الامبريالية الأرْضيَّة ، فقد كان لدمشق كلمتها الأولى في هذا الصراع الذي يعتبر أوضح صراع في تاريخ البشرية ـ إذا استثنينا الحروب التي خاضها الأنبياء ـ بين حق الشعوب الآمنة وباطل القراصنة وقطاع الطرق.

كنتُ أعرف ـ ولم أكن الوحيد في هذا المجال ـ أنَّ حاكم سورية ونظامه يجنحان الى الخيانة الموصوفة ، كلما وقع العرب في مأزق وتوجهت الأنظار الى سورية. وكنتُ على مثل الثقة أنَّ دور هذا النظام لن يتعدَّى هذا الموقف الخياني ولن يحيد عنه. ولكنَّ الإنسان ـ كما قال المتنبي ـ يفزع بآماله الى الكذب. يرى الميْتَ أمامه فلا يكاد يصدِّق للوهلة الأولى ، ولربما كُنّا نحن العرب متميزين شيئاً ما ، في هذا المجال ، إذ أننا قلنا للضرير أبا بصير وللملدوغ بسم الأفعى القاتل سليماً ، وكل ذلك تفاؤل ، قد يكون فيه تهذيب وحياء وعاطفة إنسانية ، ولكنه يحمل قدراً غير يسير من تجاهل الحقائق والواقع.

الى مَنْ سيتوجّهُ الشاعر :

فَجِّرْ أيا جيلَ الغَضَبْ

رَمْلَ الجزيرةِ تَحْتَهُمْ.. يُحْرِقْهُمُ هذا اللَّهَبْ

ما زال يرنُّ في أذني صوت تلك العربية في فلم « عمر المختار » وهْيَ تنادي الأجيال العربية الى شيء من الغضب ، الى « الحمية » ، هذه الكلمة التي يصعب تفسيرها وتصعب

بالتالي ترجمتُها. توجهتُ الى جيل الغضب ، وذكَّرْتُهُ بأنه يَعْرِفُني من خلال تاريخي ، من خلال شعري وحياتي ، أبداً ، كنتُ شاعر الثورات في شرق الدنيا وغربها. وهناك ثورات غَنَّيْتُها وأسماء ذكرتُها لم أعد أعرف عنها شيئاً. لا يهمني أن تكون هذه الثورة أو تلك ، أو هذا الثائر أو غيره ، قد حادتا أو حادا عن الطريق التي جرى التبشير بها. فهذا شأنهم. ولكنْ تبقى الروح الثورية هي الأساس ، وهي التي تتجه إليها الأغاني والمغنُّون.

أيها الجيل :

تَدْري بأني حيث دار الحقُّ درتُ ولا أُبالي
ألحقُّ شمسي.. بالأشعَةِ رحْتُ أكتبُ.. لا الظِلالِ
ماذا يكونُ العمرُ إلّا وقفةً للحقِّ في وجْهِ الضَلالِ

لقد تجاوب الجمهور مع هذه الأبيات. ربما لم يدركْ إدراك المثقف المحلِّل كل أبعاد المرمى الشعري ، ولا من أين أخذ مصادره ، هل استند الى حديث نبوي ، أم أبدع صورةً لم يأْتِ بها تعبير مِنْ قبل ، أم أخذ كلمة ما فتىء الناس يرددونها كلما حَزَبَ الأمر ، ووقف الشرف مخذولًا في وجه العهر المنتصر؟

ماذا يفعل الشرف حينذاك ، هل ينتحر احتجاجاً. وهذا الانتحار ـ بصرف النظر عن رأي الأديان فيه ـ هو لونٌ من ألوان الجبن واليأس والاستسلام. ومع ذلك فقد راوَدَتْني هذه الفكرة ، وأنا أشهد بعينيَّ وعقلي وضميري ، المُبْصرين جميعاً ، كيف تتكالب الجريمة المنظمة على الطُهْرِ الثوري. ولكنَّ الإيمان سرعانَ ما صَرَفَ عني هذاالتفكير. وتدخَّل فزعي بالآمال الى الكذب :

أيهددونَكَ يا عراق ! وعيدُهُمْ ووعودُهم تحت النِعالِ

وَلَأشهَدَنَّ اللّهَ ، لولا أنه الإيمانُ في قلبي ،
وإيماني بربي ،
والعراقْ
وبوثبة الشامِ التي ربضت طويلًا في الوَثَاقْ
لقتلْتُ نفسي أيها الأشباهُ ، محتجاً على هذي الفضيحةِ ،
والخيانات القبيحة ،
حيثُ في نَجْدٍ ، جيوشي ، والحجازِ
لِتَصُونَ قارونَ المَخازي
في حينَ جولاني ولبناني ، وضفَّتُنا وغَزَةٌ.. هل أذكِّرُكم بقُدْسي..
لقتلْتُ نفسي
خجلًا من الأمواتِ والأحياءِ أنا الصامتونَ
وأنَّنا المتكدسونَ وراء أحذية الغُزاةِ الطامعينْ
لِنُبَرِّرَ العدوانَ ، أو لنكونَ حرّاساً لإسرائيل ،
أوْ عَوْناً لإسرائيل ،
أوْ مُتَسوِّلينْ
من سارقي بترولنا الجَوْعَى الى ثَرواتنا والمدَّعينْ
رغْمَ التَسوُّلِ أنَّهُمْ كاسون عُرْيَ الآخرينَ ، ومطعمونْ
مِنْ دافني تلك النُفاياتِ المُشِعَةِ في رمالي
تحت الظلامِ وتحت قَعْقَعَةِ السلاحِ ، وما هنالك من مُبالي

لن أقطع تسلسل هذه الأفكار إلا لأؤكد على نقطتين : الأولى ان الغزاة المعتدين جاءوا يضعون أيديهم وأرجلهم على حرياتنا وثرواتنا ، يسرقوننا وينهبوننا ، يأخذون كل شيء منا ،

ثم يعرضوننا على شاشاتهم حفاةً عراةً يأكل الذباب من عيوننا المنطفئة ، ويَسْتَحِيي مِنْجَلُ الموت أن يحصد تلك المومياءات التي شبعت موتاً متنوعاً ، إذا كان للموت الذي يعرفه عزرائيل معنى واحد وهو أن تذهب روح الميت الى الجنة أو الى الجحيم. وبعد أن يسخر مِنّا مَنْ يَسْخَر ، ويَرِقُّ لحالنا مَنْ يَرِقّ ، يقرِّرُ اللصوص أن يمنحونا مِنْ مالِنا صُرّة على طريقة ما يُسمّى بعطايا الملوك ، ولا يُقْدِمون على ذلك إلّا بعد أن يملأوا صحفهم ومجلاتهم وكتبهم ومحاضراتهم وإذاعاتهم وتلفزاتهم مَنّاً علينا ، وإشفاقاً على بؤساء ، لا يصلحون إلّا للإستجداء.

أما النقطة الثانية التي لم يتوقف عندها الناس فهي ان الولايات المتحدة الأميركية على وجه الخصوص قد استغلّتْ حشدها للجيوش الجرّارة في جزيرتنا العربية ، و « تحت الظلام ، وتحت قعقعة السلاح » فَدَفَنتْ ، وبالمجّان ، قسماً كبيراً من النفايا المُشِعَّة والكيماوية التي كانت تعرضها على جميع أسواق الدول المتخلفة فلا تجرؤ حكومة على قبولها ، ومهما كان الثمن. إنهم حريصون على تجريدنا من السلاح النووي والكيماوي ولكنهم حريصون على دفننا مع نفاياتهم هذه في رمالنا التي سار عليها الحجيج عصوراً ، وما زالت طريقاً للناس وللحجيج حتى بعد اختراع الطائرات واستخدام المراكب الفضائية غداً. إننا واثقون من أن دفن هذه النفايات لم يتمّ حتى حسب الشروط المفروضة في دفنها. وسوف تكون لها عواقبُ وخيمة على سكان المنطقة ، تتعدّاها الى مناطق أبعد.

هل هو اليأسُ إذاً :

لكنْ .. اثوبُ ، فإنما هيَ غُمَةٌ وستنفرجْ
والفجْرُ فجرُكَ من دياجير الخطوب سينبَلِجْ
إنْ كنتَ تألَمُ يا حبيبي يا عراق فإنما هم يَألمونْ
لكنَّما ترجو من الرحمان والعلياءِ ما لا يرتجون

تذكير بقوله تعالى في مخاطبة المؤمنين المجاهدين : « ولا تَهِنوا في ابتغاء القوم. إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون » صدق الله العظيم.

ألقاتلو أطفالنا في «بَصْرَةٍ» بحصارِهِمْ
والقاتلو أطفالنا في «غَزَّةٍ» برصاصِهِمْ
متشابهونْ

ذلك ربط واقعي بين العدوان الامبريالي الغربي والعدوان الاستيطاني الصهيوني على أمتنا العربية ، في العراق وفلسطين ، وعسى أن تهتز ، لذلك ، المشاعر فتربو ، كتلك الأرض الميتة التي يُغادِيها المَطَرُ فَتَهْتَزُّ وتربو وتُنْبِتُ من كل زوج بهيج :

فوَحقِّ حبِّكَ يا عراقُ ، وحقِّ مائِكَ والترابْ
إنْ غامروا فَلَنَبْعَثَنَّ لحشدهم مَوْت الفُجاءَةِ والعذابْ
وإذا طَغَوْا واستكبروا فسيعلمون بأنَّ ظُلْمَكَ يا عراقْ
مُرُّ المَذاقْ
وبأنَّ حبَّكَ رايةُ المتمردين على الخنوعِ لكلِّ شيطانٍ مَرِيدْ
ولكلِّ جَبَّارٍ عنيدْ
بشّرْتَهُمْ ، يا عزَّنا العربي ، لمّا استفتحوا بالخيبة الكبرى
وماءٍ من صديد..

إنّي لأومنُ أنَّ ربي ، ربّ هذا البيت يفعل ما يُريدْ
فلعلَّها سَتبُيدُ هاتيكَ الحشودْ
طيرٌ أبابيلٌ جديده
تنقضُّ فوقَهُمُ ، تُغِيرُ وفي طليعتها القصيده !

كنتُ دوماً أعتقد ـ وما زلت ـ أن الشعر العظيم قادر على التنبؤ لأنَّ فيه شيئاً كثيراً من الوحي ، ولأن فيه شيئاً كثيراً من الثقافة ، والصدق. فهل خاب تنبؤ الشعر هنا. إن الذي ينظر الى العاقبة السطحية سوف يستنتج خيبة هذا التنبؤ. ولكن الأمر ليس بمثل هذه البساطة والسطحية. فالراية ما زالت في يد العراق ، والمتمردون على الخنوع يتكاثر عددهم تحت هذه الراية. وإذا كان الغول قد تمادى ، ولم تقتله الضربةُ الأولى لِنَجدَهُ قد عاد الى الحياة بعد الضربة الثانية ـ حسب الأسطورة ـ فلقد تَعدَّدت الأغوال هذه المرة ـ حسب الواقع ـ ، عربية وتركية وإيرانية وأميركية وفرنسية وبريطانية وروسية وصينية ، وتنوَّعَتْ عمالقةً وأقزاماً ، وتلوَّنَتْ خديعةً ورياءً ، وكان الشرُّ يجمعها ، ويقتسم الذلَّ معه هذه التركة المشؤومة.

ويعود الشعر الى التنبؤ الصادق :

واللّهِ ـ جَلَّ جلالُهُ ـ لو أفلحوا ، لا أفلحوا ،
لانْهَدَّ صَرْحُك يا عروبَهْ
ولعادتِ الأشعارُ تَلْطِمُ فوق أطلالِ الحبيبه
ولعادَ كلٌّ حاملًا في دربْ جلجُلَةٍ صليبَه.
كلّا ، وحبكِ، إن في وطني العراقَ ،
وإنَّ في وطني جنودَ الحقِّ تحت لوائه العالي

ورَفْتِهِ المَهيبَهْ
هُمْ عاهدوا عَهْدَ الرجولة والشبيبَهْ
عَهْدَ العراقيّاتِ ، عَهْدَ الماجداتِ بَناتِ خَوْلةَ أو نَسِيبَهْ
عَهْداً سينتصِرُ العراقُ ، وسوف تنتصِرُ القضيَّهْ
ويهزُّ أعماق الضمائر صوتُكَ الردَّادُ :
يا قومُ ، المَنِيَّهْ
لا الدنيَّهْ
ولسوف تنتَصِر الحياةُ إذا أجبناهُ.. نداءَكْ
وإذا رفَعْناهُ.. لواءَكْ
ولَأنْتَ مسموعُ النداءْ
ولأنْتَ مرفوعُ اللواءْ
ولأنْتَ أنْتَ لنا الرجاءْ
فاضْرِبْ بنا الأَعداءَ وابْنِ بنا سَلامَ الأقوياءْ

أنهيت هذه القصيدة في كانون الأول ، بصوفيا ، عام ١٩٩٠. وأذيعت مراراً من بغداد ، وأُلقيت ، هذا اليوم ، في الاحتفال الذي جمعت له الأحزاب الوطنية والمنظمات والنقابات التونسية في « بورصة الشغل » ، وتجاوَبَ معها الحضور تجاوباً أعاد الى ذهني أمجد مواقفي الخطابية الشعرية في طرابلس الجماهيرية ، وبغداد ، ودمشق والجزائر وتونس فلماذا ؟ لماذا نجحت القصيدة ؟ هل لأنها فقط تعبِّرُ عن مشاعر وأحاسيس جماهيرنا العربية عامة وهل للمباشرة دَخْلٌ في الأمر. ولكن ما أكثر القصائد التي عبَّرَتْ عن كل ذلك ولم تُخَصُّ بمثل هذا الاستقبال. ولا أريد أن أجعل من هذه المذكرات مجالًا لمثل هذا النقاش ،

فقد حفلَتْ كتاباتي النثرية بتوضيح مثل هذه القضايا. وأنا لستُ ضد المباشرة ولا معها ، ولستُ ضدَّ الرمز ولا معه ، ولستُ ضد الالتزام ولا معه. أنا مع الشعر والشاعرية. الشاعرية الحقة وحدها التي تعرف كيف تتعامل مع الحدث فتصوغ منه شيئاً ذا معنىً وذا أثر ، في كيان الفرد والجمهور. وهذه الشاعرية لا يمكن لي أن أحدِّدَها ، لا الآن ، ولا من قبل. وهل لي أن أحدِّدَ نَشْوَةَ العطر أو رَهْبَةَ الصاعقة.

الثلاثاء ١٥ يناير

باخرة السلام التي تقلُّ مواد طبية الى العراق عاملتها سلطات قناة السويس معاملة سيئة شاذة وتقاضت منها مبالغ كبيرة لقاء عبورها القناة.

أقرأُ في مجموعات القصص والأشعار التي بين يديّ. لم أجد في بعض الكتّاب المشهورين ما يستحقون عليه هذه الشهرة. أما شعراء الشباب فقد علَّقْت على قراءاتي لهم : لديهم موهبة ، لديهم أحياناً صورٌ جميلة ، وإشراقات بديعة. ولكنهم ، قطعاً ، لم يصبحوا شعراء ، وأخشى عليهم ، في جو الجري وراء الشهرة أنهم لن يصبحوا.

قرأْتُ أن (المفوضية المؤقتة لشؤون اليهود القومية لدى مفوضية الشعب لشؤون القوميات في جمهوريات روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفياتية) ـ وذكَّرني هذا الاسم الطويل بأسماء بعض جمهورياتنا وضحكت ـ قد وجَّهَتْ في ١٩١٩/١٢/٢٨ ، نداءً خاصاً استنكر بشدة محاولة الصهاينة لإنشاء دولة لهم

على أرض فلسطين ، على أنقاض أهلها العرب. وجاء في هذا النداء : « إن جماهير الشغيلة اليهود ترى في جمهورية روسيا الاشتراكية وطنها الاشتراكي الذي تدافع عنه في الجبهات ، مع عمّال روسيا وفلّاحيها ضد امبريالية دول الوفاق وجميع العملاء.. إننا لسنا بحاجة الى أية بلدان أخرى. ولا نرغب بأية حقوق قومية لامتلاك فلسطين. ونحن نعترف بهذه الحقوق كاملة لجماهير العرب واليهود الكادحة ».

فكيف نفسّرُ موقف أحفاد هؤلاء الذين جرُّوا وراءهم اسماً طويلًا وإثماً أطول.

وبعد أنْ كان المؤتمر الثاني للكومنترن ، بقيادة لينين ، يفضح « الجوهر الاستغلالي للوطن اليهودي » الذي كانت الدعاية البريطانية تغالي في تصوير تواضعه ، ويُظْهِرُه على حقيقته التي هي تأسيس دولة صهيونية هـدفها استغـلال العرب واضطهادهم ، أصبح الاتحاد السوفيـاتي يسير على خطى بريطانيا ، بل أصبح يجثو بين يديها ، في عملية تزلُّفٍ وعبودية لم تَشْهَدْ لها مثيلًا دولةٌ كانت تُدْعى أو تَدَّعي أنها عظمى.

● عادت زوجتي من زيارة وأخبرتني أن أبا إياد وأبا الهول ، القائدين الفلسطينيين البارزين ، قد اغتيلا ، وأن الذي أطلق عليهما النار هو حارس أبي الهول الشخصي. ولا أدري كيف عادت الى ذهني ـ دون كل الصور وهي كثيرة في هذا المجال ـ صورة عمادالدين زنكي وهو يحاصر قلعة جعبر على الفرات ، ثم يقتله وهو نائم أحدُ مماليكه. ووجدتني أكتب في مذكراتي : « جرى اغتيالهما بينمـا المستقبل الفلسطيني بـل المستقبل العـربي عامـة في امتحان الوجود إطلاقاً. وجرى استشهادهما رابطاً بين المنازلة

الإنسانية البطولية التي يخوضها العراق الشامخ ، وبين القضية الفلسطينية التي تحالفت ضدها كل قوى الشر واللا منطقية والتبعية بشيطانها الصارخ ، والسكوت عن الحق بشيطانه الاخرس.

وهكذا عَمَّدَ استشهادهما بالدم هذا الحلف المقدس المرتفع الى علياء العروبة والحق ، بين المنازلة العراقية والمقاومة الفلسطينية لأعتى قوتين ، على الصعيدين المادي والإعلامي ، عنيتُ الأمبريالية والصهيونية ، وإن كانتا في واقع الصوت والفعل الشرِّيرين تؤلفان ـ في الحقد على العروبة والإسلام والقانون الصحيح ـ كُلًا مشؤوماً لا يتجزأ.

وهكذا ونحن نسير على دربهما ـ نقرن اللوعة الإنسانية المشروعة بـالعهد الإنسـاني النضالي المشـروع والملزم ، أنَّ الشهيدين ، وأنَّ شهداء الانتفاضة والمقاومة وأُمِّ المَعارك ومَنْ انْضَوى في صَفِّهم ، مادياً وروحيًّا ، هم جميعاً في قلوب المؤمنين المخلصين ، وضمائر المنصفين ، وعزائم المقاتلين ، وفي إشراقة النصر المبين.

ذهبنا لنعزِّي بالشهداء في مدرسة القدس بتونس. كان هناك جمع غفير. وكان أبو عمّار يتقبل التعازي. عانقني والدموع في عينيه وعينيّ. قال معتذراً : لم أجد الوقْتَ للإعتناء بك كما يجب. وشدَدْتُ على يده قائلًا : ليحفظك الله !

تذكرْتُ أن أول لقاء لي بالشهيد هايل عبدالحميد (أبو الهول) تمَّ في عام ١٩٨٥ عندما دعاني أبو عمّار لزيارته في تونس. وقد اجتمعْتُ الى الشهيد ، ربما في منزله الذي اغتيل فيه. لم أكن ألقي بالًا الى المكان ، أو الساعة ، ولم أكن أسجلُ

بعد ذلك ما دار بيننا من أحاديث. الذي أذكره اننا تحدثنا عن سورية ، وعن القضية الفلسطينية ، وعرَضْتُ آرائي وأفكاري ، وبدا لي أن أبا الهول كان موافقاً عليها. ثم عندما التقيتُ أبا عمّار ، ولا أدري في أي مكان من تونس حصل هذا اللقاء ، حضر أبو الهول جانباً من المقابلة ، ولعله أشار الى حديثنا السابق بجمل مقتضبة ثم انسحب. بعد ذلك قابلناه ، في وفد سوري ، منذ أيام ، في مقر عمله ، وكنا نعزيه بوفاة العقيد « أبو داؤد » بين يدي معذِّبيه الجلّادين من محترفي القتل في نظام حافظ الأسد. وأضيفُ الى ما سجّلْتُ سابقاً أنَّ أحد أعضاء وفدنا السوري ، بل هي سيِّدةٌ على وجه التحديد ، طالبت أبا الهول بضرورة القيام بعمليات تفجير أو قتل لبعض رموز التسلط الأسدي. وقلتُ بعد ذلك لرفاقي في الوفد ضاحكاً : ألحق أني كدْتُ أؤيدها على وقاري وعلى حبي للسلام وعداوتي للإرهاب ، لأني تذكرْتُ ما كان يراه ابن خلدون ـ ونحن جديرون بأن نتذكره ونحن في مسقط رأسه ، تونس ـ من أنَّ الحُكْمَ الهَرِمَ تَطُولُ به الحياةُ لأنه لا يَجِدُ مَنْ يُطْلِقُ عليه ما نسميه اليوم برصاصة الرحمة. وكدْتُ أرى في عملية التفجير ، تلك الشرارة التي تشعل فتيل القنبلة التي ستدمر النظام. ولكني لم أفعل بالطبع ، لأني معادٍ فكرياً وعملياً لهذه الأعمال ، ولأنَّ مثل هذه الحوادث قد وقعت بالفعل ولم تؤد إلّا الى قتل أبرياء ، والى تدعيم النظام. أمّا أبو الهول فقد استبعد ذلك واستنكره وأخذ يبرهن عن عدم جدواه ، بل عن أثره السلبي. وقد كان في نفسي أن ألتقي ، بعد ذلك ، بأبي الهول لقاءً خاصاً ، وعبَّرْتُ عن رغبتي ، وكان اللقاء سيتمُّ بين يومٍ وآخر لولا ان الحادث الفاجع أنهى هذه الرغبة الى الأبد.

كنتُ أريد هذا اللقاء لاسباب كثيرة ، منها أني أكْنَنْتُ مودّةً لهذا الرجل ، وتواضعه حتى الحياء كما بدا لي ، ولأنّ قوله ما زال يرنّ في أذني وهو يتحدث عن العقيد الشهيد أبي داؤد : إنه بالنسبة للمقاتلين أهمُّ مني ومن القيادة ! ، ولأني وجدْتُ نوعاً من التواؤم النفسي معه ، ولأنه المسؤول عن الأمن. وهنا كنت أريد أن أطرح عليه هذا السؤال الذي لم أجد له جواباً كافياً شافياً منذ أن جرت محاولة اغتيالي على مطار صوفيا ، وخفَّتْ أبواق ، قديمة وجديدة ، من صوفيا الى يوغوسلافيا الى بـــاريس الى تونس الى الجزائر ، الى الولايات المتحدة الاميركية ، تذيع وتروِّج بأنّ الحادث مفتعل ، وتتهجم عليّ وكأني أنا الذي قمتُ بمحاولة اغتيال بطلهم وسيِّدهم حافظ الأسد ، وليس هو الذي نظَّمَ هذه المحاولة ـ والعديد غيرها ـ شخصياً. وإذا غفرْتُ فلن أغفر لهم دموعَ زوجتي عندما أفقْتُ من غيبوبتي وأنا ملقىً على نقّالة ، وقناني وأنابيب مضادات الحيوية وغيرها معلقة الى ذراعي ، فإذا بها تذرف الدموع في صمت رهيب ؛ ولا ولَهَ ابنتي وهي تسأل عني في مستشفيات باريس ، حتى اهتدَتْ إليّ عند منتصف الليل في مستشفى « بوسيكو » وكنتُ ما أزال فيه تحت اسمي الصريح ، ولو تأخرَتْ قليلًا لصعب عليها الإهتداء لأني نُقِلْتُ بعد ذلك الى المستشفى العسكري الفرنسي بباريس حيث وضعوني تحت اسم فرنسي زيادةً في الاحتياط.

كنتُ أريد أن أسأله : بماذا يفسِّرُ توزيع المناشير التي تريد أن توجد خرقاً بيني وبين القيادة العراقية ، ثم تبرىء حافظ الأسد من هذه الجريمة ، مشيرةً الى أن المجرم الحقيقي لم يُلْقَ القبض

عليه ، وأن الجهة التي أمرت بالاغتيال غير معروفة !

وأردنا شيئاً وأرادت حكمة الله شيئاً آخر.

الأربعاء والخميس ١٦ ـ ١٧ يناير (كانون الثاني)

كان البابا هو الوحيد الذي لم يسحب ممثله في بغداد ، إشارةً صريحة الى موقفه ضد الحرب.

وفي الساعة الثانية عشرة من يوم الخميس بدأ الأميركان الحرب بكثافة نارية لا عهد بها للعالم ، وانطلقت عاصفة الصحراء وسَجَّلَتْ أكثر من ألف وثلاثمئة طلعة جوية في أربع وعشرين ساعة. وبدأت مناورات الاتحاد السوفياتي والصين ، وسط جو من النفاق الرسمي محيِّر. وأخذ الأميركيون في بداية هذه الحرب دور عرب ١٩٦٧ ، عندما كانوا ينشقون صراخاً هستيرياً بانتصارات وهمية ؛ وهكذا منذ الجولة الأولى كانوا قد أبادوا كامل القوى العراقية النووية والكيماوية.

يضرب الأميركان الجبناء ـ الذين يرفضون المنازلة ـ عن بُعد ألف وخمسمئة كيلومتر. على العرب أن يدركوا دور العلم. وهذا ما أراد صدَّام حسين أن ينبههم إليه عندما أراد أن يبني القوة العربية والتكنولوجيا العربية ، ولكنَّ العديد من حكامهم أبوا إلّا أن يكونوا أبداً في عِداد المتسوِّلين والعبيد ، أمّا حافظ الأسد فأسرع الى التصريح بأنه ضدَّ تقسيم العراق ـ دون مقدِّمات أو أسباب ـ وكأنه يذكِّرُ المعتدين بهذا التقسيم ويحضهم عليه ، أو كأنه يشير الى خطة أطلعه الأميركيون والعملاء الخونة عليها

وسوف تنبثق في حينها.

رنَّ هاتفنا في حدود الثانية ليلًا أو بالأحرى صباحاً. وتوانينا في الرد، وعندما فعلنا كان الهاتف قد أُغلق.

الجمعة ١٨ كانون الثاني

كان هاتف الأمس بُشرَى يريد أن يزفها إلينا صديق فلسطيني وهي ان صواريخ العراق قد ضربت تل أبيب وعدة مدن إسرائيلية. وبالفعل، عرض التلفزيون الإيطالي صوراً خاطفة لتل أبيب تحت الصواريخ العراقية، ولم يعرضوا قتلى أو مصابين. وفي الأخبار الفرنسية أن الجماهير زحفت في الجزائر على وزارة الدفاع مطالبةً بأن تحارب الى جانب العراق. وبكى الناس في المساجد ترحماً على شهداء العراق. موقف النظام السوري يتجاوز موقف إسرائيل سوءاً، مبرِّراً لهذه الأخيرة كلَّ ما يمكن تصوره. ويعجب الذي يستمع الى مختلف الإذاعات الغربية لشيئين بين أشياء كلها عجاب. الأول هو هذه التبعية العمياء لأميركا ولا شيء إلّا أميركا. فهي التي توزع الأخبار، وهي التي تشير، وهي التي تقود وتأمر، وهي التي تتعهد لإسرائيل بتدمير العراق؛ والثاني هو هذه الضحالة في الوعي والتحليل.

السبت ١٩ كانون الثاني

غارة جديدة بالصواريخ العراقية على تل أبيب والقدس الغربية. أميركا تحضُّ إسرائيل على عدم الردّ خوفاً من تحسس جديد عارم للشارع العربي والإسلامي، وإحراج الأنظمة العميلة المتحالفة ضد العراق. الأردن لن يسمح للطائرات الإسرائيلية

باختراق أجوائه وسيرد بالوسائل المتوفرة لديه. أمّا النظام الأسدي فصامت صمت القبور، بل صمت المتآمرين. عرض التلفزيون الفرنسي ـ القناة الخامسة ـ صوراً للناس في بغداد، هادئين، مبتسمين، والأطفال يشيرون بعلامة النصر، في حين عمَّ الفزع والهلع إسرائيل يوم القصف. سجَّلَ النظام السوري صكاً خيانياً جديداً يضاف الى فاتورته الطويلة معلناً أن سورية لن تنسحب من القوى المعادية للعراق، وأنَّ من حق إسرائيل أن تردَّ. تصريح رسمي ومع ذلك فهل يصدِّق السامع أذنيه!

الأحد ٢٠ كانون الثاني

كتبتُ قصيدة جديدة عنوانُها « الله أكبر » وقرأْتُها لمنْ يترددون عليَّ، وطبعنا منها نسخاً كثيرة للتوزيع المحلي والخارجي. يتصاعد موقف الصحافة والتلفزة التونسيين الى جانب العراق. الفرنسيون ـ منذ أول أيام الحرب ـ يرسلون عدداً محدَّداً من الطائرات تهاجم نفس الهدف وفي كل مرة تعلن عن تدميره.

الاثنين ٢١ كانون الثاني

حلمتُ أني نازل في فندق، ومعي مفتاحان، ولم أكن أدري رقم الشقة أو الغرفة، وكنتُ محمّلًا بالأغراض. وأخيراً خيِّل إليَّ أني اهتديت.. وسقط معطفي وتناوله شخص. ولما افتقدته أشار من حولي الى الرجل فمدَّ يده بالمعطف. ووقفْتُ أمام المصعد وفتحته وبينما أنا أهمُّ بإصعاد أغراضي انطبق المصعد ثم عاد فانفتح.. ثم أدخلْتُ أغراضي في المصعد.

مَنْ لي بيوسف الصدِّيق لينبئني بتأويله أم أقول كما قال

الملأ للملك عندما أرادهم أن يعبروا له رؤياه : أضغاث أحلام !

أبعدت فرنسا اثني عشر دبلوماسياً عراقياً ـ في عملية إبعاد ثانية ـ وقد حملتهم طائرة الى تونس.

الثلاثاء ٢٢ كانون الثاني

ضرب العراق للمرة الثالثة إسرائيل بأربعة صواريخ حسب المحطة الأميركية .C.N.N واعترفت إسرائيل بمصرع ثلاثة واصابة رابع بجراح بالغة. وقد أطلقوا صاروخ « الباتريوت » المضاد ، الذي طالما أخافت به الولايات المتحدة الأميركية العالم ، وخاصة الاتحاد السوفياتي ، ولكنْ يبدو أنه لم ينجح. في الأخبار أنَّ ٨٩٪ من الأتراك يعارضون دخول بلادهم في الحرب.

أصدر سبعة وأربعون كاتباً سورياً بياناً ندَّدوا فيه بالعدوان الذي يشنُّه « التحالف الاستعماري المعادي للشعب العربي ، وعلى رأسه الولايات المتحدة ». وأشاروا الى أنَّ « الحرب القائمة الآن ضد العراق تعبير عن عنصرية سافرة وعدائية جديدة وحقد أسود على الشعب العربي بأسره » وأكَّدوا على أنَّ « هذا التاريخ الأميركي الأسود يجعل من شعار تحرير الكويت مزيجاً من التحليل الساذج والدعابة السمجة وان الهدف الذي تسعى إليه واشنطن يتمثل أولاً وأخيراً في تدمير كل فعل عربي يمنع عن اليد الأميركية تحكُّمها الطليق في الأرض والمستقبل العربيين ». وخلص البيان الى « ان هـذه الحـرب المجـرمـة لا تصيب العـراق وحـده وإنما المستقبل العربي بأسره ، ولأنها كذلك فعلى الإنسان العربي أينما كان ، ومهما كانت حدوده وقدراته ، أن يتصدَّى بالقدر الذي يستطيع للإجرام الأميركي ». ووجَّه أخيراً « تحية الى شعبنا

المقاتل في العراق وتحية الى قواته المسلَّحة ».

وقد أسْرَعْتُ ، باسم رابطة الكتّاب والصحفيين السوريين في المهجر ، الى إصدار بيان وجَّهْتُهُ الى الإخوة في الأمانة العامة لاتحاد الكتّاب والأدباء العرب ، والإخوة في إتحاد الكتّاب التونسيين ، والإخوة في جمعية الصحفيين التونسيين ، والإخوة في إتحاد الكتّاب والصحفيين الفلسطينيين. جاء فيه : [إنَّ هذا البيان - بيان الكتّاب في سورية - لا يدرك أهميته وجرأته إلّا مَنْ كان يعيش في ظروف هؤلاء الكتّاب تحت أعتى دكتاتورية وأكثرها قمعاً ودمويةً وإرهاباً في تاريخ سورية. وإننا نجزم أن حياتهم الآن ، بشكل من الأشكال ، في خطر. ومن واجبنا أن نشعرهم أننا الى جانبهم وأننا لن ننساهم. ونحن بدورنا ، مَنْ يعيش منا في المهاجر ، ومَنْ يبتعد ، بمقدار ، عن ذراع القمع والقتل الطويلة ، نرى من الضروري إحاطة إخوتنا وزملائنا في البلاد العربية وفي العالم بما يجري في سورية ، ولكي لا يتعرَّضَ هؤلاء للانتقام الرهيب فتنطوي عليهم سجون لا يعلم إلّا الله متى ستنفتح وهل سيكونون عند ذاك شبه أحياء ، أم شهداء.

« إننا نعلن ، بكل مسؤولية الكلمة ، أنَّ الخيانة الصارخة التي ارتكبها النظام السوري بوقفته في خندق واحد مع العدو الصهيوني والأمبريالي ، متخلياً عن شرف المعركة من أجل سورية وفلسطين وكرامة الأمة ، لن تمرّ دون عقاب رهيب من الله والشعب والجيش والتاريخ. ولئن طلب الكاتب الفرنسي جيل بيرين من القوات الفرنسية المتواجدة في نجد والحجاز أن يحطم جنودها أسلحتهم وأن يرفضوا القتال ، فلا أقلَّ من أن نناشد ، نحن

الكتّاب العرب ، جنودنا الذين يقفون في خندق واحد مع الصهاينة لتدمير قوة العراق وتهديم بنيانه ، وقتل أهلنا ، كي ينسحبوا من « تحالف » الشر والصهيونية وينصهروا قوةً جديدةً في قوة العراق المدافع عن وجود الأمة. أمّا جيوشنا في الأوطان فلا أقلَّ من أن تَهبَّ بالوسائل والأساليب التى ترى ، لنجدة الجيش العراقي البطل ، وأن تتوجه ، بكل وزنها الحربي والعقائدي ، الى إنزال الاحتلال قبره المحفور دون إبطاء ، غاسلةً العار الذي ألحقته بها الأنظمة الخيانية الارتزاقية.

« إننا نحيي بكل الاعتزاز مواقف كتّابنا في العراق الشامخ الذين يشاركون في معركة شعبهم وأمتهم ،كما نحيي مواقف كتّابنا في وطننا العربي ، هؤلاء الذين آمنوا بأن معركة العراق معركتهم وأنهم جنود في أمِّ المعارك ».

الأربعاء ٢٣ كانون الثاني ١٩٩١

أصدر المثقفون اللبنانيون بياناً قوياً ضد الغزو الأميركي الأطلسي للبلاد العربية.

أذاعت القناة الثانية الفرنسية ان أكثر من أربعمئة مولود في الأردن أُطلقَ عليهم ذووهم اسم « صدّام ».

أعطت أميركا أوامرها لجميع إذاعات الغرب والمرتزقين أن تنعت صدّام بالدكتاتور ، فانهرت الدكتاتورية على ألسنتهم. كما أصدرت أميركا أوامرها بطرد العراقيين واعتقالهم ، وهكذا أخذ كل بلد ينفذ بحقد واستخذاء أوامر زعيمتهم المتجبرة والغبية معاً. قال الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد ، أمام برلمانه ، أنَّ بوش رفض استقباله للتحدث في شؤون الحرب. خدّام والشرع يسرعان

الى إيران كي يُحْكِما معها خطةَ نفاقها ثم تآمرها. العراق يشترط تطبيق معاهدة جنيف على الفلسطينيين في الأرض المحتلة ، وعلى جميع السجناء من أجل فلسطين والتحرر.

حضرْتُ حفلة التجمّع الاشتراكي التقدمي من أجل نصرة العراق ، وألقيتُ القصيدة الجديدة : « الله أكبر » ، وكان العراق قد طرَّزَ هذا الشعار على علمه :

[ألله أكبرُ. بعد بِسْمِ اللّهِ أبدأُ باسْمِ بغدادٍ وباسْمِ القُدْسِ
والشهداءِ والشرفاءِ في دنيا تعيشُ بلا ضميرْ
باسْمِ المروءةِ والحميَّةِ والغَدِ العربيِّ أدعو مَنْ أقول له إذا
خاطبْتُهُ : وطني الكبيرْ]

أجل ما اقترن يوماً اسم بغداد الى اسم القدس بأمتن وأروع ممَّا اقْتَرَنا في هذه الجُلَّى التي نزلت بالأمة العربية. ويتفرج العالم على هذه الجريمة وكأنَّ عينيه من زجاج ، وأن ضميره قد وُضِعَ في ثَلاجة حقيقية. لا كتلك الثلّاجة التي وضع المشير المنتحر عبدالحكيم عامر أعصابه فيها ، وهو يقابل ، مرتعداً ، الإنقلاب السوري على حكمه المأساوي والهزلي معاً.

[وأَصِيحُ بالمنفى الذي لم يعرِفِ الأوطانَ ، والوطنِ الذي
سكَنَ المنافي ،
وأصيحُ بالدنيا : اسمعي. هذا ندائي واعترافي
أرأيتمُ. أسمعتم كيف العراقْ
متوحِّداً. متفرِّداً في الساحِ مثل الطودِ ترشقه قراصنةُ
الوفاقْ
تلك الشرانمُ من طغام الغَرْب و «اليانكي» وصهيون

الجريمَهْ
والراضعي ثَدْيِ الخيانةِ والهزيمَهْ
أَللّه أكبرُ إنه يومُ القيامَهْ
كـلٌ بسيماه سَيُعْـرَفُ. هؤلاءِ الى الجحيمِ وهـؤلاءِ
الى الكرامَهْ
هيَ فُرْصَةُ العُمْرِ المؤرَّخِ بالمآسي
هيَ فُرْصةُ المَطَرِ المُهَدَّدِ باحْتباسِ
هيَ فُرصةُ النصْرِ الذي حَنَّتْ لِطَلْعَتِهِ البيارقْ
هُبّي جماهيرَ الأعالي وازْدُمي تلك الخَنادقْ
للشرِّ فيها والخيانةِ أَلْفُ وَكْرِ
أَلْفُ جُحْرِ
حَفَرَتْهُ فئرانٌ لتهدِمَ سَدَّنا العالي ، وَيَجْتاحَ الحَرَمْ
سَيْلُ العَرِمْ
صهيونُ إذْ عَبَرَتْ على مَتْنِ الشآمِ لكي تدمِّرَ «كربلاءَ» ،
و «النجَفْ »
وتكونَ بغدادي وبَصْرَتِيَ الهَدَفْ
قتلَتْ لنا حَجَراً وإنْساناً. ولكنْ في ربوعِ الشامِ دمَّرَتِ
الكرامَةَ والشَرَفْ
ثوري جماهيرُ. اعصفي بالخائنينَ فليس يُجْدِينا ـ إذا
لم تَعْصفي بهمُ ـ الأسفْ
أَدمشْقَ تغدو ذلك الجِسْرَ الذليلْ
لتدُكَ صهيونُ منازلَ للأحبَّةِ بين دجلة والنخيلْ
لأحرِّضَنَّ عليهمُ حبَّاتِ هذا الرملِ ، أو أمواجَ هذا البَحْرِ ،
أَو هَبَّاتِ ريحْ

لأحرِّضَنَّ عليهمُ الجُثَثَ التي راحت تهيمُ بلا ضريحْ
لأحرِّضَنَّ عليهمُ الاحلامَ تغدو ألف كابوس إذا هُمْ يَرْقُدونْ
لأحرِّضَنَّ عليهمُ الطوفانَ.. كلّا ، لن يَمُرَّ المعتدونْ
لَهْفي عليْكَ ، عراقُ ، وحدكَ حاملُ الاعباءِ ، معقودُ اللواءِ
شَرَفي وعزِّي أنْتَ. لكنْ واحيائي
من أمتي ، من كل تاريخي ، ومن أرضي ومائي !
متفرِّجينَ نَظَلُّ. لا « أُمُّ المعارك » أجَّجَتْ بالثأْرِ جامدةَ الدماءِ
كلّا ولا تلكَ الخياناتُ الصفيقةُ حَرَّكَتْ غَضَبَ السماءِ
يا ربُّ عَفْوَك أين وعْدُكَ بالمُعَجَّلِ من عِقابِ
ويجيءُ ردّك للجماهير المُهانَهْ
شُدِّي على لَيْلِ الخيانَهْ
صُبِّي عليهم مثلَ عادٍ أَو ثمودْ
سَوْطَ العَذابِ
لن يَخْنِقوا بِذراع غَدْرِ فارِسَ الأنهارِ دجْلَهْ
لن ينهلوا مِنْ مائِهِ القُدْسيِّ نَهْلَهْ
ستظلُّ تَلْمَعُ لي قِبابُ «الكاظِميَّهْ»
وتَمُدُّ أزوِقَةَ الصلاةِ لنا رحابُ « الأعظميَّهْ»
وبِكلِّ عُدْوانٍ على أَرْضي سَتُولَدُ «قادسيَّهْ»
ويَظلُّ هذا النهرُ ، كالتاريخ ، يَجْري
ورُصافتي وعيونُ أحبابي وجِسْري
ويظلُّ يرتفعُ البِناءُ كما الرِجالْ
ونظلُّ أسواراً ، قلاعاً ، فوق بَحْرٍ من رمالْ
أبداً يفورُ. وكُلَّما ابْتَلَعَ العِدى صاحتْ حناياه : أَلاهل

من مزيدْ
يا أَيُّها الجنديُّ ، سوريّاً ومصريّاً ، أُعيذُك أنْ تصيرَ
مَعَرَّةً بين الجنودْ
أنْجِدْ أَخاكَ وثُرْ لِعِزَّتِكَ السليبَهْ
واثأرْ وإيّاهُ لما انْتهكُوهُ مِنْ حَقِّ العروبهْ
والْحَقْ بجيش القادسيَّةِ والأماجِدِ من عراق الصامدينْ
هذا لِوَاءُ الحقِّ ، خَفّاقاً ، تَلَقَّاهُ عراقي باليمينْ
وبرغمِ أَنْفِ أنوفِهِمْ سيظلُّ رمْزا
ويُطِلُّ عِزّا
وتَظلُّ بغدادُ الأميرةَ بين كل مدائني
وتظلُّ ملحمتي وزَهْوَ مَلاحِني
وتظلُّ عنوان اعتزازي
وتعودُ لي نجدي ، يعودُ - بلا سعوديٍّ - حجازي
سيعودُ وجهي اليعربيُّ بمصر ، بالشامِ الأصيلهْ
ستعودُ أعراسُ القَبيلهْ
إذ تحْتفي بالفارس المولودِ من أشواقِ عاصفةٍ لِلُؤْلُؤَةٍ
يقالُ لها : البطولَهْ !
ولأنْتَ يا بِكْرَ العروبةِ ، يا عراقُ ، ويا مَلاذَ عواطفي
جَسَّدْتَ كل بطولتي ولآلئي وعواصفي
ومعاً لِنَضْرِبْ ذلك التِنِّينَ يا « خِضْراً » يُبَدِّدُ ، كالصباحِ ،
مَخاوفي
ومعاً سنسقي عَصْرَنا العربيَّ من جرحِ الشهيدِ النازفِ
وكما السيوفِ نُجَرِّدُ الأنوارَ في وجْهِ الظلام الزاحفِ
ومعاً سنبني عصْرنا العربيّ.. أشهدُ أنَّ تلك مواقفي

ومواقفُ الشعْرِ الذي حمل الشعاعَ لكي يُنيرْ
ومواقفُ الأحرارِ في الدنيا التي لابُدَّ من أن تهتدي
لضميرها ، أَو يستفيقَ بها الضميرْ
مهما يُحاوِلْ حَقْنَهُ بالسُمِّ والأفيونِ أَبْناءُ الأفاعي
ولِيَعْلَمُنَّ بأنَّ كلَّ النصرِ للزنْدِ المُقاتِلِ في سبيل اللّه ،
والحقِّ المُحاصَرِ ،
والجياعِ.]

أسأل الله أن يكون الأمر كذلك.

الخميس ٢٤ كانون الثاني

أرسلنا قصيدة « الله أكبر » مسجلة بصوتي على « كاسيت » الى بغداد ، على الطائرة نفسها التي أقلعت حاملةً موظفي السفارة العراقية المبعدين من باريس. وكانت وجهة الطائرة عمّان ، ومن هناك يركبون السيّارات أو الحافلات الى بغداد. أكَّدَ لي ممثل إحدى فصائل منظمة التحرير أنه أرسل القصيدة « بالفاكس » الى دمشق.

للمرة الرابعة قصف العراق إسرائيل. نمتُ باكراً ، وبقيت زوجتي تتابع الأخبار العربية والأجنبية. وعندما أفقْتُ ليلًا كانت قلقة من الأنباء التي تتحدث عن خسائر العراق الجسيمة.

الجمعة ٢٥ كانون الثاني

القصف العراقي يشمل مساءً تل أبيب وحيفا والقدس. حضرتُ حَفْلَ التضامن مع العراق الذي أقامه الحزب الشيوعي التونسي. كما حَضرَ فلسطينيون قياديون ، وطالب خطيبُهم القوى

التقدمية واليسارية أن تمارس ضغْطها على الاتحاد السوفياتي وتوعيتها بحقيقة هذه الحرب العدوانية ، لكون الاتحاد السوفياتي مسؤولًا بالدرجة الأولى عنها ، عَبْرَ الكُرْجي المتصهين ، شيفرنادزة.

السبت ٢٦ كانون الثاني

ذهبْتُ الى موعد ، في سيارة أحد الاخوة الفلسطينيين. وفي غمرة الحديث نسيَ نَفْسَهُ وتجاوز الضوء الأحمر ، وأوقفه الشرطي. وهذه مخالفة جسيمة تقتضي مبلغاً كبيراً من المال ، وربما حجز شهادة السائق. وطلب أوراقه فقال له انه فلسطيني وأنَّ رفيقه عراقي، وأريته جواز سفري ، فأخذه ، وتمعَّنَ فيه وهتف : ألله أكبر! وشدَّ على يدي بقوة، وأشار إلينا بالسير ، مُرَحِّباً.

العدوان الغربي الصهيوني يشمل الأحياء السكنية العراقية.

هجوم على السفارة الأميركية في « ليما » عاصمة « البيرو » ، وانفجارٌ قرب مطارها. انفجار في جريدة « ليبيراسيون » الباريسية ، وفي مرقص في اريزو بإيطاليا. حزب الشعب الباكستاني برئاسة بنازير بوتو ، يطالب بسحب القوات الباكستانية من السعودية ، وبانسحاب القوات المتحالفة من جانب واحد من الخليج.

وجَّهَ الرئيس التونسي زين العابدين بن علي في الثامنة مساءً رسالة الى الشعب عن طريق الإذاعة والتلفزة. كانت واضحة صريحة. توحّد فيها موقف الشعب والحكومة.

الأحد ٢٧ كانون الثاني

قرأتُ « حياة المسيح » لفرنسوا مورياك ، عضو الأكاديمية

الفرنسية (نشر عام ١٩٣٦). يقف المرء حائراً متسائلًا : رغم ان اليهود قتلوا المسيح وأنكروه ، فان « المسيحيين » لا يجرؤون حتى على انتقاد صلْبِ ابن الله ، بل يمهدون لليهود العذر ، وان إسرائيل (وهو يعقوب) الى يمين المسيح في الآخرة. أتصور لو ان العرب أو المسلمين هم الذين فعلوا ذلك !

أطلق العراق ستة صواريخ « حسينية » باتجاه إسرائيل والسعودية. استمرَّ قصفُ مدينة البصرة ست ساعاتٍ متوالية ، دون هوادة ، وقد اضطر المعتدون الى الاعتراف بأنهم قصفوا السكان المدنيين. ويح هذا العالم ، مذبحة شعب بأسره ولا أحد يتحرك.

يزداد موقف رفسنجاني خيانة للدين وللوطنية معاً. ولئن سقط العراق لتستعبدَنَّ أميركا العالم بأسره ، وسوف تُذِلُّ العربَ إذْلالًا لا عهد للذل به ، وستصنع منهم متسوِّلين ، بعد أن تستولي على ثروتهم ونفطهم غصباً كذلك الملك الظالم الذي خشي منه « الخضر » على صاحبي السفينة الصغيرين فَخَرَقها. وسيزحف الجراد « المستوطن » ليبيد السنابل.

الاثنين ٢٨ كانون الثاني

حضرْتُ حفلة الاتحاد الديمقراطي الوحدوي لنصرة العراق. وألقيتُ فيها قصيدة « الله أكبر ». وحضر قادة فلسطينيون الى جانب رؤساء الأحزاب السياسية التونسية. قصف العراق «إسرائيل» بصواريخه.

الثلاثاء ٢٩ كانون الثاني

في مهاتفة لبلغاريا علمْتُ أن السلطات ألغت تأشيرة الخروج للبلغار ،وأصبحوا أحراراً في السفر دون أي قيد. ولكنْ في المقابل ،

لم يعد هناك بلد يقبلهم ، إلّا ما كان لتهجير الأدمغة والاستفادة من الثقافة في ظل الاشتراكية لرفاهية المعسكر الرأسمالي.

الأربعاء ٣٠ كانون الثاني

أذعْتُ بياناً باسم الحزب الوطني الديمقراطي السوري الذي أرأسه جاء فيه :

[لقد كان من نتائج ما حذَّرنا منه أن وجد جيشنا نفسه في خندقٍ واحد مع الوف الضباط وصف الضباط والمجندين والمجندات والحاخامات اليهود ، على أرض الجزيرة العربية ، وعلى حدود العراق.

والقضية لَيْسَتْ ، أيها الشعب السوري الواعي ، قضية خيانة فرد وإن كان رئيساً ، ونظام وإن كان في بلد ذي تاريخ وطني وثقافي عريق كسورية ؛ ولكنَّ حافظ الأسد باستطاعته أن يتخلى للمستعمرين والمستوطنين القادمين عن مزيـد من الأراضي السورية ، بعد أن تخلَّى نهائياً عن الجولان ، وبعد أن أدهش العالم ، ولم يدهشنا ، بأن خرج هو وعصابته بتصاريح يرفض فيها رفضاً قاطعاً القبول بمعالجة القضية الفلسطينية في هذه الظروف ، متهماً العراق بالاعتداء على إسرائيل ، مؤكداً أنه لن يغادر معسكر الشر ولو أعلن الكيان الصهيوني الحرب ودخلها ضد العراق. خيانة نعم ، ولكن بمثل هذا الحجم من الصفاقة لا يمكن أن تصدر إلّا عن حافظ الأسد وشركائه. باستطاعة حافظ الأسد أن يفعل كل هذا وغيره ، ومع ذلك فلن يرضى الصهاينة بكل التنازلات والهوان الذي سيصيب العرب. إن لديهم مخططاً يريدون أن يكونوا بالِغيهِ ولنْ يَكْتَفُوا في سبيل تنفيذه بأن يَدُوسوا

الحكام المتآمرين معهم ، ولكنهم يطمحون الى أن يذبحوا أبناءَنا وآباءنا ، وشيوخنا ونساءنا ، وأطفالنا وحجارتنا ، وسوف يضعون مكاننا ملايين المستقدمين النازحين من الاتحاد السوفياتي وسواه. ويومذاك تقوم دولة إسرائيل كما أرادوها لتواصل عملها الشرّير في القضاء على كل قيمة حق وخير في هذه الدنيا.

من أجل سورية ، ومن أجل فلسطين ، ومن أجل مصر والأردن ، ومن أجل العروبة ، من أجل المستضعفين في الأرض عامةً ، يخوض العراق الشقيق حربه الدفاعية التحريضية على قوى الشر والاستكبار. وبمقدار ما تكون يقظة هذا العالم المستهدف من قبل الصهيونية والامبريالية سريعةً ، واعية ، تكون هزيمة معسكر الجريمة واللا إنسانية قريبةً ومحققة ونهائية.

إنَّ العراق يتحمل الآنَ عشرات ألوف الأطنان من المتفجرات الغادرة الجبانة على الأطفال والشيوخ والنساء والمنازل والمساجد والكنائس والآثار الحضارية من أجل أن يحمي عروبتنا وإنسانية الإنسان عامة. ولقد وضع النظام السوري المتسلط ، سورية في صف الصهيونية والامبرياليين بلا خجل ولا غطاء هذه المرة ، معتقداً بأنه لن يبقى بعد المعركة من ضمير يحاسبه ، أو قوة تعاقبه.

وإن الحزب الوطني الديمقراطي ، وجميع الأحزاب الوطنية المناضلة ، بمن فيهم هؤلاء الذين خدعهم النظام وآنَتْ صَحْوَتُهُمْ ، يُناشدون كلَّ القوى الفاعلة في شعبنا ، جنوداً وضباطاً ، فلّاحين وعمَّالًا في شتى الميادين ، مثقفين ومنتجين ، رجالًا ونساءً ، أن يهبُّوا بإيمان لا يتزعزع للعصف بهذا النظام بكل الوسائل مجتمعةً ومتوالية ، كي لا تتحقق أهداف الصهيونية والامبريالية

بإفنائنا كشعب ، وليس فقط بنهبنا وإذلالنا واستعبادنا ، وكي تغسل سورية عاراً يجب أن لا تقبله أو تصبر عليه.

ولنثق جميعاً أن الجماهير العربية ، من المحيط الى الخليج ، تتطلع إلينا في سورية التي كانت ، يوماً من الأيام ، معلمة الوطنية ورائدة النضال القومي. وهذه الجماهير ، بالقيادات المتجاوبة معها ، إنما هي مع العراق وجيش العراق وشعب العراق.

« وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم ». صدق الله العظيم].

الخميس ٣١ كانون الثاني

ضرب صاروخ عراقي إسرائيل هذا المساء.

سقطت طائرة أميركية بطياريها العشرين. واعترف بذلك الاميركيون. قنف يابانيان يحضران برلمان بلادهما رئيس الوزراء بحذاءيهما ، فهل تعلّما هذه الطريقة من البهلوان السوفياتي الآخر ، خروتشوف ، حين خلع حذاءه ووضعه أمامه في منظمة الأمم المتحدة ، ملوّحاً به من وقتٍ لآخر.

صواريخ الكاتيوشا الفلسطينية تقصف إسرائيل ، وإسرائيل تقصف المخيمات اللبنانية.

دي كويلار فقدَ كل مصداقية وأصبح غير جدير بمنصبه ، ولكن أين الجدير !

الجمعة ١ شباط

هذا الصمود العراقي العجيب ، والإبداع العـــراقي ، والتضحيات العراقية ، تهيج في نفسي مشاعر عجيبة.

السبت ٢ شباط

ما أشد ضيقي بالدخان المتصاعد من سجائر مَنْ يحيطون بي. لم أدخِّنْ طوال حياتي ، ومع ذلك فما ذهبتُ مرةً الى طبيب ، وما أجريْتُ فحصاً شعاعياً إلّا طلب إليّ الطبيب الامتناع عن التدخين ،وعندما كنتُ أُفاجئه بأني لا أدخن كان هو يفاجئني بأني مدخِّنٌ سلبي. وأنَّ عليَّ الامتناع عن الجلوس في جو المدخنين. لكنْ مع مَنْ أجلس إذاً. وتذكرتُ قول بشار بن برد :

إذا كنتَ في كــلِّ الأمورِ مُــعــاتباً
صــديقَكَ لم تَلْقَ الـذي لا تُعـاتِبُـهْ

وأجَزْتُ لنفسي تحويره :

إذا أنْتَ للتــدخينِ كنتَ مجــانبــاً
صـديقَكَ لم تَلْقَ الـذي لا تُجـانِبُـهْ

أو :

إذا كنت للتـدخينِ لَسْتَ مُصـاحِبــاً
صـديقاً فلن تلقى صـديقاً تصـاحبه

ولاحظْتُ وفرة المدخنين ، بشراهة ، في أوساطنا السورية والفلسطينية ، وعزا ذلــك أحدهم الى العطـالة أو البطـالة التي نعاني منها في المنافي. وقال : لا أقصد بالعاطل عن العمل فقط هذا الذي لا عمل له ، بل هذا الذي يجلس وراء مكتب وليس لديه في الحقيقة عمل يقتضي منه جهداً أو عطاءً أو إبداعاً ، فهو يزجي الوقت بالتدخين ، وبمراقبة الآخرين ، ومحاولة إيجاد جوٍّ من الحركة ولو عن طريق المشي بالنميمة ، غير متعظ بتحذير الله

تعالى لكل همّاز مشّاء بنميم ، غير مُلْقٍ بالًا لقول الشاعر :

مَنْ راقبَ النـــاسَ مـــاتَ همَّـــاً
وفـــازَ بـــاللّـــذة الجســـورُ

تجولْتُ في معالم قرطاج السياحية. وفي الطريق ملأ صديقي سيارته بالبنزين. ولما عرف عامل المحطة الفتى أننا عرب أخذ يحدثنا عن العراق ، ويتمنى لو ان الحكومة التونسية تُيَسِّرُ له الوصول الى أرض المعركة ليقاتل في صفوف العراقيين. وتوجه الى صديقي الذي كان يقود سيَّارةً ذات رقم أجنبي ، وقد ظن أنه عائد الى بغداد : عندما تصل بغداد فقل لصدَّام أنَّ عامل المحطة ـ فلاناً ـ يسلِّمُ عليك.

الأحد ٣ شباط

للأميركيين دُبُّهُمْ شوارزكوف ، وهم به وبلقبه فخورون. ولكنَّ للألمان دُبُّهُمْ « كول ». هؤلاء الألمان الذين يركعون اليوم في الكنيست الصهيوني ، ويتمادون في تأليب العداوة والسلاح على العرب ، وبذل المليارات لتدميرهم ، هؤلاء لم يقرأوا شاعرهم الأكبر « غوته » ولم يحبُّوه ولم يَطّلعوا على ترجمته لشيء من « معلقاتنا » الخوالد ، وعلى ترجمته لرائعة تأبط شراً :

إنَّ بـــالشِعْبِ الـــذي دون سَلْـــعٍ
لقتيـــلًا دَمُـــهُ مـــا يُطَـــلُّ

ولعله أسماها « نشيد الثأر » ؛ ولم يهمّهُمْ في قليل أو كثير أنه تأثر بالإسلام ، وكتب « الديوان الشرقي للمؤلف الغربي » على غرار القصيدة العربية. وقد رأى الدكتور طه حسين

أنَّ « غوته » أول شاعر أوروبي نسج على منوال العرب في الغناء ، ولا أدري الآن مدى صحة هذا القول ، وربما تبعه فكتور هوغو ، شاعر فرنسا ، وهل ننسى « لامارتين » الذي كان يعزو نفسه الى أُصول عربية ، ورأس وزراء فرنسا ، وكاد يصل الى رئاسة الجمهورية. وقد كتب « غوته » : « إذا كان الإسلام يعني أن يسلِّم الإنسان أمره لله ، فنحن نعيش ونموت في الإسلام ».

الاثنين ٤ شباط

اعتصم الكتّاب الجزائريون أمام السفارة السورية في الجزائر. تحدثْتُ الى بعض كتّابنا السوريين عن أسلوب لمساعدة زملائنا في الوطن ، وعن زيارة الزملاء التونسيين ، ودراسة مدى ما يمكن التعاون حوله في هذا المجال.

الثلاثاء ٥ شباط

عادت الأحلام التي أذكر شيئاً منها عند الاستيقاظ تتوالى. دخل حمَّالان بيتي ، ولكنَّ زوجتي أخرجتهما ، ولم أكن أستطيع فتح عيني ، وفي الصباح كانت عيني اليمنى مشربةً بالدم ، ولعلَّ شرياناً صغيراً انفجر فيها.

القناة الفرنسية الثانية سخرت من دعاوى الغرب بأنَّ الجيش العراقي في مَخابئِهِ وقالت : ها هو يَخْرُجُ ويَحْتَلُّ « الخفجي » بلمحة ؛ انه قاتل بامتياز في البر والبحر والجو. وعَرَضت جندياً قطرياً ، كادت الدموع تطفر من عينيه ، وهو يقول : إنها حرب قذرة. وذكرت سقوط طائرة الـ ب ٥٢ الأميركية الستراتيجية ، وعدة حوَّامات وطائرات.

أصْدَرْتُ ، باسم رابطة الكتّاب والصحفيين السوريين في المهجر توضيحاً حول البيان الذي أذاعته وكالة الأنباء السورية « سانا » وعزته الى أحد الكتّاب الذين وقّعوا على بيان يندّدون فيه بالتحالف الاستعماري المعادي للشعب العربي ، والذي يؤلف النظام الأسدي جزءاً هاماً فيه.

وجاء في البيان الذي أصدره الكاتب المذكور أنه لم يُعْتَقَلْ بل هو على العكس يؤيد سياسة حكومته الحكيمة تجاه حرب الخليج ، بل ذهب به الحماس ـ كي لا نقول غير هذا ـ فزعم ان جميع الكتّاب يُشاركونه هذا التأييد. وجاء في بيان رابطتنا : « إن ما لدينا من معلومات ، وما نشرته صحف ومجلات في الوطن العربي كما نشرته صحف ونشرات أجنبية يؤكد صدور البيان بتوقيع جميع هؤلاء الكتّاب بمن فيهم هذا الكاتب. كما أنَّ عدداً كبيراً منهم استدعي الى التحقيق الذي لا يماثله تحقيق في أساليبه الإرهابية المخيفة والخَطِرة ، وأن السجن كان مصير أغلبهم لولا هذه الحملة السريعة التي فضحت موقف النظام وانطلقت من إتحاد الكتّاب الجزائريين وسائر الكتّاب العرب والأجانب الشرفاء ، فتأجل موعد الاعتقال ، ولم يَجْرِ العدولُ عنه.».

وفي الواقع ، لقد أثّرَ بيان حنا مينة المتنصل من توقيعه ، والداعم للنظام ، وما رافقه من دعاية أسدية ، على مصداقية بيان الكتّاب المُحْتَجِّين. ولعلَّ الذي أوصل الأمور الى هذه النهاية غير الموفقة ، عن قَصْدٍ وغَيْرِ قصد ، هو الروائي الجزائري بو جدرة ، وذلك بتركيزه على اسم حنًا مينة من بين أسماء كل الموقعين ، ربما لكونه الأكثر شهرة لديه. لقد اختار ـ مع الأسف ـ كنموذج على الكتّاب المحتجين أو المتعرّضين للإيذاء أقرب الكتّاب

الى السلطة الأسدية وأوسعهم نفوذاً وأكثرهم إفادةً من هذه الشروط. وكان من الطبيعي ، والحالة هذه ، أن يسرع هذا النموذج الى التكذيب والى المغالاة قي مَدْحِ النظام وحكمته وعدالته. أجل ، هكذا انهار قسم كبير من مصداقية الموقف الأدبي السوري ولعلّ سببه وفاء كاتب لزميله ، أراد أن يبرزه على أنه رمز الاحتجاج الثقافي فخذله هذا الأخير وأبى إلّا أن يبرز على أنه رمز التبعية الثقافية.

٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١
شباط

أتابع الأنباء. أواصل تسجيل ما يتوارد الى ذهني حولها. في معركة حطين قتل صلاح الدين بيده (أرناط) الصليبي لأنه دنَّسَ المقدَّسات الإسلامية بدخول جنوده الى أرض الحجاز. فماذا كان السلطان المجاهد سيقول أو سيفعل وهو يرى مَنْ جاء بعده من سلاطين المسلمين ، وعلى مشارف القرن الحادي والعشرين ، يجرُّون الجيوش الصليبية الأمبريالية جرَّاً ليس فقط لتدنيس المقدَّسات الإسلامية بل لضربها وتدميرها ونهب ثروات الأمة وإذلالها وإعادتها الى شر أيام الاستعمار عندما كان البريطاني إذا شاهد عربياً يفلح أرضه وراء محراث يجرُّه ثور ، أطلق الثور وربط العربي مكانه.

يقول باتريك سيل في كتاب «الأسد. الصراع على الشرق الأوسط» ، أنَّ والد حافظ الأسد ، علي سليمان ، كان من أنصار قائد الثورة السورية في جبال العلويين ، الشيخ صالح العلي. ولكنْ فاته أن يذكر أنَّ ولده حافظ هو الذي منع حفلةً كان الوطنيون

المخلصون قد اعتزموا إقامتها في دمشق ،كما منع نَصْبَ تمثال له في العاصمة السورية.

في الرابع عشر من كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٨١ أعلن بيغن ضَمَّ مرتفعات الجولان الى دولة إسرائيل. ومنذ ذلك التاريخ ، والى الآن ، انطفأ نجم الجولان في السماء العربية السورية ، وأصبح من مُسْتَحاثَّاتِ المذَنّبات العربية المنطفئة أو التائهة في الفضاء الغريب.

ريتشارد قلب الأسد ، الذي جعل منه الغرب أسطورة تمشي على الأرض ، وجعلت منه أوروبا المتعصبة فارس الصليبية وحامل لوائها ، هو الذي ذبح الرهائن المسلمين في عكًا وعددهم ألفان وخمسمئة رهينة بمن فيهم النساء والأطفال.

كانت أوروبا قبل الفتح العربي الإسلامي للأندلس ، وبناءِ حضارتهم العظيمة ، غارقةً في الهمجية. ولسوف تغرق من جديد في الهمجية بفضل استنسلامها للغزو الأميركي المتوحش ، من أي الجوانب نظرْت إليه وحلَّلتَهُ ، وتلمَّسْت عواقبه.

في الولايات المتحدة الأميركية تَتجلَّى أنواعُ العُنْصُرِيَّة بِشَرِّ أزْيائِها. كما يسجّلُ فيها شرُّ معالم الظلم الإجتماعي ؛ أمّا معدَّل الحياة في بعض مناطقها أو أحيائها في المدن الكبرى فهو أخفض منه في بنغلادش ، التي لم تشغلها أوباؤها وكوارثها الطبيعية عن أن تلبي دعوة أميركا وترسل جنودها الى الأرض المقدَّسة تحت راية العدوان الصهيونية على العرب والمسلمين.

قرأتُ إحصائيةً تعرض لنا هذه المفارقات ذات الدلالة الكبيرة على حضارة الولايات المتحدة الأميركية ورعايتها لحقوق الإنسان وبُعْدِها عن التعصب العرقي : كان السكان السود على مقاعد

الدرس أربعمئة وأربعين ألفاً ، وكانوا في السجون ستمئة وعشرة آلاف.

■ الكاتب الروسي القومي يفغيني يفسييف سقط ضحية عملية اغتيال في موسكو في السابع عشر من شباط (فبراير) ١٩٩٠. أمّا كتاباته فقد ضرب عليها الضغط الصهيوني حصاراً شديداً حتى ان اسمه اختفى من الصحافة السوفياتية منذ ١٩٨٢.

■ في خطاب لجورج شولتز ، وزير خارجية ريغان ، ألقاه في المعهد اليهودي : « مانهاتان بارك » في نيويورك بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٨٤ : « ان البعض سوف ينعتنا عند أية محاولة نتخذها للردع أو للثأر ، بأنَّ قواتنا المسلحة وصانعي القرار هم أكثر إرهابية من الإرهابيين بل هم المجرمون ». وصدق المثل : أهل مكة أدرى بشعابها.

■ في يوميات « هرتزل » ـ وقد تبين له ان المصريين لا بُدَّ مقتلعون الاحتلال البريطاني من جذوره ـ رأى ان الإنكليز لن يجدوا عند ذاك أمامهم إلّا « فلسطين اليهودية » التي ستكون « الطريق من يافا الى الخليج الفارسي ».

■ في الأعوام الأربعين الأخيرة ، نفَّذتْ الولايات المتحدة الأميركية ـ لا على سبيل الحصر ـ انقلابات في إيران (١٩٥٣) وفي غواتيمالا (١٩٥٦) وفي اندونيسيا (١٩٦٥) وفي تشيلي (١٩٧٣) ، وما زال أربعون ألف جندي أميركي يحتلُّون كوريا الجنوبية. كما قاموا بعدوانهم على لبنان (١٩٥٨) وفييتنام (١٩٦٠ ـ ١٩٧٥) والكمبودج ولاوس (١٩٧٠ ـ ١٩٧٥) وكوبا (١٩٦١) وسانت دومنغو (١٩٦٥) وغرانادا (١٩٨٣)

وياناما (١٩٨٩) وتعاني كوبا منذ أكثر من ثلاثة عقود حصاراً أميركياً وحشياً. وكان انهيار اقتصاد نيكاراغوا السَنْدِينية على اثر الحصار الغربي.

■ غدا الاتحاد السوفياتي ، كالبلدان العربية أو العالم الثالث عموماً ، يعتقد أنه كلما خضع للرئاسة الأميركية كان ذلك حافزاً لها على الرأفة به والشفقة عليه.

■ هجرة اليهود السوفيات أنفذ طعنة غادرة يوجهها الاتحاد السوفياتي الى أصدقائه العرب ، خاصةً وأنه قيَّد هذه الهجرة بوجوب اتجاهها الى إسرائيل. وهي في الوقت نفسه أكبر هدية يمكن أن تُقَدَّم للكيان الصهيوني. وهل أجْدى من مئات ألوف الأدمغة التي صرف الاتحاد السوفياتي على تكوينها المليارات من مال الشعب والكادحين ، كي توفِّرَ للشعب السوفياتي حياةً أسعد ، فإذا بحصيلة جهدها ينصرفُ الى بلدٍ غريب.

■ أول مَنْ قتل الأكراد والعراقيين عامةً بالغاز السام هم البريطانيون ، ولنذكر على سبيل المثال عام ١٩٢٠.

■ أرى هناك تقارباً في الطرح ـ وهو طرح مشبوه بالطبع ـ بين الفكر المدَّعي بالإسلام والذي يجعل من « القومية العربية » عدواً ، دون كل القوميات الإسلامية بما فيها الفارسية ، وبين هؤلاء الذين لا يجدون ظلماً لاحقاً بالأكراد إلّا في العراق ، بينما العراق هو البلد الوحيد الذي أعطى للأكراد حكماً ذاتياً. بل انَّ بعض الدارسين والباحثين الأكراد في باريس عندما يريدون أن يؤكدوا حقهم في إقامة دولة لهم ، لا يشيرون الى تركيا ولا إيران ، بل يرددون متهكمين : إن العالم يحارب من أجل بقاء الكويت التي لا يتجاوز سكانها ربع المليون ، ويريد أن يقيم للفلسطينيين

دولة ، ومع ذلك ينكر على الأكراد حقهم في دولة مستقلة !

أردْتُ فقط أن أنبه الى أن الحقد منصبٌ دوماً على العرب مهما كان الموضوع ، ومهما كان الاستنتاج.

■ أكَّدَ القسُّ الأميركي دونالد واغنر الذي زار المناطق الفلسطينية المحتلة في مطلع عام ١٩٨٨ ان الأميركيين هم الذين زوَّدوا إسرائيل بقنابل الغاز السام لمجابهة الانتفاضة. وقد أدَّى هذا الغاز الى قتل عشرات ومئات الأجنّة خلال الأشهر الأولى من الحمل.

فهل يحقُّ لهؤلاء أن يرموا الآخرين باتهامات تفوح منها رائحة الغاز والسموم !

■ عندما تصل امرأة مثل بنازيـر بوتـو الى الحكم في الباكستان ، تقوم قيامة الجماعات الإسلامية ، ويتسارع كل مَنْ اعتبر العمامة إجازةً للفتوى ، بإصدار فتواه التي تحرُم على المرأة رئاسة المسلمين ،

وعندما تصل امرأة الى رئاسة الوزارة في بلد آسيوي آخر لا يقلُّ عن باكستان إسلامية أو تخلفاً أو إسراعاً الى الدفاع عن السعودية ، فإنَّ الفتاوى تُوضع في بَرَّاد.

ولكن إذا نظرنا الى الأمر نظرة نفاذة ، تخترق أسرار هذا الضجيج ، فاننا نصل الى كون الأميركان وحلفائهم هم الذين أثاروا الشغب ، وحرَّضوا على بنازير بوتو ، كي لا تسير على نهج والدها في امتلاك القوة (ولا ننس السلاح النووي) ، وفي التقارب مع العرب.

الثلاثاء ١٢ شباط

أقام فرع اتحاد الكتّاب الفلسطينيين في تونس ، وفي مقرّه ، أمسية شعرية لي. ألقيتُ ثلاث قصائد مطوّلة (الدمشقية ، الحصان الأكبر ، أشجار وراء السياج). وجرى تصوير الحفلة تلفزيونياً وإذاعياً ، وحضر جمع من الأدباء والكتّاب ومتذوقي الفنون.

الأربعاء ١٣ شباط

طال القصف الأميركي المتوحش ملجأً مدنياً قتل فيه عدد كبير من الأطفال والشيوخ والنساء. هذه هي الفروسية الصليبية الجديدة.

الخميس ١٤ شباط

انفجرت في تونس مظاهرات ، شاهدتُ بعضها تحت المطر من نافذة شقتي ، وفي الوقت الذي هزّت فيه جريمة الملجأ المدني ضمائر الدنيا ، بما فيها الكثير من الضمائر التي ما تزال حية في بلدان التحالف العدواني ، أخذنا العجب ونحن نسمع إعلامنا المصريّ ينشق صَراخاً بأنّ الملجأ المدني في بغداد الذي دمّره التحالف المذكور إنما هو « ملجأ عسكري ». وكذلك فعلت بعض الصحف العربية ، بما يفوق أضعافاً مضاعفة تصريحات الناطقة باسم البيت الأبيض. عار وأيُّ عار!

أعلن الأردن الحداد ثلاثة أيام على شهداء الملجأ. أمّا الجزائر فوقفت دقيقة حداد.

وزّعنا بياناً باسم الحزب الوطني الديمقراطي السوري

بمساعدة إخوة وطنيين ، جاء فيه :

[الآن ، ومن خلال الواقع الإجرامي الهمجي الذي فرضته الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا الاستعمارية القبيحة حتى بالدول القزمة مثل بلجيكا وهولندا ، يتبين لنا أنه لم يعد هناك مجال لكرامة وتقدم وكفاية ، بل لوجود أصلًا ، إلّا بأن يتوحد العرب ، ومثلهم العالم الثالث ، قلباً وبُنْيَةً في وجه هذا النظام الأميركي الجديد. وأثبت القصف البربري المكثف بالصواريخ والقنابل التي تُستعمل لأول مرة في التاريخ إذ كانت مهيأة ضد حلف وارسو ومساحات الاتحاد السوفياتي الكبيرة ، والتي استهدفت أطفال العراق ونساءه وشيوخه ، ومدارسه ومستشفياته ومساجده وكنائسه ومنشآته الانتاجية ، أثبت هذا كله حاجتنا - في النظام الجديد - الى مساحات كبيرة تمتصُّ ضربات الغَدْرِ والوحشية وتَصْعُبُ محاصَرَتُها وقَطْعُ وسائل الحياة عنها.

[والآن وقد رأينا كيف صمد ، في وجه الطغيان والعدوان العالميين ، قطر صغير في مساحته وسكانه ، مُحاصَرٌ حصاراً مُحْكَماً من كل جهاته ، وليس له منفذ الى العالم بل الى أهله وجيرانه ، فلقد بتنا ملزمين بالإسراع في ضمِّ قوانا كي نعزِّز إمكاناتِ صمودنا وكي نعوِّضَ خسائرنا التي ألحقها بنا مجرمو الحروب ، في البشر والعتاد والثروات ، وكي نواصل خطتنا بتصميم أكبر على أن يكون لنا المكان الجدير بنا تحت الشمس.

[لذلك فإنَّ الحزب الوطني الديمقراطي في سورية ، إستلهاماً لوقفةِ الصمود الرائع المعبِّر عن ضمير الأمة ، والتي يقفها العراق الشامخ ، ورداً على الجرائم الهمجية

التي هبطت بالغرب الهابط خلقاً ووعياً الى أدنى درجات الإجرام واللامنطقية ،

وإيماناً بأنَّ السبيل الوحيد المتوفر لإيجاد حلٍّ للقضية الفلسطينية ، قضية الأمة المركزية ، لن يكون إلّا من خلال حلٍّ عربي شاملٍ في ظل القدرة العراقية والانتفاضة الفلسطينية ، واليقظة الجماهيرية العربية ،

واستنقاذاً لما يمكن استنقاذه من سمعة سورية ، ووطنيتها ، وقوميتها ، وقوتها ، ووحدة أراضيها ،

يدعو الحزب الوطني الديمقراطي في سورية الى الجهاد المقدّس ضد نظام التسلط والتآمر على تقطيع أوصال الوطن العربي ، وتزوير الشعب في أخلاقه وثقافته ومعتقداته ، وإشاعة الاستسلام والفساد ، وغسل الأدمغة حتى تغْتَرب سورية اغتراباً كاملًا عن نفسها وأمتها وحقيقتها ،

ويدعو الحزب جميع أعضائه وأنصاره ، وجميع المواطنين في أي موقع كانوا ، دون استثناء أي موقع ، لأن ينهضوا بأعباء هذه الدعوة ، مهما كانت التضحيات ، حتى تعود سورية الى حقيقتها ، وتقطع كل علاقة لها بدول العدوان ، أو المناصرة لها ، وتسحب جيوشها من صف العدوان الصهيوني الأمبريالي ، وتقف في صف العراق ، صف العروبة ورسالة الحق الهادية الخالدة.].

الجمعة ١٥ شباط

بوش يدعو الشعب العراق الى التخلص من قيادته. هل يصدَّقُ هذا. رئيس أقوى دولة في العالم ، والمحارب باسْم الشرعية

الدولية ، يحرِّضُ جيشاً مقاتلًا على قائده وهو يخوض حرباً شعبية دفاعية. ماذا يسمّى هذا في لغة حقوق الإنسان !

لم يقبل بوش شروط العراق للإنسحاب. وكانت تتلخص في انسحاب جميع الجيوش الأجنبية من المنطقة ، وانسحاب إسرائيل من فلسطين ولبنان وسورية ، وإلغاء الديون العراقية ، وسحب ما جاءت به دول العدوان من أسلحة ومعدّات بما فيها ما زوِّدت به إسرائيل ، وإلغاء كل قرارات المقاطعة والحَظْر.

السبت ١٦ شباط

أضاف الإنكليز جريمة إنسانية جديدة الى تاريخهم الحافلْ بضربهم لسوق في الفلوجة مكتظ بالناس ، وقتلوا مئة وثلاثين شهيداً.

الأحد ١٧ شباط

هدَّد الأميركان بقصف طائرة وزير الخارجية العراقي ، أي باغتياله وهو في طريقه الى إيران فموسكو.

الاثنين ١٨ شباط

التقيتُ اليوم في إتحاد العمال الفلسطينيين ـ فرع تونس ـ صديقاً عائداً لتوِّه من بغداد. كان كأنما جاء من عالم عجيب. عالم غريب عن واقعنا. عالم يفور بالمثل والمواقف العظيمة والإيثار المتميز والشجاعة الفروسية التي نقرأ عنها ولا نراها. وكنا نرغب في أن يحدثنا وأن يطيل الحديث ، وأن نسأله عن أشخاص يعرفهم ونعرفهم. أخبرني أنَّ قصيدتي « كاسرة الحصار » قد أذيعت

من تلفزيون بغداد ، عدة مرات ، قبل أن يُقْصَف.

الثلاثاء ١٩ شباط

ترجمتُ مقالًا في صحيفة « سوليدير » (متضامن) لسان حزب العمل البلجيكي ، وهو تحليل ممتاز لدوافع الحرب ، ووزعناه على الصحف والوكالات. لقد اكتشفْتُ موقف هذه الصحيفة الذي لم تقف مثله صحيفة أو جماعة عربية بَلْه غَرْبية. الحق لديها واضح. والباطل واضح.

لقد انجلى لمن كان على عينيه غشاوة أنَّ هذا العدوان الغربي الصهيوني على العراق إنَّما قُصِدَ منه تدمير القدرة العراقية الطموحة المتنامية ، وتدمير كل قدرة عربية ، وهو ـ في بداية الأمر ونهايته ـ دَرْس قاسٍ يصفع به الأميركيون وجوه دول العالم الثالث ، بل العالم أجمع.

نشطِتْ وسائل الإعــلام المتحركـة بتوجيـه ونصوص من الولايات المتحدة ، في التباكي على مصير الطيور البحرية التي نفقت نتيجة التلوُّث الذي أحدثته الطبقة النفطية العائمة. وكان صوتُ المذيع التلفزيوني يكاد يغصُّ بالدموع والحسرة وهو يعلِّقُ على نوع من الطيور يعاني من هذا التلوُّث ـ ومثل هذه الطيور ، للتذكير ، لا وجودَ لها في الخليج ، وإنما هي طيور أوروبية وأميركية عانت ـ وسوف تعاني نظيراتها ـ من النفايات الكيماوية والنووية ، ومن غرق ناقلات نفط في المحيطات والبحار. ورأيتُ ، بعينيَّ ، المذيعين على قنوات التلفزيون المتعدِّدة وهم يكادون ينفجرون بضحك هستيري ، وتشفٍّ ظاهر ، واعتزاز فاجر ، وهم يروون كيف قصفت الطائرات الأميركية ناقلتي نفط عراقيتين عملاقتين

في الخليج. وكيف هاجمت هذه الطائرات الجبانة المراكز الصناعية والطرق ومحطات المياه والكهرباء في العراق ، رامية الى نشر المجاعة والأوبئة. ولم تنجُ المستشفياتُ من « إنسانية » الغرب الهمجي ، و « بطولته » العصرية ، بل امتدَّتْ ذراعُ الغدر والجبن الطويلة الى قوافل اللاجئين المتجهين عن طريق الصحراء الى الأردن.

الأربعاء ٢٠ شباط

القصف مستمرٌ على بغداد والموصل بوحشية. الطيّارُ الذي يرسلونه مزوَّداً بأحدث آلات الدمار ، ويدكُّ ، من علو أربعين كيلومتراً عشرين بناية ويقتل ألف مريض وطفل وامرأة وشيخ ليس إرهابياً ، أما الضعيف الذي يدافع عن حقه وعن شعبه ولا يستطيع إلّا أن يفجِّرَ سيَّارةً لمجرم أو لعميل ، ولا يقتل أحداً أو يجرح شخصاً ، فهو إرهابي تستنفر كل وسائل القمع لقتله والتشهير به ، بل تُعاقَبُ بلدانٌ برمتها على فعلته. إنَّ ضميرنا ، وضمير أجيالنا لن يغفر هذا التمييز وهذه العنصرية البربرية.

كتبتُ اليوم قصيدتي الثالثة : « سلاماً أُمَّ المعارك » ، وطبعنا منها نسخاً عديدة ووزعناها :

[أُمَّ المعاركِ بي إليكِ ، الى مآثِرِكِ اشْتِياقْ
كيف الوصولُ ، وَليس لي في يوم إسرائي ، سوى هذي القصائد من بُراقْ
حَفَرُوا بآلافِ الصواريخِ الجَبانةِ ما أرادوه ضريحاً للعراقْ
وتَلَمَّظُوا بالنارِ والأحقادِ : هذي جُثَّةٌ لم يَعْهَدِ التاريخ مِثْلَ

قتيلِها
هذي دماءٌ.. بل هيَ الوِدْيانُ جاشَتْ حاملاتِ سُيولِها.
فَلْيَسْمَعُوا بين الضجيج وبين صَمْتٍ لم يُحَرِّكْهُ نداءُ
المستغيثْ
فليسمعوا ما قاله الزرّاعُ للنَبْتِ الخبيثْ
يجتثُّهُ.. يرمي به في النار.. يذروهُ رَمادا
ويهزُّ هذي الأرْضَ إذْ تربو سنابِلُها وتنتظِرُ الحَصادا
هذي الجماهير التي من قبل آلاف السنين وبعد آلاف
السنين لا تستطيع وإن أرادت ، فقد شيء آخر إلا
السلاســـل والسجون والجوع والأوباء والقمع المهين.
هذي الجماهيرُ التي قد غَيَّبُوها تارةً بالقَتْلِ ، أو بالخَوْفَ
تارَةْ
هذي الجماهيرُ التي من حَمْأةِ المَأْساةِ تنتزِعُ البِشارَةْ
هذي الجماهيرُ التي تدري بأنك وَحْدَك ، اليومَ ، المنارَةْ
يا رَمْزَ نهضتنا ويا عنوان عزَّتِنا ، ويا «خِضْراً» لِكَنْزِ عروبتي
المنهار قد أَعْلى جِدارَهْ
هذي سفينتُهُمْ بما حملَتْ من العُدْوانِ والصَلَفِ المُقَزِّزِ
تحترِقْ
وهُمُ كجرذانٍ يفرُّون.. السفينةُ سوف يُدْركُها الغَرَقْ
هذي الوقيعةُ لن تكونْ
ما تَزْعمونْ
مِنْ أنَّها الحرْبُ الأخيرةُ أيُّها المتوهِّمونْ

فأمامكم تمتدُّ لائحةُ الحروبْ
هبَّتْ عواصفُها على دُنْياكُمُ.. أيْنَ الهُروبْ
فَلْيَصْعَقِ النبأُ الأُلى خالوا بأنَّ نظامهم يتوطَّدُ
وَهْمٌ من الأوهام ، مثل دخانِهِمْ ، يتبدَّدُ
في حينَ من هذا الصمودِ.. غَدُ العروبةِ يُولَدُ
لا ماتُزَخْرِفُهُ الحروفُ البائساتُ وما يُذيعُ مُعَرْبِدُ
مَرْحىً لكم يا أيها «اليانكي» تَخافون النزال ، وتقصفونْ
شيخاً وطفلًا أو فتاةً في ربيع الياسمينْ
لكنَّكم من أُفْقِ غَدْرِكُمْ وعُنْفِكُمُ الجبانِ تُكدِّسونْ
فَشَلًا على فَشَلٍ سوى ما تقتلونْ
في ذُعْرِكُمْ وفِراركُمْ من آمنينْ
وتَهَدِّمونْ
تلك الصروحَ يُشيدُها للناسِ فَنُّ المُبْدعينْ
هذي شجاعةُ طُغْمَةِ الأفيونِ ، خرِّيجي السجونْ
لكنَّ ـ واخجلي ـ هُناكَ مُمَرَّغينْ
في وَحْلَةِ العارِ الشآمُ وقاسيونْ
مُتَنكِّرينَ لميسلونْ
طَبعَ الضلالُ على قلوبِهمُ فَهُمَ لا يَفْقَهُونْ
والأطْلَسِيُّون.. الحُبالى بالجريمةِ والدنايا
ولَدَتْهُمُ أُمُّ الخَطايا
هُمْ أَجهضوا كلَّ الحُلولِ وكلَّ ما اقْتَرَحَ السلامُ
ألنفْطُ والإرهابُ دينُهُمُ.. إذا قعدوا وَقاموا

لكنَّ لي أَملًا سيكبر مثلَ حبي للعراقْ
قَمَراً يُغادِرُ كلَّ داراتِ المَحاقْ
ليُطِلُّ بَدْراً في الأعالي
لِيُنيرَ حاشيةَ الليالي
ليضيء تاريخي وعُمْري
ليكونَ بَدْري !
هُوَ أنْتَ يا نَصْراً يُضيءُ لنا المَسالكْ
هُو أَنْتِ يا أُمَّ المَعارِكْ!

الخميس ٢١ شباط

● ألقى الرئيس صدَّام حسين خطاباً تناقلته الإذاعات العالمية ، ولم يتراجع فيه ولم يضعف.

■ صحيح ان غورباتشوف رفع الستار عن فضائح النظام الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، وعن بعض الجرائم التي اقترفت تحت نير هذا النظام أو كانت من طبيعته. ولكنه ، بالمقابل ، لم يغيِّرْ شيئاً ، بل يكاد يكون قد غدا نَخَّاساً يدلِّلُ على شعوب بلاده ، بل على أراضي الاتحاد السوفياتي ، بل على أصدقاء الاتحاد السوفياتي وبلدانهم ، مستجدياً مليارات الدولارات التي يزعم أنه في حاجة إليها. وهو في الواقع بحاجة الى أن يوجه الشعب الى الحرية والمسؤولية والعمل ، لا مُجَرَّد الرضى بتفوق الرأسمالية على الاشتراكية ، وشَتْم النظام القديم كي يلعن الظلامَ دون محاولة إشعال شمعة واحدة ، بل هَمُّهُ تكديسُ ظلام جديد فوق تلك الدياجير الكثيفة.

■ لقد رأت أميركا ، بعد إنهيار الاتحاد السوفياتي وتبعيته

للولايات المتحدة وألمانيا الغربية أنَّ يديها أصبحتا طليقتين في العالم وفي المنطقة. وأصبح أي تصرف لها ، مهما بلــغ من شذوذه والضرر الذي يلحقه ، لا يثير أي معارضة من موسكو. وإذا ما صدر منها ، بصوت خافتٍ ، ما يدلُّ على ذلك فليس الأمر منها إلّا محاولةً لابتزاز أكبر مقدار من المال الغربي. ولكنَّ هذا الغرب لا تنطلي عليه هذه الخدعة ، و لايقيم وزْناً لتلك الهمهمة الخجولة والمنافقة معاً.

■ كانت أميركا ـ قبل الثاني من آب ١٩٩٠ بفترة بعيدة ، تُعِدُّ خطة عسكرية ، باتفاق مع إسرائيل ، لإنهاء القدرة العراقية. وكان رأس حربة هذه الخطة إرسال جيوش أميركية للمرابطة في الكويت.

الجمعة ٢٢ شباط

زارنا طالب جامعي تونسي ، وهو زميل لابنتنا في جامعة باريس السادسة ، وحدَّثنا أنَّ التونسيين والمغاربة عمــوماً في جانب العراق. وانَّ هناك في المخازن الكبرى بباريس حرَّاساً يفتشون كل شخص يدخلها مَخافة المتفجرات ؛ وان صناديق القمامة قــد رُفِعَتْ من أنفاق « المتــرو » ومن الشــوارع. بل ان المخازن الكبرى تكاد تكون مقفرة.

■ في كتاب « دولة اليهود » لتيودور هرتزل ، أبي الصهيونية أنَّ جمعية اليهود هي التي ستقرِّر ما إذا كانت الدولة اليهودية ستقوم على أرض فلسطين أو في الأرجنتين.وعندما عرض عليه تشمبرلن أوغندة لم يستبعد هذا العرض ولم يستغربه ولم يحتج عليه بل رأى فيه شيئاً طبيعياً جديراً بالترحيب. وهرتزل هذا قابل السلطان العثماني عبدالحميد في التاسع عشر من ايار ١٩٠١

وطالبه « بفرمان » يفتح أمام الاستعمار الصهيوني أبواب فلسطين ، ولكنَّ هذا السلطان رغم كل ما اتُّهِمَ به من جبروت وقسوة ليس الآن وقت مناقشتها صَفَعَ هرتزل بهذا الجواب : « ان فلسطين ليست لي بملك ، بل هي ملك شعبي وقد رواها بدمه. فليحتفظ اليهود بملايينهم. وإنَّ بَتْرَ عُضْو من أعضائي لأهونُ عليَّ من أن تبتر فلسطين من خلافتي ، وهذا ما لا يكونُ أبداً.».

وهذا السلطان هو الذي رثاه أحمد شوقي :

سَلْ «يلدزاً» ذاتَ القصورِ
هل جاءَها نبأُ البدورِ...
شُذَتَ الثلاثين الطوالَ
ولَسْنَ بالحكمِ القصيرِ

ورثاه حافظ ابراهيم :

لا رعى الله عهدَها من جدودِ
كيف أمسيْتَ ياابْنَ عبدالمجيدِ

ورثاه بشارة الخوري ، معارضاً حافظ ابراهيم :

قُلَلَ الشرْقِ حاذري أن تميدي
سقطَ العرشُ ، عرشُ عبدالحميدِ

■ عزالدين القَسَّام ، ابن مدينتي جبلة ، المولود عام ١٨٨٢ ، شارك في الثورة السورية الأولى المعروفة باسم : ثورة الشيخ صالح العلي. وكانت أطول ثورة شَنَّها الثوّار الوطنيون السوريون على الجيش الفرنسي الغازي الذيّ كان خارجاً من حرب عالمية عظمى منتصراً عام ١٩١٨ ، والذي كان يعتبر ، في ذلك الحين ، وبعد استسلام ألمانيا ، الجيش البرّيّ الأول في العالم.

ومع ذلك فقد تصدَّى له الشيخ صالح العلي والشيخ عز الدين القسَّام. وبعد أكثر من ثلاثة أعوام ونصف العام ، وعندما بدا وكأنَّ الثورة آيلةٌ الى أن تكمُنَ كالجمر في الرماد المتكاثف ، وبعد حكم بالإعدام على القسَّام لاشتراكه الفعّال في هذه الثورة ، توجه الشيخ عام ١٩٢١ الى فلسطين ، وجاهد ، وخطب ، ونظَّمَ حتى استشهد.

■ « اورادور » قرية فرنسية ، أحرقها النازيون في الحرب العالمية الثانية ، أشار إليها الرئيس الفرنسي ميتران في معرض إدانته لجرائم الحرائق والمذابح التي اقترفَتْها الآلة العسكرية الاسرائيلية في لبنان. ولكنَّ هذا لم يمنعه بعد ذلك من أن يفعل مثل فعلهم بمئة « اورادور » عراقية. وما كان جيشه ولا جيش حلفائه الغربيين والمرتزقين إلّا صورة طبق الأصل عن الجيش الصهيوني في بيروت الذي كان « يقطع الكهرباء والماء ويرسل الطائرات في الليل ، ويقصف ويقصف ويقصف » كما كتب رشاد أبو شاور ، الكاتب الفلسطيني المقاوِم ، والمُحَاصر ـ حينذاك ـ في العاصمة اللبنانية.

السبت ٢٣ شباط

■ أطلق العراق صاروخاً على إسرائيل قبل خمس دقائق من انتهاء إنذار بوش.

الأحد ٢٤ شباط

بدأت المعركة البرية حسبما أذاع التلفزيون الإيطالي. الإعلام الغربي ـ الأميركي يفعل كما في عدوانه الجوي ، أي أنه يدمِّرُ كل شيء بسهولة عجيبة. ويضيف مع ذلك بأنه لن يسمح

لأحد بالاطلاع الحقيقي على سير المعـركة إلّا بعـد يومين وربما ثلاثة أيام.

أذاع الرئيس صدّام حسين خطاباً ، وعرضت القناة الفرنسية الثانية صوراً من بغداد ، إثر إلقاء الخطاب ، وبدا الناس مرتاحين ، مبتهجين. أذاعت التلفزة الفرنسية ان العراق كذّب احتلال جزيرة فيلكة.

الاثنين ٢٥ شباط

تراجع الإعلام الغربي عن دعاواه باحتلال فيلكة ؛ وكان قد عرض فِلْماً يبين كيف تَمَّ رفع العلم الكويتي في الجزيرة. وزيادةً من هذا الإعلام في اللؤم ادّعى أنَّ الأخبار الكاذبة كان مصدرها كويتياً ، أي أنه لا يريد إلصاق الكذب بالغرب ، بل يحصره في العرب ، حلفاء وأعداء.

اعترف الأميركان في واشنطن ان صاروخ « الحسين » أصاب مركزاً أميركياً في الظهران وقتل اثني عشر أميركياً.

الثلاثاء ٢٦ شباط

■ أمر الرئيس العراقي جيوشه بالانسحاب من الكويت حتى يوم الأربعاء. ذكرت الإذاعات ان المركز الأميركي الذي تعرَّض لصاروخ الحسين كان يحوي مئة أميركي وان أغلبهم ربما كان في حالة خطرة.

■ كان الرئيس الشاذلي بن جديد من أعنف الذين أدانوا الهجوم على العراق. وفعلت مثل ذلك تونس والأردن واندونيسيا. وهَمَسَ الأمين العام للأمم المتحدة ان « المتحالفين » غير مجازين

لدخول العراق. عرضت التلفزة الايطالية المبنى الأميركي المُهاجَم وهو يحترق مما يدلُّ على أنَّ جميع مَنْ فيه قد قتلوا.

■ ولْتَحْفظوا جيداً يا شباب العرب وأطفالهم أنَّ ملايين المدنيين العراقيين المنصوبين هدفاً للقصف المسعور الذي يمارسه الأميركيون والفرنسيون والإنكليز والكنديون والإيطاليون ما هم إلّا شكل جماعي من أشكال الرهائن المهددين بالاغتيال والقتل في يد الإرهاب الغربي الصهيوني.

■ دعمت « أكينو » رئيسة الفيليبيين العدوان الأميركي. ولكنْ هل كان لها أن تفعل غير ذلك ، وهل الفيليبين إلّا قاعدة أميركية ، « يصل إليها المارينز الأميركيون ، كما قال كوني ليسيما - الذي هم بحاجة الى راحة وإستعادة للقوى ، بحثاً عن الجنس ».

■ القصف الغربي - الصهيوني يتصاعد بجنون. إنَّ هدف الأميركيين إبادة أكبر عدد من العراقيين. ويعيد هذا القصف الى الذاكرة ،ولكن بشكل موسَّع ، غارات النازي على لندن (١٩٤٠) وقصف « الحلفاء » لدريسدن في ألمانيا (١٩٤٤) وقصف الأميركيين لهانوي (١٩٧٠).

وقد كتب رمزي كلارك ، وزير العدل الأميركي إبّان رئاسة جيمي كارتر : « ان القصف بربري ، متوحش وعنصري ، أيّاً كان المفهوم الأخلاقي الذي يؤخذ به. إنَّ هدفهم تدمير الحياة المدنية والاقتصادية في العراق. إنه خرق فاضح للقوانين الدولية والقواعد والأحكام المتبعة في نزاع مسلَّح ، بما في ذلك اتفاقيات لاهاي وجنيف وشرعة نورمبرغ ».

■ عرضت القناة الفرنسية ليلًا ، مقابلة مع السفير حمَّادي الصيد ، ممثل تونس في الجامعة العربية بباريس كما أعلم ،

وتحدث عن الفرق بين منتصر ومغلوب ، وبين منتصر ومُذَلٍ مُهان. وحذَّر من حقد العالم الثالث على الغرب.

■ عرضت القناة أيضاً صوراً لفلسطينيي الأرض المحتلة ، وكان الناس العاديون في الطرقات يقولون : صدَّام حسين زعيمنا ، ولو استطعنا لذهبنا للقتال الى جانبه.

الأربعاء ٢٧ شباط

■ دخل الأميركيون والفرنسيون في حدود العراق ، وتبخرت وعود ميتران وتأكيداته للشعب الفرنسي بأنَّ فرنسا لن تدخل العراق ، وان مهمة جنودها تحرير الكويت. فمن يحاسب هذا الرئيس الكذَّاب.

■ ما زالت في سيناء قوات متعددة الجنسيات لا تستطيع مصر حتى طلب إخراجها كما يفترض أن يكون بقدرة الدول ذات السيادة. إذاً ماذا نقول باحتلال الجولان السوري ثم ضمّه الى الكيان الصهيوني ثم ما رأينا في احتلال جنوب لبنان والضفة الغربية وقطاع غزة والقدس ، وكل ذلك خَرْقٌ للشرعية الدولية.

■ اعترف وزير الاسكان المصري في مجلة « المصوِّر » حرفياً : « لولا وقفة الرئيس حسني مبارك في الثاني من اغسطس (آب) لما كان هناك كويت اليوم ، ولما كان هناك قرار مجلس الأمن . ولولا تلك الوقفة ما كان لأميركا ، أكبر قوة في التاريخ العالمي المعاصر ، أن تتدخل تحت أي مسمًّى وإلّا كانت هناك فييتنام أخرى أو حرب صليبية. والذي أعطاها الشرعية هو الرئيس مبارك.. إن مصر هي التي صنعت حرب الخليج ».

كلُّ ما قاله صحيح ، ولكنَّ استنتاج العاقلين والوطنيين هو

غير ما رمى إليه وزير الاسكان الفصيح.

■ في تعليق على هذه الأقلام الهزيلة الأجيرة التي تهاجم أمتها من أجل الدولارات الخليجية سجّلْتُ هذا البيت اليتيم، كالكرامة العربية في هذه الأيام :

لَبِستْ جلودُ الأحْرُفِ الشَوْهاءِ أَلْــوانَ الفَضِيحَهْ

■ خَلَّفَ العدوان الأميركي على « باناما » أربعة آلاف قتيل حسب تقديرات رمزي كلارك. ورفع جيسي جاكسون، المرشح الأميركي الأسود للرئاسة، العدد الى سبعة آلاف. وثمة أربع عشرة حفرة جماعية على أراضي القواعد الأميركية في سان ميغيليتو وكولون. وقد جرى قصْفُ الأحياء المكتظة بالسكان مثل أحياء الشوريجو وشاريرا وسان ميغيليتو. وبقيت الجثث في الشوارع طوال خمسة أيام. وهذا نموذج وسط آلاف النماذج، ودليل وسط ملايين الأدلة، على إنتهاك الولايات المتحدة الأميركية لحقوق الشعوب في تقرير مصيرها، ولأبسط الحقوق الإجتماعية والفردية للإنسان.

■ يشنُّ « تورغات اوزال » الذئب التركي الأطلسي حملات إبادة على الأكراد، منذ آب ١٩٩٠، أمّا حلف الأطلسي فَيُغْضي ويتظاهر بأنه لا يرى ولا يسمع، إن لم يكن يشجِّع. بل الأنكى من ذلك ان عمليات الإبادة الجماعية هذه، وإخلاء القرى الكردية بالعنف والجبروت، وهرب مئات ألوف الفلّاحين إنما يجري باسم القضاء على « الإرهاب ».

■ نشرت الصحافة العالمية أن إيران ـ وليس العراق ـ هي التي استخدمت الأسلحة الكيماوية ضد الأكراد في حلبجة عام

١٩٨٨. وأثبتت الصور والتقارير من شهود عيـان ان غاز « السيانيد » الذي جرى استخدامه تمتلكه إيران دون العراق.

■ استخدم الأميركان في عدوانهم على العراق ٧٥٪ من طيـرانهم التكتيكي ، و٤٢٪ من مصفحـاتهم ، و٤٦٪ من حاملات طائراتهم ، و٣٧٪ من مجندي الجيش ، و٤٦٪ من المارينز ؛ وقدّرت بعض التحليلات ان الولايات المتحدة الأميركية لم تعد لديها القدرة على استخدام وَسَائل ستراتيجيتها المسماة « واحد ونصف » أي أنها تستطيع أن تتصدى لعدو كبير الحجم كالاتحاد السوفياتي مثلًا (وهو الواحد) وفي الوقت نفسه تهاجم عَدُوًا آخر ، أقلَّ خَطراً (وهو النصف).

الخميس ٢٨ شباط

■ فهمْتُ من القناة الأولى الإيطالية أن الحرب توقفت في الساعة الثامنة صباحاً. ثم فهمت أن فرنسا تريد أن تحمل هذا القرار الى مجلس الأمن ، وكأنها غير راضية عن هذا التوقف وهي التي كان رئيسها يملأ الدنيا صياحاً « أخلاقياً » بأن الجيش الفرنسي المعتدي لن تتعدَّى عملياته تحرير الكويت.

■ ذكر محمد فاضل الجمالي ، رئيس الوزراء العراقي الأسبق ، أنَّ جون فوستر دالاس حين عُيِّنَ وزيراً للخارجية في عهد الرئيس آيزنهاور دعاه الى منزله في نيويورك لتناول الشاي. ولمّا سأله عن رأيه في مهمته في الشرق الأوسط استشهد الجمالي بالتوارة التي جاء فيها : « الآباء يأكلون الحصرم والأبناء تضرس أسنانهم ». وعلّق الجمالي : لقد أكل آباؤكم الإنكليز والفرنسيون الحصرم في الشرق وأنتم تضرس أسنانكم. وقد عجب

دالاس من كونه لا يعرف هذه الآية بينما كان مدرِّساً في « مدرسة يوم الأحد » في الكنيسة.

■ أتساءل : أين هي الوثائق التي سيقدمها غداً المعارضون لنظام حافظ الأسد عندما يحين موعد الإدانة. أين هي القوائم بالشهداء ، والمسجونين ، والمعاقين ، والذين تعرَّضوا للتعذيب والسلب والنهب والاغتصاب والتهجير وغير ذلك. أدعو الى مثل هذا التوثيق كما يفعل إخوتنا الفلسطينيون لأننا نريد أن تقوم محاكم قانونية عادلة تحاكم وينفذ حكمها ، ولا نريد مجتمع الفوضى والانتقام.

الجمعة ١ آذار

■ وجهت الولايات المتحدة الأميركية شكرها الى سورية على تسهيل مرور القوات المتحالفة في أجوائها.

■ كارلوس منعم المسلم - الكاثوليكي ،السوري - الأرجنتيني ، والمتصهين في كل الحالات ، لم يسمح لمنظمة التحرير بفتح مكتب لها في بونس ايريس. ولقد كانت إسرائيل دوماً من مصدِّري الأسلحة الى الأرجنتين ، ويوم كان شامير وزيراً للخارجية كان يدعم موقف سفيره في بونس ايريس الذي كان بدوره يتغاضى عن قتل المثقفين اليهود المعارضين لنظام الجنرالات (١٩٧٩ - ١٩٨٣) ، كما فعل الصهاينة في ظل النظام النازي لأسباب لم تعد مجهولة. وقد فعل شامير ذلك من أجل بيع معدَّاتٍ تقدَّر بمليار دولار ، ومن أجل المتاجرة بالدم اليهودي عندما يجدون مصلحة في ذلك.

السبت ٢ آذار

■ يبدو ان بوش اضطر لإعلان وقف النار بعد وجود جيشه في العراق بمأزق ، وبعد أن نصحه مستشاروه بأن يفعل سريعاً ، وهذا ما يفسِّرُ اعلان وقف النار حتى دون إعلام حلفائه.

■ كتبْتُ رسالة شعرية شامية وجهتها الى الشعب الفارس ، قرأتُها على أصدقائي ، وسحبنا نسخاً عديدة منها للتوزيع :

[مَهِّدْ لي عُذْراً إن أتلعْتَمْ فلقد خيَّبَتِ الظَنَّ الشامْ
ما عُدْنا نركُضُ ـ إذ ندعوها ـ إلّا خَلْفَ الأوهامْ
لم تُخْلِفْ ميعادَ خيانَتِها منذ سنينْ
مُذْ خَطَّ لها سِفْرَ مَهانَتِها بالنابِ وبالسكِّينْ
ذاكَ الوحْشُ القابعُ في كَهْفِكَ يا «قَسيُّون»
مُذْ لقَّنَها ، حَرْفاً حَرْفاً ، كيف تخونْ
أنا لَسْتُ أبرِّىءُ منَّا أحداً ، نحنُ الأحْياءُ ـ المَوْتى
حتى أنا هذا المَيْتَ ـ الحَيْ
مُذْ بِدَمي ولَغَ الوحْشُ الموبوءُ وشاءَتْ أن أحْيا حكمةُ ربِّي
يا وطني. هذي أشواكُ المَنْفى في دَرْبي
تَشْهَدُ أني ما اغْضَيْتُ.. ولكنَّ المِخْرَزَ أَدْمَى عَيْنَيْ
ورفاقي شَلُّوا بالغَدْرِ ذراعَيْ
ومشيْتُ وحيداً بجنازةِ حلمي المقتولِ المحمول
كطفلٍ بين يَدَيْ
مِنْ عِقْدَيْنِ وهذا الحفَّارُ المشؤومُ يُخَطِّطُ قَبْرَ بلادي المُمْتَدْ
من جَبَلي حتى بحري حتى صحرائي. من أَمْسي

حتى الغَدْ
ويُهَيِّءُ نعشاً عملاقاً يحبسُ فيه جُثَّةَ مَنْ مِنَّا لم يتشرَّدْ
وحْشٌ يَنْهشُ جُثَّتَنا.. يتشفَّى.. لكنْ جُثَّتُنا لا تتفسَّخْ
ما زال دمٌ في بعض شرايين الجُثَّةِ يَنْضَخْ
لكنْ ـ والهَفي ـ لا تقْدِرُ حتى أن تَصْرَخْ
ولهذا أدْلَجْنا في الركبِ
وعلى جبهة كلٍّ منَّا وَسْمُ حذاءِ الطاغُوتْ
وعلى الأكتافِ نُشَيِّعُ للمقبرةِ الوَطَنَ
التابوتْ
أعْلَمُ أنَّكِ يا بغدادُ على الجُرْحِ تَشُدِّينْ
وتَضِنيِّنَ بما في النفسِ وفي الجَسَدِ الجَبّاريْنِ مِن الآلامْ
مَثَّلْنَا لكِ دَوْرَ «ابْنِ أبيِّ بْنِ سَلُول» في الإسلامْ
نتآمَرُ حيناً. وننافقُ أو نغدرُ أحياناً..
والحقدُ دليلٌ ، والجُبْنُ إمامْ
استحلِفُ أجواءَ الشامِ العُلْوِيَّهْ
أَوَما وَدَّتْ لو تَهْوي خَجَلًا من عِز أُمَيَّهْ
يوم أتاها شُكْرُ «البيتِ الأسودْ»
إذ ركبتَهْا صهيونُ مَطيَّهْ
لتدكَ الملجأ والمَعْبَدْ
ومدارس لن ينْبُتَ فيها أطفالْ
سَحقَتْهُمْ مثْلَ زهورٍ ، فَصَفَتْهُمْ مِثْلَ غصونْ
همجيَّةُ هذا الغَرْبِ الملعونْ

غادرتِ المُبْدعَ والإبداعَ هياكِلَ.. أطلالْ
سأُقاتِلُ من أجْلكَ يا حلم الأجدادِ بحبِّي وببغضي
حُبِّي للنخلِ الشامخِ أشجاراً.. قاماتٍ..
تزدانُ بها أَرْضي
بُغضي للغرب العاري كالمَلِكِ الأبْلَهْ
سُخْريتي من صَلِفٍ يتجبَّرُ أو يتألَّهْ !

كنتِ المنصورةَ يا بغدادُ ، ولكنّا ـ في الوطن الأكبرِ ـ
كُنّا المهزومينْ
كُنّا من جَنَّتِنا الموعودة ـ قبل دخولٍ ـ مطرودينْ
ويُعَزِّينا أنّا اجْتَزْنا ، في أُمِّ معاركنا ، الخَطَّ الأحْمَرْ
وعَبَرْنا حَدَّ الفَزَع الأكْبَرْ
وبدأْنا نرصُدْ
شيئاً في أعماقِ الروحِ العربيَّةِ يولَدْ
شيئاً يتَملْمَلُ أو يستيقظ أو يتمرَّدْ
شكراً يا أُمَّ معاركنا عَرَّيْتِ خياناتِ العُمَلاءْ
وهوانَ المرتزقِينَ الجُبَناءْ
ودعاوى كلِّ دَهاقنة الغَرْبِ السُفَهاءْ
وجَلَوْتِ لنا شعباً أَنقى من كلِّ نقاءْ
أمضَى من كلِّ مضاءْ
يتفرَّدُ بين الأمواتِ وبين الأحياءْ
ورسمْتِ نظاماً يلتفُّ على رايته الأحرارُ الشرفاءْ

وحواليْهِ ـ كعروةَ ـ يحتشدُ الفقراءْ
سَيُغيِّرُ خارطةً يجتهد الحلفاء ـ الأعداءْ
في تثبيتِ بيادقها المرفوضةِ ، أو تجميل معَالِمها الشَوْهاءْ

تلك حصيلةُ ملحمة الشعْبِ ـ الفارسِ
فليخسأْ كلُّ أثيمٍ بنميمٍ مَشَّاءْ
يا طُهْرَ الثورةِ في الزوراءْ
حَرِّرْنا من عبءٍ خطايانا.. قُلْ : كونوا الطلقاءْ !

■ بدأ تنفيذ الإعدامات في فلسطينيين وسودانيين وعراقيين مقيمين في الكويت ، ومتَهمين بتأييد العراق ، على أيدي عصابات آل الصباح التي انطلق الوحشُ فيها من عقاله. واحذر ضربة الجبان.

الأحد ٣ آذار

■ زرتُ اليومَ فندق « الزهراء » بمدينة الزهراء ، من ضواحي تونس العاصمة ، وهو الفندق الذي كنا نزلناه في ايار ١٩٨٩ ، وعقدت فيه المعارضة السورية اجتماعها. وعادت بي الذكرياتُ الى بعض المواقف وأنا أتنقل في صالاته وحديقته المطلة على البحر. وكان الاجتماع ضحل النتائج.

■ كتبتُ مقالة بعنوان « زرقاء اليمامة والغاب المتحرك » جاء فيها :

[يقف المرء مندهشاً أمام ما تَتَخَبَّطُ به الإذاعات الغربية والصهيونية ، عن عمد ، متحدثة عن متمردين شيعةٍ تارة ، ومتمردين أكراد طوراً آخر. ونريدُ ، قبل كل شيء ، أن نشير

الى أنَّ طارئين على البلاد ، أو منبثقين من داخله ، إذا قاموا بتمرد مسَلَّح ـ والبلاد في حالة حرب ، أو أنَّ قسماً منها تحتلُّهُ جيوش معادية ، فإنَّ مثل هذا التمرد خيانة عظمى ، والقائمين به خونة. ولقد رأينا كيف ان الأحزاب الغربية ـ يمينية ويسارية ـ وضعت كل خلافاتها على الرف ، ودعمت جيوشها المعتدية على شعب صغير أبيّ مبدع بقصد إبادَتِهِ واستئصاله من الوجود ؛ فكيف إذا جاء قابعون في الولايات المتحدة الأميركية وإيران وسورية وتركيا ـ كي لا نذكر غيرها الآن ـ وتسلَّلوا بمعداتٍ ومخربين من هذه البلدان ، وهاجموا وطنهم ـ كما يزعمون ـ وأعملوا قتلًا وتدميراً في بُناةِ العمران.

وأتساءل : ألم يخطر لنا أن نتوقف عند معنى التمرد الشيعي أو التمرد الكردي الذي تَسْتَمِيتُ وَسائِلُ الإعلام الغربيةُ في إقْحامِهِ الأفكارَ والتعابير ، وأن نخلع على الألفاظ معانيها الحقيقية كي لا تلتبس علينا المفاهيم ، والتصرفات.

التمرد الشيعي أو الكردي تعبير صهيوني ـ إيراني ـ سوري بالأساس (ولكل من هذه الجهات غايتُها البعيدةُ عن الحق والواقع والمنطق) مدعومٌ بطاقة مستكبرة جعلت مُهِمَّتَها إشاعَةَ الموت والدمار في كلِّ ما هو إنساني ، وجوداً وإبداعاً. فالذين ينطلقون من إيران وسورية وتركيا والولايات المتحدة الأميركية ، في حين تُحَرِّكُهُمْ على الساحة الدولية أصابع صهيون بخيوط فَتَلَتْها جيداً وشَدَّتْها الى مفاصلهم ، هؤلاء لا يمكن أن يكونوا حركةً شيعية أو كردية أو أي حركة أخرى إلّا أن يكونوا الطغمة المرتزقة الخائنة الفاسدة ، يبيعون أنفسهم لكل باذل ، أو لأفضل باذل في مزاد السوء.

لقد تباكت إيران الرسمية « الشيعية » إبّان العدوان الأميركي الهمجي على النجف وكربلاء وقصف العَتَباتِ المقدَّسة ، وهَدَفُها ذَرُّ الرماد في عيونِ الشعوب الإيرانية المسلمة المغلوبة على أمرها ، والتخفيفُ من نقمَتها على هذا التباين الهائل المشبوه بين الادعاء الايراني بمقارعة الشيطان الأكبر بالتصريحات وهو بعيدٌ ألوف الكيلومترات ، ثم سكوت التسلط الإيراني عن هذا المستكبر بينما تهتزُّ حتى المدن الإيرانية من وَقْعِ القنابل ذات الأطنان السبعة على العتبات المقدَّسة ؛ كي لا نذكر غَدْرَ التسلط الإيراني التاريخي والمعاصر ، وتحالفه المستديم مع أعداء الإسلام والعرب بكل جُبْن التستُّرِ وراءَ شعاراتٍ باليةٍ مفضوحة لا تجرُّ إلّا مزيداً من الفرقة بين المسلمين ، ومزيداً من الإساءة لتعاليم الإسلام ، ومزيداً من البلبلة في المفاهيم والقيم حتى يختلطَ الحقُّ بالباطل ، ولا يَقْوَى على التمييز بينهما إلّا ذو بصيرة وإيمان.

وكعادة التسلُّط الإيراني الغادر ، ما إنْ مَسَحَ دموعَ التماسيح أمام الأطلال التي تسبَّبَ بها العدوان الأميركي الهمجي الحاقد ، حتى تحيَّنَ الفرصة السانحة بدوره ، ليواصل نفس الدور الذي بدأهُ كبيرُه الأميركي ، فيرسل شذَّاذ الأفق والحشَّاشين والقتلة والمغتصبين ليَعِيثُوا فساداً في العَتَبات المقدَّسة ، ويرتكبوا ما لا يضاهيهم في مجاله إلّا مَنْ كان مثلهم من مرتزقة الغرب. ثم يتباهى هذا الغرب وإيران بإطلاق نَعْتِ « الشيعة » و « الأكراد » على هذه الحثالة ، ولا يقولون لنا مَنْ هم إذاً هؤلاء المواطنون العراقيون الثمانية عشر مليوناً الذين يؤلفون سكان العراق بعربهم وكردهم ، سنِّتِهم وشيعتهم ، مسلميهم ومسيحييهم ، وقد وقفوا وقفة الشموخ الإنساني في وجه همجيَّةِ عالمٍ لم يَبْقَ فيه مكانٌ

للإنسانية ، فكيف للمنطق البسيط السليم.

الذين يعبرون الحدود من تركيا وإيران وسورية ، ويطيرون من أميركا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا هم الشيعة والأكراد. أمّا سكّان البلاد الأصليون ـ شعباً وجيشاً ـ فهؤلاء كلهم صدّام حسين ، ويجب إفناؤهم كي لا يبقى إلّا شيعة أميركا وأكرادُ فرنسا. فيا لهذه الغيرة ، ويا لهذه المفاهيم التي يأتي بها النظام العالمي الجديد.

هذا النظام الوحشُ كان من الممكن تجنُّبُهُ ووأْدُه في مهده ، لو عَرَف هذا العالم كيف يستفيد من الوقفة العظيمة المتفرِّدة التي وقفها العراق. كان بإمكان العرب أن يستعيدوا أراضيهم المحتلة وكرامتهم المُذَلَّةَ المُهانة. وكان بإمكان الاتحاد السوفياتي أن يعود دولةً عظمى وأن يخرج من المستنقع الذي قذفه اليه غورباتشوف وشيفرنادزة الذي غادر السفينة وهي تغرق ؛ وكان بإمكان الجنوب أن ينال بعضَ حقوقه السليبة ، وأن يستردَّ بعض ثرواته المسروقة فيعالجَ بها جراحه النَفْسية والجسدية من عبودية وجوع وعري ومرض ، ويُبْعِد عنه شبح المنجل الرهيب الضخم الذي يهوي على بلدان كي لا أقول قارَّاتٍ بأسْرِها. ولكنَّ هذا كان معناه دفن نظام أميركا القديم الجديد.

فاتَتِ الفرصة الذهبية. وتألَّبَ العالم الهمجي الفاسد على العراق الذي أعطى الوجود أعظم أمثولة في الإيثار ؛ ثم أخذ هذا العالم يفتخر بأنَّه تغلَّبَ على العراق ، وانشق بوش وجنرالاته صراخاً وغروراً ساديّاً بأن آلتهم الجهنمية استطاعت أن تقتل الأطفال والنساء والشيوخ ، وأن تهدم المدارس والمساجد والكنائس والملاجىء والمستشفيات على مَنْ فيها. وسائر العالم الآخرَ صامت متفرِّج ، قد يكونُ يغالب دمعةً في العَيْنِ ، أو حسرةً

في القلب ، ولكنه لا يتجاوز هذا فهل فَاتَتِ الفرصة الذهبية حقاً الى مئة عام آخر كما يهلِّلُ بوش ونظامه.

لقد حذَرَتْ زرقاء اليمامة قومها من الغاب المتحرك فلم يصدِّقْها أحدٌ ، إذْ هل من المعقول أن يكون هناك غابٌ متحرك. هذا الغاب الذي كان ، حسب الأسطورة ، الحقيقة ، جنوداً يحملون أغصان الأشجار تمويهاً ، ويزحفون كي لا تَكْشِفَهُمْ عينا زرقاء اليمامة اللتان كانتا تريان على مسافة ثلاثة أيام ، فتحذِّر قومها فيستعدوا للمجابهة. هذا الغاب المتحرك الذي أباد قوم زرقاء اليمامة ، وفَقَأَ عينَيْها المنذرتين ، سيأْتي علينا جميعاً في شكل نظام أميركا الجديد ، نظام الغرب الصهيوني الذي أخذ يستبطىءُ سَيْرَ القرون التخريبي فأراد أن يحرق المراحل ـ كما يقولون ـ فأحْرَقَ حتى أَمَلَ الإنسانية بمستقبلٍ سعيد كريم..

ونتفرَّجُ جميعاً بتشفٍّ صفيق ، أو بحسرة ذليلة على العراق وهو يعاني عقابيل العدوان في جسده البشري والعمراني ، ويكابد الاحتلال ومؤامرات التقسيم ؛ ويتفرج العالم ببلاهة وتآمر على النظام الجديد الذي يزحف بتعاليم صهيون : خرِّبوا. دمِّروا. اعتدوا. زوِّروا. أبيدوا. انهبوا. اسرقوا. اكذبوا. اغتصبوا. عمِّمُوا الفساد في كل ذرة من الإنسان والتراب. وعلى كل هذه القُمامة المتراكمة تستلقي نجمة صهيون مطمئنةً الى أنها أدَّتْ دورها ، ووضعت الإنسانية على صليبٍ لن تبرحه بعد اليوم حتى يرث الله الأرض ومَنْ عليها.

لقد كان العراق بمثابة زرقاء اليمامة التي حذَّرَتْ قومها العرب ، وجميع المستضعفين في الأرض ، من غاب متحرك همجي جبان ، فهل لنا أن نستفيد ، مرةً أخيرةً ، من دروس التاريخ ، ونَهُبَّ

على التحذير المتفجر من ينابيع الواقع ، كي نَصْنَعَ الشلّال الذي يولِّدُ كهرباءنا ، ويروي سهولنا ، ويسقي عَطْشانا ، ويطعم جَوْعانا ، ويرسم لنا على مدخل نظامنا الجديد أن جولة الباطل ساعة ، وجولة الحق الى قيام الساعة.

إننا لن نفقد الأمل. ولن نتخلى عن العمل.]

الثلاثاء ٥ آذار

■ أجل ، بعد خمسة قرون من بداية العملية الهمجية التي استهدفت استئصال « الهنود الحمر » في أميركا ، تبقى « الحضارة الغربية » بربرية ، لا إنسانية. وكالقديم ، كان الرجال والنساء والشيوخ والأطفال في العراق حقولًا لتجربة ما تنتجه صناعة الموت الغربية. ففي اليوم الأول فقط من حرب الخليج ـ كما يُسَمُّونها ـ صَبَّ الإنكليز والأميركان من المتفجرات ما يتجاوز قنبلة هيروشيما. كما تجاوزت الألفا غارة يومياً كلَّ أشكال العدوان التي عرفها العالم ، عنفاً وتدميراً.

■ قرأْتُ في مجلة « المعركة » التي أصدرتها مجموعة من الكتّاب الشرفاء إبّان الغزو الإسرائيلي لبيروت ، في العدد الواحد والعشرين ، يوم الخميس ١٥ تموز (يوليو) ١٩٨٢. وفي اليوم الثاني والأربعين من المواجهة : [قال الرئيس اللبناني السابق سليمان فرنجية : عندما يسمح المسؤول لنفسه بالتعاون مع عدوٍّ خارجي للخلاص من أية قضية كانت ، هذا المسؤول لا يستحق بنظري إلّا كلمة : خائن].

كان سليمان فرنجية يعني بذلك خصمه التقليدي كميل شمعون الذي طالب إسرائيل عام ١٩٨٢ باحتلال بيروت الغربية ،

في حديث أدلى به الى إذاعة صوت أوروبا رقم (١٠). فهل ينحصر هذا الرأي بكميل شمعون أم ينطبق على كل أعداء أوطانهم المستعينين بالأجنبي على بني قومهم ؟ أم أنَّ المكياليْنِ دوماً جاهزان للاستخدام حسب المصلحة والهوى ؟!

الأربعاء ٦ آذار

في وصية كتبها الشاعر الفلسطيني معين بسيسو من وصايا سبع الى الكتّاب، عَبْرَ العدد العاشر من مجلة المعركة (١٠ تموز ١٩٨٢)، ولعلَّ فيها تعريضاً بكتّاب بأعينهم : [ثانياً : إذا كان لابُدَّ وأن تخرج بقلمك من الملجأ.. لكي تقع عليك عين كاتب أو شاعر أو مواطن، ولكي تؤكد انك لا تزال في الشارع.. فبادر بالهجوم المباشر المركز على أولئك الكتّاب والشعراء الذين استسهلوا عملية الكتابة الى الدرجة التي أصبحوا يكتبون فيها يومياً.. وهذه الكتابة اليومية إساءة كبرى للأدب الذي يجب أن لا يكون يومياً]. ثم يغدو أكثر توضيحاً في الوصية الرابعة : [هذه المأساةُ شَلَّتْ أصابعي، ودخانها ملأ حنجرتي. وانك أصبحت لا تطيق أَنْ تَشُمَّ رائحةَ الحِبْر. وانك تصاب بالغثيان حينما ترى ورقة بيضاء. ولا مانع من أن تكسر قلمك استنكاراً للعجز عن التعبير والكتابة]. في كل هذا إشارة الى الذين صمتوا أو تقاعسوا في معركة بيـروت، إبّان الغـارات الإسرائيليـة على الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية، متذرعين بأن الأدب غير هذه الكتابة اليومية، وهم في الواقع قد صمتوا جبناً وانتهازية.

السبت ٩ آذار

أقام الطلبة والأساتذة في كلية الحقوق احتفالًا فائقاً للغاية ، تضامناً مع العراق. جلستُ على المنصة مع عدد من الأساتذة التونسيين ، وقد ألقوا كلماتٍ ملأى بالوعي والعاطفة. وألقيت محاضرة حازت على تفهم كبير ، وشفعتها بقصيدة في موضوع الساعة. وهذا بعض ما جاء في المحاضرة :

[أعبّرُ عن سعادتي إذ أجد نفسي في تونس الموقف الوطني القومي المشرّف على جميع الأصعدة ، وبين شباب تونس العزيزة ، وأنا الذي تعوَّد طوال حياته العملية أن يجد نفسه بين شباب أمته العربية في الجامعات والمنتديات ، وأن يخاطب في هذه الشبيبة الجيلَ الذي كنا نحلم ونناضل ونؤمن ونحن في مثل سنّهِ أنَّ الستينات فكيف بالثمانينات ستحمل لنا الوحدة العربية بكل ما فيها من قوة وكرامة وتقدُّمٍ وازدهارٍ ومنعةٍ وإسهام فَعَّال في النظام العالمي الحضاري الذي كان أجدادكم على أرض هذا الوطن الكبير هم الذين قدَّموا للعالم مثاله الأكمل.

[لا يمكن أن أحيط بكل جوانب هذه الملحمة البطولية الحضارية التي خاضها العراق ضد قوى الشر والدمار ووحوش المال والارتزاق من البلاد العربية والشرقية ، والتي يسجِّلُها العصر على أنها إحدى أمجد الملاحم في تاريخ الإنسانية ،بل هي نقطة الإنطلاق والتغيير الحقيقي في عصرنا ، لا ما تريده امبراطورية الرعب والتسلط والدمار.

[إن كثيراً من المحللين والكتّاب والستراتيجيين والعلماء الاختصاصيين سيجدون في هذه الملحمة العراقية العربية مجالًا

ذا سَعَةٍ للاستخلاص وللإفادة ولإغناء الفكر الإنساني.

[لقد أثبت الحلف الغربي ـ الصهيوني نجاعته المشؤومة في مواقف مأساوية كثيرة أصابت الأمة العربية في قُواها الحية. وقد جرى تجريب هذا الحلف على الساحة اللبنانية حيث استهدف القوىٰ الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية فدمَّر الحجر والبشر، والكهرباء والماء، ولاحق السكّان الأبرياء، أما المموِّل الغبيُّ حتى في خيانته ،فهو دوماً الخليج والسعودية. وهكذا صرف هذا المموِّلُ الشحيحُ عادةً، عشراتِ مليارات الدولارات لتدمير قوة العراق ونهضة العراق، وتدمير نفسه على المدى القريب والبعيد، في نهاية المطاف. في حين كان وما يزال يضنُّ بالدولار الواحد على المقاتل الفلسطيني والطفل الفلسطيني، وعلى التنمية في البلدان العربية الشقيقة والتي هي ذاتُ حقٍّ في هذه الثروة الطائلة باعتبارها جزءاً من هذا الوطن الكبير الذي سلَّط عليه الأجنبي طغمة يتسلَّطُ من خلالهم على هذه الثروات، تاركاً لهم ما يشبعون به فَسادهم، بينما ثرواتهم في الواقع إنما هي في مصارف الأجنبي والعدوّ، وفي شتَّى توظيفاته، ولا حول لهم ولا طول إزاءها إلّا بمقدار ما يسمح به هذا العدو ـ الحليف.

[يثيرون دوماً، بالنسبة للعراق وحده، قضية الأقلية الكردية القومية. وترأس زوجة الاستعماري الاشتراكي ميتران، ربيب غي موليه الاشتراكي سفَّاح الجزائر، لجنةً لدعم القضية الكردية. ويلحُّ عليّ تساؤل وهو: إذا كانت دانييل ميتران إنسانية الى هذا الحد، فلقد كان الكورسيكيون والبروتون والباسك وسكان المستعمرات الفرنسية التي تبعد آلاف الكيلومترات عن فرنسا، أحقَّ بعطفها إذ أنَّ بلادها فرنسا وأن حكومة زوجها هي التي تُصِرُّ

على إستعمارهم وقمعهم واستنزافهم ، وهم الشعوب الأجنبية عن الشعب الفرنسي بالأرض والتاريخ واللغة والتقاليد وكل شيء. بل لو أنَّ تبنِّي حقوق الأكراد والدفاع عنهم جاء هكذا إطلاقاً لما وجدنا سبيلًا إلّا أن نشكر هذه الإنسانية وأن نُكْبِرَها ولكنهم يريدون ـ لسوء نيتهم ولإنسانيتهم الكاذبة ـ أن يَحْصُروا القضية الكردية في العراق ، بينما هم ، ثمة ، يَنْعُمونَ بحكم ذاتي ولهم مجالسهم المحلية ونوابهم ووزراؤهم وجامعــاتهم وصحفهم ومدارسهم وأحزابهم واتحادُ كُتّابهم ، ومؤسساتهم المختلفة ، بلغتهم القومية ، وفي حين نرى أنَّ نائب رئيس الجمهورية العراقية كردي ، نرى أن الأكراد غير معتــرف بهم في إيران وتـركيا وسورية ،وهم يعانون القمع والقتل الفردي والجماعي ولا يُسْمَح لهم باستخدام لغتهم حتى حديثاً ، ولا بتكوين أحزاب ، ولا بغير ذلك من الحقوق الإنسانية ، ومع ذلك فالاصبع الامبريالية الصهيونية تشير الى العراق ، والقلاقل يجب أن تقع في العراق.

[الى جانب الثورة الكردية غصَّتْ حلاقيم الإعلام الغربي ـ الصهيوني بالثورة الشيعية. فما معنى ثورة شيعية وما معنى أَنَّ هناك « آياتٍ لله » أو « حججاً للإسلام » يقودون هذه الثورة من إيران ، بكل التركة المدمِّرة لها وللإسلام ،والتي كنا نأمل للشعوب الإيرانية الشقيقة أن تكون قد تخففت منها للسير في ركب الأمم المتحضرة. إنَّ لقب آية الله الذي يُطْلَقْ على شخص ضعيف محدود العلم والقوة ، مهما بلغ منهما ، لهو تعبير غريب ، قبل كل شيء ، عن الإسلام. ولقد عرفنا كبار العلمَاء والمجتهدين يفتخر واحِدُهُمْ وَيسْمُو بأنه العبد الفقير لله تعالى ، وليس آية عظمى من آياته. إنها لا تعدو كونها تسمياتٍ كسروية قيصرية يبرأ منها

ومن مثيلاتها الإسلام. ثم أنَّ إعلان كل طائفة أو جزء من طائفة الثورة باسْمِ طائفته لا يعني إلّا تجزئة الوطن وتفرقة المواطنين ، إذ لن يعود هناك عراقيون بل ثمة شيعة وسنة وعلويون وارثوذكس وكاثوليك وبروتستانت وغير ذلك من المذاهب. بل ان الثورة الشيعية متناقضة مع حليفتها أو ربيبتها الثورة الكردية ، لأنَّ الأكراد العراقيين سُنَّةٌ في غالبيتهم. ثم ماذا سيكون موقف الأكراد الشيعة. هل ينضمُّون الى الثورة الشيعية ويتخلفون عن شعار الثورة الكردية. وما موقف الأكراد العلويين والمسيحيين الى آخر السلسلة. هذه حالاتٌ يسخر بواسطتها الغرب الصهيوني منا ويهزأ بنا كشعوب متخلفة مشتتة لا وعْيَ لها. وإلّا ، أَيُسْعِدُ الغرب ويرضيه أن نتحدث أو ندعم أو نختلق ثورةً كاثوليكية فرنسية ترمي لأن تلتحق بالفاتيكان أوبروما ، أو ثورة ارثوذكسية فرنسية أيضاً ترمي الى الالتحاق بالمدينة السورية (سابقاً) انطاكية ، عاصمة الارثوذكسية في العالم والتي دفعتها فرنسا المستعمرة لقمةً في فم الذئب التركيِّ الأطلس أو الأطلسي. لقد ضاع كل منطق ، وكل عقل ، وكل وجدان.

[إنَّ الشيعة والسنة ، والعرب والأكراد ، والمسيحيين والمسلمين ، وجميع العراقيين هم أبناء العراق ، وهم مع وطنهم العراق ، الجوهَر الفرد الذي لا يتجزأ ، والذي هو بدوره جزء أصيل من هذا الوطن الكبير. ولئن وُجِدَ متآمرون وخَونة في كل مكان ، فليس من الممكن أن ينجو العراق ـ مهما كان نقياً وساهراً يقظاً ـ من أمثال هؤلاء الذين يبيعون أوطانهم وإيمانهم وشرفهم من أجل غايات دنيئة ، ولا يضير العراق أن يكون فيه بعض الخونة والعملاء فانَّ فيه ثمانية عشر مليوناً يرفعون راية المواطنة ، راية البناء

والقــوة والعلم والحضارة ، وقـد وجدوا الطـريق التي عليهم أن ينتهجوها. وهذا شيء عظيم.

[يؤكدون على ان العراق فسيفساء من القوميات والأديان ، وانه بذلك ليس دولة منسجمة. وتتفنن وسائل الأعلام الغربية الصهيونية ، وتعرِضُ خارطة العراق ، وتقسِمُها بالقلم والمسطرة ، متناسية ان الكيان الصهيوني مجموعة من كل قوميات الدنيا بما فيها الأحباش ، احتلُّوا أرضاً لا علاقة لهم ولا لأجدادهم بها ـ إنْ عُرِفَ هؤلاء الأجداد ـ منذ أن كان الكونُ كوناً ! وانه ليس ثمة من لغة تجمعهم ، وان مذاهبهم شتى. متناسيةً أن فرنسا ، وهي من الكيانات الصلبة في أوروبا ، مؤلفة من قوميات عديدة بما فيها الإيطالية والروسية والبولونية والاسبانية والألمانية والعربية والكورسيكية والباسكية والبروتونية والأفريقية عموماً والآسيوية. وأغلب هذه القوميات لم يمضِ على فَرْنستِها إلّا ما بين عِقْدٍ وسبعة عقود. وهل نذكِّرُ هؤلاء بقوميَّات الولايات المتحدة ، وهل يوجد ، على هذا الأساس ، شيءٌ يقال له الولايات المتحدة الأميركية. وهل نُحَدِّثهم عن الاتحاد السوفياتي وقومياته المئة ، ولغاته ما فوق ذلك. وهل نلوِّح لهم ببلجيكا الاستعمارية القزمة ، وسويسرا ، وهل نعرضُ أمامنا خرائط هذه الكيانات. ولكن لنعد الى العراق ، والى الوطن العربي عامة. إن العرب هم ورثة الأرض الممتدَّة من المحيط حتى الخليج الذي غدا سيء السمعة بحكامه السيئين. ولقد ورث العرب كل الحضارات القـديمة القـائمة على أرضهم وتمثلوها ، وجعلوا منها حضـارتهم ، وبعثوهـا من البلى ، وأكملوا مجدها وإشعاعها ، ولم يقسروا ، في أية فترة من فترات حكمهم ، أيَّ تجمع قومي أو لغوي على الـذوبان

في كيانهم إلّا إذا اختار ذلك طواعية وبشكل طبيعي ، وبفعل الثقافة والدين والتعايش على الأرض الواحدة ، وذلك على مدى أربعة عشر قرناً وليس على مدى عقد أو عقدين من الزمن كما في الغرب. لقد رأى العرب في الأقليات القديمة على الأرض العربية مواطنين كاملي المواطنة ، ومنهم مَن ذاب في مفهوم العروبة الحضاري كما أشرنا. ولعلَّ الأمْرَ كان سيستمرُّ طبيعياً وتلقائياً لولا أن الاستعمار هو الذي ينفخ دوماً في رماد الفتنة كي يوقدها ، ويريد أن يطبق علينا ، نحن العرب ، ما يرفضه لنفسه. إنهم لا يرضون في فرنسا أو غيرها إلّا بإذابة كل القوميات والثقافات واللغات وصهرها ، على الفور ، وبالإرهاب ، في كياناتهم وإلّا قذفوا بها وراء الحدود ؛ بينما تراهم يرفضون علينا مثل هذا الصهر الذي يجري طبيعياً وعفوياً ومنطقياً وحضارياً عبر القرون. فإذا فَعَلْنا كفعلهم اهتزَّت صحافَتُهم ومؤامراتهم المسلحة ، وإذا لم نفعل جعلوا منه رصيداً لزعزعتنا متى شاءوا.

[لقد ألمحنا الى تركيبة إسرائيل فلنشر الى تركيبة إيران المؤلفة من الفرس والعرب والكرد والبلوش والأذربيجانيين وغيرهم. ولئن كان المذهب الشيعي هو السائد فإنَّ هذا المذهب كغيره له مَرْجعيَّاتٌ عديدة. وهذه المرجعيات تختلف باختلاف الأقاليم والقوميَّات. ويجب أن لا يغيب عن إدراكنا أنَّ هناك فَرْقاً بين أكثرية مذهبية وأكثرية سياسية. إذ لا شك في أنَّ المأخوذ به في الدول الحضارية ، مؤمنةً أو ملحدة أو وثنية ، هو حكم الأكثرية السياسية. وليس نادراً أن تجيء الأكثرية السياسية متناقضةً مع الذين يَدَّعون تمثيل الأكثرية المذهبية وكل ما يريدون أن يفرضـــوه باسم مفاهيمها. ومهما يكن فقد حارب الشيعة العراقيون ، عرباً وأكراداً ،

وصدُّوا عدوان إيران التي استغلَّتْ دعوى الأكثرية المذهبية ، وكسروها ، وظنُّوا أنهم أعادوها الى صوابها. وأخطأ ظَنُّهم وإنْ كان باستطاعتهم دوماً أن يذكِّروها بهذا الدرس ، وإن كنّا نريد لها أن تتعظ ويَتَّعِظ العالم جميعاً بغير هذه الطريقة في التعليم.

[وأخيـــراً أريد أن أجلـو قليلًا لكم وجـه سوريـة التي ربما فاجأتكم في هذه الحرب العدوانية. إن سورية أيها الأعزاء لم تعد سورية التي تعرفونها أو يعرفُها آباؤكم. لم تعد ، كما يُشرِعُ التعبير الى اللسان ، قلب العروبة النابض ، ولم تعد قلعة النضال ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، ذلك لأن سورية قد خضعت طوال ربع قرن لحكم فاسد متسلط أشاع الطائفية في التفكير والممارسة ، وركَّزَت عليه الولايات المتحدة الأميركية وخطَّطَتْ له أساليب غَسْلِ أدمغة الشعب جميعاً. إذ أنه ، بالنسبة لسورية لم يكن بالإمكانِ فقط الاتيانُ بضابط انقلابي فاشستي يحكمها بالحديد والنار ، ثم تسيير الأمور كما يريدون ، بل كان لا بُدَّ من تغيير تركيب السكان النفسي. وهذا ما فعله نظام حافظ الأسد ، لذلك لم يكن من الممكن ، أن تتحرك أية جهة في سورية ، ولا أيَّ وسط من أوساطها. هل يعني هذا ان سورية حالة ميئوسٌ منها. كلا ، بالطبع ، ولكنَّ المعالجة صعبة ، تقتضي زمناً وتقتضي حكمة وتقتضي اخلاصاً كي تجتازَ هذه الحالة المرضيـة التي غمسها فيها الحكم الدكتاتوري وحلفه العدواني.

[من أجل كرامة العرب ، ومن أجل أن لا يمرَّ ، بسهولة دون تسجيل أية مقاومة له ، نظامُ الفوضى والجبروت والنهب والإذلال الأميركي الجديد ، ومن أجل أن تنفتح العيون المُطبقَةُ في نومٍ مشبوهٍ عميق ، وتهتزَّ الضمائر المُغْلَقَةُ في وجه الحق وهي تجابه

القضية الفلسطينية ، ومن أجل أن لا يملك هذا الأعرابيُّ الأشدُّ كفراً ونفاقاً وأسرته الظلامية وطُغْمَتُهُ ثروةً وتوظيفاتٍ بمئات مليارات الدولارات في البلدان الأجنبية ، في حين أنَّ الملايين من إخواننا وأشقائنا في السودان ـ على سبيل المثال ـ تذكر إذاعات العالم وتلفزاته أنهم مرشَّحُون للفناء عن بكرة أبيهم ، من المجاعة. وتعرض لنا صوراً لهياكل بشرية وكأنها خارجة من القبور ، وهي محسوبة في الأحياء ، الى جانب الملايين في كل بقعة من بقاع وطننا ، لا يملكون إلّا جوعهم ومرضهم وعذابهم وآلام النفس والجسد ؛ ومن أجل أن يكون للعرب وجودهم المادي والروحي في هذا العصر ، والعصور المقبلة ، صَمَدَ العراقُ ، وحيداً ، محاصراً ، طوال ستة أسابيع تحت أعنف قصف ، وفي وجه أعْتَى عُدوان وأكثره جبناً ووحشيةً معاً على إمتداد جميع الأزْمِنة.

هذا الصمود يستحقُّ منا كلَّ الاحترام والدعم ـ إن لم نستطع أن نقدِّم له شيئاً آخر ـ وذلك كي نُفْسِدَ المؤامرة الصهيونية الامبريالية الكبرى. إنَّ علينا أن لا ننظر ،كمتفرجين ، الى ما يجري في العراق الآن ، والى ما يؤججه الحلف العدواني ، الصهيونيُّ أَوامِرَ ، الأَمَمِيُّ تنفيذاً. وأريد أن أذكِّرَ سورية وإيران ومصر أنها هي المرشحة للبلقنة التي يريدون أن يعرِّضوا لها العراق. فعسى أن تنفع الذكرى.

كما أريد أن أذكرَهم بإسرائيل الكبرى المرسومة في جملة ما هي مرسومة عليه ـ على العُمْلَةِ الاسرائيلية ، وهي تمتدُّ من النيل الى الفرات ، وتضمُّ أكثر من نصف سورية بما فيها دمشق العاصمة ، وأربعة أخماس لبنان ، والكيان الصهيوني الحالي بما فيه الأراضي المحتلة والجولان ، وسيناء والأردن والسعودية

حتى حدود المدينة المنوَّرة ، بالاضافة الى ثلاثة أرباع العراق. ولا يظنَّ أحدٌ أنَّ هذا من قبيل الأوهام. وأريد أن أذكِّرَ هؤلاء الذين يُثَوِّرون الشيعة حيناً والاكراد تارة في العراق ، أين هم من إخوانهم العرب المضطهدين والمحرومين من جميع حقوقهم الإنسانية بما في ذلك لغتهم ، في إيران وتركيا ، فما قولنا بأشقائنـــا في الأراضي المحتلة ، وهم في كل لحظة ، يكابدون وحشية صهيون وهمجيتها.

أنا أعتقد أن المعركة الحقيقية قد بدأت ، وأنَّ الشباب بحيويته ونشاطه الثوري وحسِّهِ الوطني وشعوره القومي ومعرفته وحميَّته ، هو القادر على التصرف السليم في هذه المعركة ، فلنتطلع الى أنفسنا ، والى بغداد ، الى العراق ، فمن هناك ، وهناك ، يرتسم المُسْتَقْبَلُ العربي المضيء بعون الله. وسعيدمَن يحمل إليه ولو شمعة.].

الأحد ١٠ آذار

تجتمع المعارضة العراقية في بيروت التي شهدت إجلاء الفلسطينيين بتآمر من بعض الحركات المارونية ، وسورية ، وإسرائيل ، وقوى أخرى تدَّعي الوطنية. وها هي سورية تجمع معارضة ليس للمناداة بالحاق المحمَّرة بوطنها العراق ، بل لقضم أجزاء منه ، وإشاعة الموت والدمار.

الاثنين ١١ آذار

لا يترك شامير مناسبة إلّا أكَّدَ فيها على حتمية قيام إسرائيل الكبرى. وفي طليعة هذه المناسبات اجتماعاته بوزير الخارجية

الأميركي ، جيمس بيكر ، إذ أعرب الأول لهذا الأخير أنَّ إسرائيل الحالية ومعها المناطق المحتلة. (سواء ما كان منها سورياً أو فلسطينياً أو لبنانياً) ليست سوى جزء من إسرائيل الحقيقية التي سنشهد قيامها في يومٍ من الأيام ، ليس بالضرورة اللاهوتية فحسب بل بالضرورة الستراتيجية.

وهل نعيد الى الأذهان مذكرة المنظمة الصهيونية العالمية التي قدمت الى مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩١٩ وجاء فيها : [إن جبل الشيخ هو أبو مياه فلسطين الحقيقي ، ولا يمكن فصله عن فلسطين دون تعريض حياتها الاقتصادية للخطر].

النفط ثم المياه. ولنشرب بعد ذلك البحر الملوَّث.

الثلاثاء ١٢ آذار

يلاحق الإعلام الفرنسي صدَّام حسين بالإشاعات ، وانه لم يظهر على التلفزيون منذ عشرة أيام ، وانه تعرَّض لعملية اغتيال وأصيب بالتحديد في ذراعه اليمنى ، وان الذي أطلق النار عليه هو نائب رئيس الوزراء ، لا أكثر ولا أقلّ. ورحم الله المتنبي :

كم قـد قُتِلْتُ وكم قـد مُتُّ عنـدكُمُ
ثم انتفضْتُ فـــزالَ القَبْـــرُ والكَفَنُ

الأربعاء ١٣ آذار

أرسلتُ الى الأخ ياسر عرفات رسالةً أردتها أن تكونَ تعبيراً صادقاً ، صريحاً ، عن رأيي بالنظام السوري في هذه المرحلة التي اختلطت فيها الأوراق ، على مَنْ يرغبون أن يجدوها كذلك ، وامتزجت الخيانة بالبطولة ، والتآمر بالدهاء ، وكادا يتبادلان

التسميات :

[بينما تتكالب الصهيونية والامبرياليةالهمجيتان المعاديتان للوجود العربي أصلاً ، وفي رأس أهدافها الشريرة اغتيال المصير الفلسطيني ، نعبِّرُ لكم ، في الحزب الوطني الديمقــراطي ، عن وقوفنا بكل إمكاناتنا الى جانب منظمة التحرير الفلسطينية في نضالها الدؤوب المصمم بإذن الله على النصر وبناء الدولة الفلسطينية التي هي حق « ويحِقُّ الله الحق ، بكلماته ولو كره المجرمون ». صدق الله العظيم.

إنَّ الحزب الوطني الديمقراطي الذي وعى الخطر المأساوي الذي جره الحلف العدواني على الأمة العربية وصحــوتها وانتفاضتها ، لا يَمَلّ من فضح هذا الحلف الخياني في جانبه « العربي والإسلامي » ، الإجرامي الهمجي في شِقِّهِ الدخيل المحتلّ. كما يرى الحزب أنه لم يعد هناك معنىً لأن يجامِلَ القتيلُ قاتله ، ونحن نراه كل يوم يُسْقِطُ منا ضحايا جديدة ، وهكذا نشيِّعُ كل يوم شهداء أبطالاً كان مكانهم في المعركة ضد الصهاينة المحتلين ، فإذا بمقصلة النظام السوري تمعن فيهم إستئصالاً ، وبسجونه تنغلق عليهم بالألوف لا بالآحاد. وما معنى أن يُفْرِجَ النظام عن ثلاثمئة فلسطيني كانوا في سجونه من بين « أربعة آلاف سجين فلسطيني » ما زالوا يعانون الموت البطيء ويكابدون التعذيب الوحشي. ونحن إذا تجاوزنا عدم صحة هذا الرقم الذي ذكرته كلُّ إذاعات العالم دون أن يختلج ضميرُنا المغيَّب بالقمع أو بالخوف أو بالتآمر أو بالباطل لــوجه البـاطل ، فـإن لنا أن نتساءل : لماذا هذا العدد في سجون سورية ، ولماذا يقتلهم النظام كما تفعل صهيون ، ولماذا لم يطلق سراح كل هذه الأعداد

مادام من المفروض أنَّ الندم على اقتراف الإثم والعدوان قد أخذ يساوره.

[إن الحزب الوطني الديمقراطي الذي يكابد من النظام الأسدي أعتى المُلاحقة الإجرامية ، وقد جرت محاولة اغتيال رئيس الحزب مراراً انكشفت مخططاتها في أكثر من بلد أجنبي ، ونجحت أخيراً في التاسع عشر من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٩٠ على مطار إحدى العواصم الأوروبية الشرقية ، وشاءت أن يشفى حكمةالله تعالى فهو من تلك اللحظة الشهيد ـ الحي الذي لن يتوانى عن فَضْح المجرمين والمتآمرين والخونة دون مواربة أو تلكؤ أو خفوت صوت ، وماذا بعد القتل والاغتيال :

ولنحنُ أمواتٌ فهل يَخْشَى الردى
مَيْتٌ له حفروا ضريحاً ثانيا

وإنَّ الحزب الوطني الديمقراطي الذي يعرفُ طبيعة تركيبة هذا النظام ورئيسه ، ليحذِّرُ من التحركات ، ليس المريبة فقط ، ولكن المفضوحة الآن ، بعد أن أَمِنَ ، أو خُيِّلَ إليه أنَّه أَمن عقابَ شعبه ، حين شلَّ طاقة هذا الشعب وزوَّره وشوَّه حقيقته ودمَّر أصالته ؛

إن جريمة النظام الأساسية أَن زوَّرَ الشعب السوري ، حتى استطاع ـ عبر ذاك ـ أن يجترح كُلَّ خياناته وجرائمه وهو مطمئن الى أنَّ ردَّةَ الفعل لن تكون بذاتِ بال. وهذا ما ثَبَتَ حتى الآن ، ولكنْ الى متى ؟!

لكي لا يَطُولَ هذا الأجل ، ولكي لا تستمرُّ المفاهيم الخيانية واللامنطقية والإرتزاقية واللامبالية وأشباهها ، يُواصل الحزبُ

الوطني الديمقراطي في سورية تَعْرِيَةَ هذا النظام ، وتَوْعية الجماهير ، وتحريض الشَعْب والأمة ؛ وفي طليعة هذه المبادىء الأساسية دَعْمُ العراق وقيادته التي طرحَتْ ـ بالرجولة والإستنارة والدم والتضحياتِ المادية اللامحدودة ـ على البساط العربي والدولي القضايا الجوهرية لمنطقتنا وللعالم ، وطريقة حَلِّها الحلَّ الصحيحَ العادل ؛ والالتفافُ حول منظمة التحرير الفلسطينية ؛ وتقديمُ كلِّ العَوْنِ لها ، مادياً ومعنوياً ، كي لا ينطبقَ ، خاصةً على الأغنياء والقادرين مِنَّا من الأفراد والدول ، نَعْتُ المنافقين الذين لا يفقهون : [هُمُ الذينَ يقولون لا تُنْفِقوا على مَنْ عندَ رسولِ اللّه حتى يَنْفضُّوا ، ولِلّهِ خزائِنُ السماواتِ والأرْضِ ولكنَّ المنافقينَ لا يفقهونَ] صَدَقَ اللّه العظيم.

وَيُحَذِّرُ الحزب الوطني الديمقراطي في سورية ، بكُلِّ صفاءِ المَعْرِفَةِ والإيمان ، وبكل حِرْصِ المُحاربينَ على سلامَةِ قُوَّاتهم وأسلحتهم وخُطَطِهم ومعنوياتهم ، من الحِلْفِ الشرِّير السوري ـ الإيراني ـ الصهيوني ، مَهْما تَلَوَّنَ كالحرباء ، أَوْ رَدَّدَ شعاراتٍ بالية كاذبة كالبَبَغاء. [« هُمُ العَدُوُّ فاحْذَرْهُمْ. قاتَلَهُمُ اللّه أنّى يُؤْفكون » ـ « وَدَّ الذينَ كَفَرُوا لو تَغْفُلونَ عن أسلحتِكُمْ فيميلونَ عليكم مَيْلَةً واحدة » ـ « وإذْ يَمْكُرُ بكَ الذين كفروا لِيُثْبِتُوكَ أَو يَقْتُلوكَ أو يُخْرِجوكَ. ويَمكرونَ ويَمكُرُ اللّهُ واللّهُ خيرُ الماكرين » ـ « قُلْ لن يُصِيبَنا إلّا ما كَتَبَ اللّه لنا هو مَوْلانا وعلى اللّه فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون » ـ]

صَدَقَ اللّه العظيم.

١٩٩١/٣/١٢

الحزب الوطني الديمقراطي في سورية

الخميس ١٤ آذار

وصلني جواب الرئيس عرفات. وقبل توقيعه كتب بخط يده :
ومعاً حتى القدس المحرّرة بعونه تعالى :

دولة فلسطين
منظمة التحرير الفلسطينية
اللجنة التنفيذية
الرئيس

الأخ د. أحمد سليمان الأحمد
رئيس الحزب الوطني الديمقراطي في سوريا

تحية الثورة وبعد ،

ببالغ التقدير تلقيت رسالتكم الاخوية التي تؤكدون فيها مشاعر الدعم والتضامن مع كفاح شعبنا العادل من أجل نيل حريته واستقلاله.

وإنني إذ أحيي فيكم مواقفكم القومية الصادقة في الدفاع عن قضايا أمتنا وفي مقدمتها قضية فلسطين العادلة ، لأؤكد لكم أننا مع جميع الأحرار والشرفاء في أمتنا سنواصل الدفاع عن حق أمتنا في الوحدة والتحكم بمقدراتها وثرواتها لتواصل مسيرتها التاريخية نحو بناء مستقبل مشرق لها وإعلاء كلمتها بين الأمم ، لتتمكن من حشد طاقاتها وإمكاناتها لشدّ أزر شعبنا في كفاحه الوطني العادل وانتفاضته الشعبية المباركة ، التي يواصل خوضها بعزم وإصرار قويين حتى تحقيق الانتصار بتحرير أرضه ومقدساته من الاحتلال الإسرائيلي وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس

الشريف.

أجدد لكم تحياتي وشكري العميق لوقوفكم وتضامنكم وحزبكم معنا في هذا الظرف العصيب الذي تمرُّ به أمتنا.

أتمنى لكم الصحة والسعادة ولحزبكم الموقَّر النجاح.

وإنها لثورة حتى النصر ،

ومعاً حتى القدس المحرَّرة بعونه تعالى

تونس في : ١٩٩١/٣/١٤

ياسر عرفات

رئيس دولة فلسطين

رئيس اللجنة التنفيذية

لمنظمة التحرير الفلسطينية

الجمعة ١٥ آذار

لم يستطع شِعْرُنـا المقاوِم أو المعـارض أو المحتجّ أو البهلوان ، في الكثير من نماذجه التي تحمل أسماء لامعة أو ملمَّعة ، داكنة أو مُدَكَّنة ، أن يكون ذا رسالة مقبولة أو جذابة بعمق مضمونها ونفاذه ، كي لا نتعرض الآن الى شكلها. فإذا أخذنا ما له علاقة بالنظام المتسلط في دمشق رأينا هذا الشعر ، مثل معظم السيـاسيين المقـاومين أو المعـارضين أو المحتَجين أو البهلوانات ، يلجأ الى المسبّة الفجَّة ، والى التهكم المقَزِّز ، والى الإتهام التعميمي الذي لا يعرف أو لا يريد أو لا يجرؤ أن يشير الى العلة التي يجب استئصالها. وهكذا لم تستطع المعارضة السورية أن تجد لنفسها برنامجاً يمكن أن تتقاطع عليه الأهواء والمطامع والمطامح والمبادىء إذا شئت ، ثم تمضي قُدُماً

في تنفيذه ، وكسب ثقة المواطنين كي يستطيعوا إيجاد البديل وكي يرتضوه. ولم يستطع التأليف الفكري أو الأدبي أن يقدِّمَ عملًا كبيراً في هذه الحقبة التي امتدَّت ربع قرن. ولا يقلْ قائل أنَّ هذه فترة غير كافية لإنضاج عمل فكري أو ثقافي. لقد شاع نوع من أدب السخرية ، ومن تقريع الذات ، وجلدها بساديَّةٍ سطحية ، من نوع تلك الأحاديث التي تعجُّ بها المقاهي والتي برعَتْ بترويجها « أفكار » انتهازية ، لا تخلو من براعة في هذا المجال ، ثم يأتي بعض شعرائنا أو كتّابنا فينقلونها هكذا دون إجهاد. ويريدون ، أن يحملونا على التصديق بأنَّ هذا هو الأدب ، وهو الشعر ، بل يريدون بسط هذا على خارطة الشعر عامة. جريمتان دفعةً واحدة .

الأحد ١٧ آذار

اليوم الأول من رمضان المبارك. شهر الصوم ، وذكرْتُ قول الشاعر القروي يجلجل من مهجره في البرازيل :

لقـــد صـامَ هِنْـدِيٌ فـزلــزل أُمَّــةً
فهل ضارَ عِلْجاً صَوْمُ مليــون مُسْلِمِ

وأراد بالهندي غاندي. أمَّا المليون فاني أسمح لنفسي بأن أضاعفه ألف مرة فأقول : مليار مسلم. والنتيجة واحدة.
وذكرْتُ قول الأخطل الصغير ، بشارة الخوري ، وهو يشير الى أبطال فلسطين :

قُمْ نَجُــعْ يــومــاً من العُمْــرِ لَهُمْ
هَبْــهُ صــوم الفصــح هَبْــهُ رَمضــــانـا

مكّـــــةُ والقُـــــدْسُ منـــذ اختلمـــا
كعبتـــــانـــا. وهـــوى العُـزْبِ هـــوانـــا

الاثنين ١٨ آذار

■ فكتور ألكسنيس ، العقيد العسكري ، والنائب ، وزعيم الفريق البرلماني السوفياتي « سويوز » الذي يضم ٤٧٢ نائباً ، أبدى رضاه لاستقالة شفرنادزة. وقال : لقد استفاد الغرب من سياسة هـــذا الأخير ، ومن التنـازلات الوحيـدة الجانب التي قدَّمها الاتحاد السوفياتي.

وأضاف : لديَّ وثائق تؤكد ان التغييرات التي حصلت في أوروبا الشرقية كانت بتدبير من بلادنا السوفياتية. وقد رووا لي أن غورباتشوف في زيارته الأخيرة لهونيكر طلب من هذا الأخير أن يبدأ فوراً في البيريسترويكا. وحسب شهود أجاب هونيكر : أيها الرفيق العزيز غورباتشوف ، ان الاتحاد السوفياتي بلد كبير ، لذا فإنَّ البيريسترويكا يلزمها عشر سنوات لتدميره ، أمَّا ألمانيا الديمقراطية فبلد صغير وتكفي عشرة أيام للوصول الى هذه النتيجة. لذلك فاني أرفض.

وقال العقيد في حديثه دوماً الى مجلة « الفيغارو ـ ماغازين » الفرنسية : إن سحب قواتنا من أوروبا الشرقية يشبه الهزيمة. وعلَّق : إن غورباتشوف غير قادر على الإتجاه نحو الدكتاتورية، وليست له إرادة ولا سياسة. إنه يكدِّسُ الإخفاقات في هذه المرحلة. إنه لا يعرف إلّا التدمير.

■ وكتب أحد قراء المجلة الفرنسية : « بعد الثاني من آب (أغسطس) ورغم التأكيدات الصاخبة اليائسة من ميتران ودوما

وفوزيل ، فقد انتقلنا من المقاطعة الى الحصار ، ومن الحصار الى الإنذار ، ومن الإنذار الى الحرب ، غير قادرين على مقاومة ضغوط أصدقائنا الأميركيين ؛ ونجحت دبلوماسيتنا في أن تؤلب اليهود والعرب ، الى جانب احتقار الانكلو ـ ساكسون.».

■ وكتب الأكاديمي جان دورميسون ، الكاتب الأول في المجلة المذكورة : إن غورباتشوف ، مثله في ذلك مثل سورية ، قد أطلق أيدي الأميركيين في الخليج. وقبضت سورية ثمن ذلك ، مقدَّماً ، إذ جرى إطلاقُ يدها في لبنان الذي سقط ضحية هجوم ليس له أن يحسد ذلك الهجوم الذي وضَعَ حدَّاً لاستقلال الكويت ».

الثلاثاء ١٩ آذار

كلما أراد القرار الصهيوني القيام بعملية تهجير لليهود الى إسرائيل ، عمد الى افتعال جوٍّ من التخويف تساهم فيه كل وسائل الإعلام في جوقة منظمة ملحاح. وهكذا استطاع اليهود حمل قسم كبير من يهود البلاد العربية الى الهجرة الى إسرائيل بافتعال حوادث إرهاب وتخريب كما في عملية تفجير قنبلة أمام كنيس مسعودة شمطوف في بغداد إبَّان الحكم الملكي. وبعد أن هاجر معظم اليهود من العراق ، قام المدعو « قدوري سليم » ، وهو أحد الجرحى يوم تفجير القنبلة المذكورة ، برفع دعوى على الحركة « الإسرائيلية » مطالباً بتعويض مالي عن جراحه ، فاضحاً بذلك دور الاستخبارات الصهيونية في الاعتداءات الإرهابية على يهود العراق.

الأربعاء ٢٠ آذار

في أوراقي ، منذ العدوان الغربي الصهيوني على العراق ، قصاصة فيها أنَّ علي بلحاج ، الرجل الثاني في جبهة الإنقاذ الإسلامية الجزائرية ، انتقد إيران لموقفها إبَّان العدوان وقال انها بذلك أثبتت أنَّ هذا البلد ليس دولة إسلامية ، وإلّا فما الذي منعها من دخول المواجهة الى جانب العراق. وأنا لا أختلف مع بلحاج في تقييمه لإيران ولدعواها ، فإيران لم تكن وليست الآن دولة إسلامية بمعنى أنها تأخذ بالدين الإسلامي وتعاليمه ، دون أن ينفي هذا بالطبع صفة الإسلام عن كل مَنْ يتلو الشهادتين ويأخذ بأحكام الدين ، لأنَّ مثل هذا النفي ليس من حقنا ، ولا ينبغي لنا ، فالله وحده هو الذي يحكم فيما بيننا يوم القيامة وهو وحده الديَّان.

ولربما وجدْتُ المبرِّرَ لعلي بلحاج في عدم اتهامه لدولة مثل مصر أو سورية ، بأنها غير إسلامية ، حتى بعد وقوفها في صف المعتدي الأجنبي والعدو الصهيوني وقتالهما معه جنباً الى جنب ضد الشعب العربي المسلم ؛ فمصر وسورية ، مثلًا ، ليستا في الأساس دولتين إسلاميتين بمعنى أنهما تدَّعيان النهوض بتعاليم الإسلام ، والأخذ بالشريعة الإسلامية ، بل هما دولتان منحازتان الى الغرب ، متعاهدتان ، سراً أو علناً ، مع العدو الصهيوني ، مستخذيتان له ، وهما بذلك نظاما خيانة وفساد وارتزاق ، ولكنهما لا تتطلبان نَفْيَ ما لا تـدَّعيان في أحسن التبريرات. إنما بالمقابل لا أجد أي تفسير لعدم دمج السعودية في تصريح بلحاج ، بينما هي التي جرَّت الى الديار المقدَّسة نفايا الدنيا من مجرمين وقتلة ممتهنين وحاملات ايدز ، ومستهزئين بإله

العـرب والمسلمين ، ورسول العـرب والمسلمين ، ومعتـدين على حرماتِ السعودية قبل أية حرمات أخرى.

لا شكَّ عندي ولا عند أي منصف ، مسلماً كان أو غير مسلم ، في أن إيران ليست بلداً إسلامياً ، دون أن ينفي ذلك ـ مرة جديدة ـ أنَّ سكانها مسلمون ، بل هو بلد كسروي ، شاهنشاهي ، في جبة وعمامة ، معادٍ للعرب والإسلام ، معادٍ للقرآن ولغته ، مُعادٍ لنهج البلاغة وصاحب النهج وأبنائه الطاهرين. وإن الإمام علياً ـ كرَّم الله وجهه ـ لبريء من هؤلاء الذين يريدون أن يزحفوا برايته لدك قلاع العروبة والإسلام ، وتوسيع رقعة صهيون وكسرى معاً ، في حين أن راية الإمام هي التي أقدمت ـ وسوف تظلُّ مقدمة حتى يرث الله الأرض ومَنْ عليها ـ بتعاليم الإسلام ، تعاليم الحق. وفي حين كان الباب الذي دحاه فسمي « داحي الباب » ، هو باب الحصن الصهيوني في « خيبر » ، نرى هذه الفئة هي التي تتآمر ليلًا ونهاراً ، سراً وجهاراً ، مع العدو ، الصهيوني ، على الإسلام ، والمسلمين ، وتتحـالف مـع العـدو الغـربي في كـل معـركـة بل في كل موقف يُضْعِفُ الإسلام والمسلمين ، وسط لَغط ولغو سفيهين باسم الإسلام ، وإنما هو ، في حقيقة الأمر ، كي يتخذه الغرب الصهيوني حجة على تخلف الإسلام ودمويته ولاعقلانيته. والى هذا أنبِّه ، بشكل خاص ، إخوتي المسلمين في إيران. فالإسلام ، في أول الأمر وآخره ، حضارة قامت وتقوم على الهدى والشرف والصدق والعلم والإنسانية.

لقد أخطأ المراهنون على الموقف الإيراني ، منذ انطلاقة هذا الموقف الجمهوري على أنقاض الموقف الشاهنشاهي. أخطأوا منذ الإنطلاقة. ثم أخطأوا منذ بداية التطبيق. ثم أخطأوا في تفسير هذا

الموقف والشيطان الأكبر على بُعد كيلومترات أو أميال من إيران ، بينما كانوا يطلقون عليه صواريخ شتائمهم وينادون بمحاربته ، لفظياً ، وها هو يأتي اليهم ، يتآمر معهم ، يلتقي مع تآمر الأنظمة في مصر وسورية والسعودية. ويزيد عليها ، إذ أنَّ هذه الأنظمة مفضوحة ، بينما النظام الإيراني يريد أن يظهر أمام الدنيا وكأنه حامل رسالة الإسلام المنقذ.

الخميس ٢١ آذار

ذكر المغفور له العلّامة المجتهد السيد محسن الأمين ما كان يشيعه قناصل إيران في بلاد الشام من ذكر ما هو أشبه بالخرافات والأكاذيب ، إن لم يكن هذه الخرافات والأكاذيب بعينها ، فيما يتعلق بآل البيت. وقد جرَّد هذا العلّامة قلمه ، ومجالسه ، وتلامذته ، حتى دحض باطلهم. والسيد محسن هو والد الأدباء والشعراء حسن وهاشم وعبدالمطلب. وهذا الأخير كان أول قائم بأعمالٍ لسورية في موسكو. ويُرْوى أنه عندما قابل ستالين بادهه بقوله : يسعدني أيها الرفيق بأن أبلِّغَكُمْ ان بلادي ليس لها أي مطامع في بلادكم ! وقد استجاب ستالين لهذه « النكتة » وأصبحت الخارجية تعامل الممثل السوري معاملةً خاصة.

والسيد حسن الأمين هو أيضاً صديق قديم. توارثْنا وُدَّ الآباء. توارثنا ما كان يجمع بين والده السيد محسن الأمين ووالدي الشيخ سليمان الأحمد. وقد اجتمعنا أثناء زيارة قمنا بها للأرجنتين وأقيمت لنا حفلات مشتركة ، وخطبنا وألقينا قصائد معاً. وكانت اشتهرت يومذاك الشاعرتان ليلى نفّاع ونيليدا شرارة ، من أصل لبناني. وقد قرأْتُ أشعارهما بالإسبانية ، ولربما تعدَّت شهرتهما

حينذاك الأرجنتين الى أكثر من دولــة أميركيــة. كان ذلـك في الخمسينات.

الجمعة ٢٢ آذار

الصهاينة ـ في عدوانهم على لبنان ، وبيروت ، عام ١٩٨٢ ، دمَّروا المباني والأحياء السكنية بما فيها المساجد والكنائس والمصالح الحكومية ، وانقطعت الكهرباء والماء. ورغم ان قيادة المقاومة الفلسطينية وافقت على الخروج ، انقاذاً لبيروت ، واستجابة لرغبة الجهات اللبنانية الوطنية ، فقد تواصلت الإبادة الهمجية.

وهذا هو المشهد نفسه يتكرر ـ على نطاق أوسع ـ في العراق.

السبت ٢٣ آذار

أحرقت جهات مشبوهة مطبعة جريدة « الشروق » في تونس. وكانت هذه الجريدة قد عُرِفت بمواقفها دعماً للحق العربي وللعراق. وهذه هي ديمقراطية الامبريالية وأنصارها ومرتزقيها. حتى الهمس الصادق يضيقون به ذرعاً بين ضجيج إعلامهم المفتئت الرخيص.

الاثنين ٢٥ آذار

قرأتُ للاقتصادي المصري الدكتور صلاح العقاد هذه الفكرة حول أمتنا العربية : [إنها أول أمة في التاريخ البشري تستخدم مواردها الطبيعية ضد مصالحها القومية].

ولجريدة « المعركة » صرَّح أبو أياد عام ١٩٨٢ ، أثناء المنازلة : [أصرَّتْ أميركا وإسرائيل ، رافضةً كــل الشروط ،

على خروج المقاتل الفلسطيني مستسلماً من بيروت ، وفي كل اجتماع أو لقاء ، وفي كل ساعة نُبَلَّغُ بصيغة جديدة لهذا الخروج] فهل تغيَّر شيء في السياسة الأميركية ـ الصهيونية تجاه العرب ، وفي عدوانها الأخير على العراق ، ورفضها كل الشروط إلّا الإستسلام الكامل والتدمير الشامل.

ولا بد لي من ذكر إشراقة مضيئة للفن ، وهي ان الفنانة سهير زكي قدّمت ، في القاهرة ، طلباً تتطوَّعُ فيه للقتال الى جانب الفلسطينيين واللبنانيين ضد الغزو الإسرائيلي ـ الأميركي للبنان.

الثلاثاء ٢٦ آذار

أجريت فحصاً لقلبي بالتصوير على الصدى. لقد أحدثت محاولة الاغتيال الأثيمة وعقابيل الجراثيم تخريباً في الشريان الاورطي ، فضاق بشكل يهدد الحياة بالخطر. سجَّلَ الطبيب أنه لا بد من إجراء عملية تبديل للشريان الاورطي. وظروفي لا تسمح لي باجراء مثل هذه العملية فالبلدان المتقدمة مغلقة الآن أمامي. ولكني فرغتُ بآمالي الى تقارير باريس التي كانت ترى ان التهتيك الذي أحدثته الجراثيم قد تمّ إيقافه عند حدود قد تتيح لي فرصة عامين أو ثلاثة أعوام دون إجراء أية عملية ، ومع الخضوع للمراقبة الطبية المستمرة.

الأربعاء ٢٧ آذار

كتب « العربي التائه » من غلاسكو ـ المملكة المتحدة ، في جريدة « العرب » الصادرة في لندن : [نتفرج على شعبنا في العراق وهو يُذْبَح ، وحدوده تُرْسَم من جديد ، وأرضه تُحْتَل ،

من قبل أعداء الأمة من أحفاد « ريتشارد » و « كليبر »..

الجمعة ٢٩ آذار

كنتُ دوماً في حيرة أمام ما يُعْرَض أمامي من تفاني مخابرات بل موظفي حافظ الأسد في عملهم ، وهو عمل موجَّهٌ ضد أبناء وطنهم ، وفي غير اتجاه الوطنية والقومية والديمقراطية بالطبع. ولماذا لا أجد مثل هذا التفاني لدى مخابرات الآخرين من قومنا العرب الذين نعتقد أنهم على هدى ، بل أراهم مُخْتَرقينَ ـ كما يُعَبِّرون ـ من قبل جواسيس النظام السوري. هل هذا لميزة خاصة بالسوريين ، أم لعبقرية النظام في غَسْلِ الأدمغة وتذليل أصحابها كأتباع حسن الصباح ، الحشَّاشين ، أم لشعور جواسيس النظام الأسدي أنهم على باطل ، وأنَّ لا نجاة ولا بقاء ولا ربح لهم إلّا في التحمس لدعم هذا الباطل. أَمْ وأَمْ ؟ تساؤلات وافتراضات يمكن أن تطول ، ويمكن أن لا يكون وراءَها طائل.

السبت ٣٠ آذار

قرأتُ ـ ولو متأخراً بضعة أيام ـ رأياً لميشيل بنتون ، الأمين العام السابق للتجمع الديمقراطي الفرنسي : [إن « النظام الجديد » الأميركي ليس بالضرورة السلام الذي ينتظره العرب. بل ثمة أسباب جدية تحملنا على التفكير بالعكس. فمَنْ ذا الذي يخبرنا بأنَّ هذا النصر الصاعق (يقصد به تدمير دول التحالف الثلاث والثلاثين لقوة العراق) ليس في طريقه لأن يحمل إلينا

توترات جديدة وحروباً جديدة. إنني من هؤلاء الذين يعتقدون بأن الحملة العسكرية الغربية لم تكن أفضل الحلول لتحرير الكويت ، ومن هؤلاء الذين يأسفون لكون فرنسا قد أسهمت معنوياً ومادياً في هذه الحملة.].

الأحد ٣١ آذار

قرأتُ للأكاديمي جان دورميسون : [إن فرنسا الحالية ، في أعين العرب ، خاصة هؤلاء الذين يحفظون ذكرى عظيمة للجنرال دوغول ، إنما هي أقرب الى غي موليه (سفّاح الجزائر الاشتراكي) من شارل دوغول. وفي المغرب خاصةً أبعدت حرب الخليج الصورة التقليدية لفرنسا في العقول والقلوب.].

الاثنين ١ نيسان

قـرأتُ في إفتتاحيـة لويس بـاول ، مـديـر مجلـة « الفيفارو ماغازين » [ثمة شيء متهرىء في الدولة الفرنسية.].

وسجَّلتُ هذه الآراء لجان ماري لوبين ، رئيس الجبهة الوطنية في فرنسا :

[أعتقد أنَّ فرنسا لم يكن لديها سبب للتدخل عسكرياً في هذا الصراع العربي ـ العربي. وإذا ما رأت دولة مثل الولايات المتحدة أن مصالحها كدولة عظمى أولى تَحْمِلُها على ذلك فهذا شأنُها ، وليس شأننا. ولم يكن علينا أن نلعب دور مساعد « شريف » الى جانبهم ، لحساب هيئة الأمم المتحدة. بالإضافة الى أن قرارات الأمم المتحدة لم تطبق على الدول الأخرى في المنطقة ، ولا نجد سبباً لتطبيقها ، بشكل تعسفي ، على دولة

واحدة من بين هذه الدول.

[وإذا ما وافقنا على نزوع الدول الكبرى للتدخل كلما اندلعت نار حرب محلية ، فهذا يعني أنَّ على هذه الدول ، في قابلات السنين ، أن تجد نفسها في حالة حرب مستمرة. إنَّ التدخل الأميركي لم يطبق على إسرائيل ، عندما اجتاحت لبنان وسورية والأراضي الفلسطينية.

[ماذا يحصل غداً إذا قامت في يوغوسلافيا مثلًا ، حروب داخلية بين البوسنة والهرسك وبلاد الصرب وكرواتيا وسلوفينيا ، أو بين الباكستان والهند ؟ هل على جيش الأمم المتحدة أن يتدخل ؟ هل على الجيش الفرنسي أن يثبت حضوره ؟ بالطبع ، لا.

[ولربما كان لي ، في نهاية الأمر ، أن أقول بأنَّ البلد « الحليف » لفرنسا في المنطقة كان العراق ؛ إذ كان واحداً من المصدِّرين إلينا ، ومن المستوردين ، وهو البلد الذي أدَّى لنا خدمة يوم أرْخَى الطَوْق النفطي الذي كان يشدُّ علينا عام ١٩٧٤ ، والبلد الأكثر تسامحاً على الصعيد الديني. في حين ان ممولي التسلط هم العربية السعودية والكويت اللتان لا نشتري النفط منهما. فإذا كان الإنكليز الذين يعتبرون الكويت خزانةً حديدية لهم ، وإذا كان الأميركان يدافعون عن احتكارات شركة « الأرامكو » وعن المواقع النفطية ، إزاء منافسيهم الرئيسيين الدوليين ، أوروبا واليابان خاصة ، فيسمحون لأنفسهم بالتدخل ، على مسؤوليتهم ، فاننا لسنا ملزمين بأن نكون الضامنين ، أو المجنَّدين ، أو الشركاء المتآمرين.

الأربعاء ٣ نيسان

« فلسطين الصهيونية » المجلة التي كان يصدرها بن غوريون ، نشرت مقالًا بقلم بن زفي وبن غوريون جاء فيه ان فلسطين التي يريدون تضمُّ سهل حوران وجزءاً من سنجق دمشق وأقضية القنيطرة ووادي عنجر وحاصبيّا.

الخميس ٤ نيسان

جاء في الإحصائيات أن معدَّل دخل الفرد في المملكة السعودية يفوق خمسة عشر ضعفاً معدَّل دخل الفرد في سيريلانكا. ولكنَّ الغريب ان السعودية لا تتفوق في هذا المجال فحسب بل لها القِدْحُ المعلّى في مجال لا شرف فيه لأحد وهو : الأمية.

الأحد ٧ نيسان

قرأتُ للأكاديمي جان دور ميسون : [ان القوة العراقية كانت موجهة بشكل واضح لمحو إسرائيل من خارطة العالم]. واستفادَ الأكاديمي المتصهين ليندُبَ إسرائيل ، فريسة الإرهاب ، مطرياً شجاعتها ورباطة جأشها التي جَنَّبَتْها السُقوط في الفخ الذي نصبه صدَّام حسين وأراد به تحويل الحرب ضده الى حرب عربية ضد إسرائيل.

الثلاثاء ٩ نيسان

قدَّم المؤرخ الفرنسي المشهور ، تين ، الثائر الفرنسي روبسبير على أنه طاغية ، وذلك بعد مرور مئة عام على الثورة الفرنسية. ثُم كان الفرنسيون بحاجة الى مئة عام أخرى كي يعترف الجميع بذلك.

ومن هذا المنطلق يرى المؤرخ الأميركي ريتشارد بييس أنَّ علينا أن نحكم على لينين. ويبدو ، من خلال المصنفات التي حملها معه تروتسكي الى منفاه في الولايات المتحدة الأميركية أن لينين كان يأخذ المال من حيثُ أتى : من الشرطة القيصرية ، وبورجوازية بطرسبورغ ، والألمان ، وسرقة المصارف. فالشرطة القيصرية كانت تموِّل « البرافدا » راميةً الى تقسيم اليساريين بمساندتها للينين ، أمَّا الحكومة الألمانية فقد دعمت لينين لأنه داعية سلام ، وموَّلته في منفاه ، ثم وهو في الحكم بعد صلح بريست ـ ليتوفسك.

كان هم لينين الأول بقاء البلشفيك في الحكم ، لذلك سمح لألمانيا بأن تستغل روسيا وكأنها مستعمرة.

ويستنتج المؤرخ الأميركي ـ الذي يمكن أن نخضع استنتاجاته لنقاش ـ بأنَّ معاهدة ستالين ـ هتلر عام ١٩٣٩ لم تكن بدعة ستالينية ، بل مواصلة للسياسة اللينينية.

وعندما مات لينين كان في البلاد ٣١٥ معسكراً و٧٠ ألف سجين ، لا يُعْرَفون إلّا بأرقامهم. وهكذا غدا الإنسان رقماً ، واستعار الشعراء هذه الصورة وهذا التعبير ، بل أصبح يجري على الألسنة في الحديث العادي.

ويردُّ المؤرخ الأميركي صمْتَ المثقفين الغربيين الرهيب في العشرينات الى أن معظمهم كانوا يكرهون الأنظمة الرأسمالية والبورجوازية التي يعيشون في ظلها. وعندما جوبه الكاتب الفرنسي التقدمي الشهير رومان رولان بهذه الحقيقة عام ١٩٢٥ لم يجد أفضل من القول : « إنَّ الشيء نفسه يحدث في سجون كاليفورنيا حيث يجري تعذيب العمَّال النقابيين ».

الجمعة ١٢ نيسان

أقرَّ مجلس الأمن موافقة العراق على وقف اطلاق النار. يعرضون صوراً لعجائز وأطفال أكراد يتسوَّلون الشفقة عليهم ، بقصد مواصلة ضرب العراق. ألا يحق لنا التساؤل لماذا ذهبوا بهؤلاء العجائز والأطفال ، في هذه الجبال ، تحت الثلج والأمطار ، وهم يسحقون العديد منهم تحت أطنان الأغذية المتساقطة من الطائرات. ألكي يسيئوا الى سمعة العراق ، ويبرروا تدخلاً جديداً عن طريق سورية وتركيا وإيران. فويل للمتنعمين بحماية « الموساد » وأموال الأمبرياليين والنفطيين ، وهم يجرون شعبهم الى المصير المجهول والعذاب الأليم والموت الزؤام. إني أتألم عميقاً لمأساة إخوتنا الكرد المزدوجة.

السبت ١٣ نيسان

لماذا ينصبُّ حقد هذا العالم على العرب ؟ ولماذا يهاجم الجميع ، في جوقة موحدة ، أمة العرب ، ويقررون هكذا ، دفعة واحدة ، أنها لم توجد أبداً. بعد الخميني وآياته وحججه ، هبَّ أيتام الشاه ينبحون على القافلة التي تسير أو توقفت عن السير. وكان آخرهم الإيراني فريدون هويدا ، الذي ولد في دمشق ، ودرس في بيروت ، وعمل سفيراً للشاه المخلوع. أجل ، لماذا كل هذا الحقد على العرب. ألا يوجد غيرهم مَنْ يحمل عنهم قِسْطاً من هذا الحقد.

الثلاثاء ١٦ نيسان

يتأكد ، يوماً بعد يوم ، موقف الاتحاد السوفياتي المنافق ، الخبيث ، المعادي للعرب بشكل أخطر من عداوة الأميركان ، فهؤلاء

أعداء واضحون مفضوحون ، والسوفيات ، بسبب علاقتهم بنا ، باعوا جميع أسرارنا العسكرية ، وكان لذلك أثر كبير على فعالية الأسلحة العراقية المشتراة من الاتحاد السوفياتي بما في ذلك صواريخ« سكـود » غير المطوَّرة الى صواريـخ « الحسين » ، بالإضافـة الى هجرة جَـرَّارة من يهود الاتحـاد السوفيـاتي ـ ومن مدَّعي اليهوديـة ـ الى إسرائيـل ، وقد وجَّهُـوهم قَسْراً الى إسرائيل دون بلاد الله الواسعة.

وساند الاتحاد السوفياتي العدوان على العراق ، وكان مبادراً في أحايين كثيرة ، وساند الحصار على الغذاء والدواء وهو المتشدِّق بأنَّ الإنسان أغلى رأسمال ، وبصداقة العرب عموماً والعراقيين خصوصاً وهكذا تخلَّى الاتحاد السوفياتي عن أبسط القواعد الأخلاقية في التعامل السياسي والاقتصادي. وهل نلومه ، وهو الذي يحفر قبره بكلتا يديه ، وبطريقة بدائية ، لتنزله فيه الامبريالية الحاقدة وهو يضحك ويبكي في بلاهة وخيانة للتاريخ والجغرافيا معاً.

الأربعاء ١٧ نيسان

اليوم عيد سورية الوطني. تعود بي الذكرى الى هذا اليوم الرائد المشمس في تاريخنا المظلم. أجْلَيْنا المُسْتَعْمِر عام ١٩٤٦ بعد نضالات استمرت ربع قرن. وقدَّمنا تضحيات وبطولات. وكان شعبنا متماسكاً ، وطنياً ، ديمقراطياً. وقامت حكومات ومجالس يختارها الشعب في أوسع مجال لحرية التعبير. وكان هناك مسؤولون ، صادقون ، مخلصون ، قد نختلف معهم في الآراء ، وفي طريقة الإنجاز ، ولكنَّ الشكَّ لا يتطرق الى إرادة الخير

في نفوسهم ، والى المعرفة في ذواتهم. وعادت الى ذاكرتي صورة تلك المظاهرات العارمة قبل أيام قليلةٍ من ضَرْب دمشق بالقنابل الفرنسية وإبادة حامية المجلس النيابي ، في مجزرة وحشية مرعبة ، وصمود المناضلين ، ونزول القادة الى الساحة بين أبناء الشعب. لقد شهدْتُ هذه المظاهرات في ايار ١٩٤٥ وسرْتُ فيها. وكنتُ مع الحشود التي هاجمت المصفَّحات وأضْرَمَتِ النيران في بعضها ، وكنتُ مع الزحوف التي أحاطت بالثكنة العسكرية الفرنسية. وعُدْتُ في السابع والعشرين من ايار بالقطار ، من دمشق الى حمص ، إذ كانت السيارات قد توقفت بين المدينتين. وقطع القِطَارُ هذه المسافة بين الثالثة ظهراً حتى الواحدة ليلًا ، أي أمضى إحدى عشرة ساعة لقطع أقلَّ من مئتي كيلومتر. ومن حمص أخذنا سيَّارة الى اللاذقية ، لأن القرار كان أن يلتحق كل مناضل ببلدته حيث يكون أكثر جدوى في محيطه ، وفي تجنيد هذا المحيط للمقاومة.

ويوم أن قرَّرْنا إنشاء حزب سوريٍّ طامح الى بناء سورية الجديدة بعد النكبة والنكسة اللتين أصيبت بهما نتيجة الحكم الدكتاتوري المتواصل ، اخترنا يوم السابع عشر من نيسان عيداً لميلاد حزبنا ، نحتفي به مع احتفائنا بعيد الوطن ، بأول عيد لأول تحرر عربي في العصر الحديث. فعسى أن يكون هذا التاريخ فاتحة سعيدة في زمن تعيس.

الاثنين ٢٢ نيسان

حذَّر البابا من « آيديولوجية الرأسمالية المتطرفة » وقال : « لا سند للقول بأنَّ الرأسمالية هي البديل الاقتصادي الوحيد

المتاح ليحل محل الاشتراكية ». العجيب ان الذي يخالفه هذا الرأي هم ، قبل كل الناس ، قادة البلدان الشيوعية سابقاً.

الثلاثاء ٢٣ نيسان

سنوات الطوارىء المصرية تتواصل حتى تبلغ عشر سنوات. وفي ظل هذه الطوارىء تنقلب السجون الى « مسلخ وحشي ضخم » يهدف الى تصفية سجناء الرأي. ولا بد من ذكر السجون الرئيسية الثلاثة ـ أبو زعبل واستقبال طرة وليمان طرة ـ التي هي عبارة عن « مقابر تطوى بين جدرانها المظلمة آلاف الأحياء ، ومجازر لذبح الإنسانية وإهدار الكرامة » كما جاء في صحيفة « الشعب » القاهرية ، ونقلته عنها اللجنة الفلسطينية لحقوق الإنسان.

وقد ختمت الصحيفة تقريرها بقولها : « إنَّ ما يحدث في السجون يدمي قلب كل حر. فإنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أخبرنا أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها ، لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشا ش الأرض.

فما بالنا نرى المئات من الشباب يبادون وتمارس ضدَّهم أفظع الجرائم على مرأى من الجميع.. فأي عقاب يستحقه هؤلاء المسؤولون عن جرائم التعذيب ؟ ».

الأربعاء ٢٤ نيسان

لا أدري كيف يحق لفرد أن يكفِّرَ فرداً آخر ، وكيف يجوز له أن يعتبر رأيه أو نظرته أو اجتهاده أو مصلحته هي الحقيقة الوحيدة ؛ وما عداها خطأ محض. وليس ذلك فقط ، بل ان هذا

الخطأ المحض هو الكفر بعينه. وليس الله جلَّ وعلا هو الذي يحكم بل إنسان ضعيف محدود العلم والقوة.

أليس مثلُ هذه المواقف والتصرفات هي التي تؤجج في النفوس عموماً الحقد والعنف ، وتصنع مجتمعات لا إنسانية ولا عقلانية. وإذا كُنَّا نرفض دور الدركي لأمم جبَّارة غاشمة ، ونقاومه بكل ما لدينا مهما بلغ شأنه ، فهل يمكن لنا أن نقبل مثل هذا الدور لأية جماعة أو لأي فرد يظلُّ ضعيفاً مهما صوَّرت له مخيلته المريضة.

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم : « ولا تقولوا لِمنْ ألقى إليكم السلامَ لستَ مؤمنا ». وقد أنكر الله على أسامة بن زيد ـ وهو من هو من رسول الله ومن الإسلام ـ أنَّه قتل في الحرب رجلًا بعد أن شهد أنْ لا إله إلَّا الله. فقرَّعه وحذَّره قائلًا : « أقتلتَهُ بعد أن قال لاإله إلَّا الله.. وما تفعل بلا إله إلَّا الله إذا جاء يوم القيامة ».

وليس علينا نحن البشر ، الضعفاء والمذنبين ، في كل الأحوال ، أن نحاسب غيرنا على الكفر والإيمان. لقد قَبِلَ رسولُ الله إسلامَ الناسِ كافةً ، الذين جاءوا يشهدون أنْ لا إله إلَّا الله ، محمد رسول الله. ولم يحاسبهم على ما في قلوبهم التي قد يكون الإيمان قد استقرَّ فيها ، أو لم يجد إليها سبيلًا.

إن العلانية لنا والسرائر لله. وفي صحيح البخاري ـ وبالإسناد المتوالي ـ أنَّ رسول الله قال : مَنْ شهد أن لا إله إلَّا الله واستقبل قبلتنا وصلَّى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم ، له ما للمسلم ، وعليه ما على المسلم.

وروي عن الإمام جعفر الصادق قوله : « الإسلام هو الظاهر

الذي عليه الناس. شهادة أن لا إله إلّا الله وأنَّ محمداً رسول الله وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان ».

وإذا كان الله تبارك وتعالى خاطب نبيَّه الكريم : « فذكِّرْ إنما أنتَ مذكِّرْ. لستَ عليهم بمسَيْطِرْ.» فمن أين لنا أن ندَّعي السيطرة وأن نحمل سلاح التكفير ، وسلاح الوصاية على الأمة ، للوصول الى غايات لن تجرَّ إلّا الإرهاب بكل أشكاله ، وإلّا تفتُّتَ الأمة وتَمَزُّقَها ، وإلّا مساعدة العدوّ على أنفسنا.

نحن نعلم أن في تاريخنا أمثلةً كثيرةً على هذه الدعاوى المفتئتة المتعصبة الجاهلة ، ونعرف كم جرَّتْ على الأمة وعلى الشعوب من مآسٍ وكوارث ، وكم أدَّت الى تحكم الأجني بنا ، والى الضرب على هذه الأوتار الناشزة التي طالما رقصنا عليها بغباء حيناً ، وتآمر حيناً آخر ، متجندين في صراعات طائفية في حين نحن أحوج ما نكون الى التماسك ، يداً واحدةً ، في وجه مغتصبي مقدَّساتنا أو مُدَنِّسيها ، وناهبي ثرواتنا ، ومحتلِّي أرضنا. وهل لنا أنْ نذكِّرَ بوصية رسول الله الخالدة : « إنَّ اللّهَ حرَّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ـ مكة المكرمة ـ .

ولقد أتى وقت ـ وما زال يتردد ـ يكفِّرُ فيه الحنفيُّ الحنبلي ويقول فيه زعيم الشافعية في حضرة الخليفة مخاطباً زعيم الحنابلة : « أي صلح يكون بيننا ؟ إنما يكون الصلح بين مختصمين على ولاية أو دين ، أو تنازع في مُلك. فأما هؤلاء القوم فانهم يزعمون أنَّا كُفَّار ، ونحن نزعم أن مَنْ لا يعتقد ما نعتقده كان كافراً، فأي صلح بيننا ». ولو شئنا الاستقصاء لضاق المجال. وليس في هذا ما يشرِّف ، ولكنه عبرةٌ لنا. فهل

من معتبر ! وأين نحن من خطاب الله عزَّ وجلَّ لنبيِّه الكريم : « ولو شاءَ ربُّكَ لآمَنَ مَنْ في الأرض كلهم جميعاً أفأنْتَ تُكْرِه الناسَ حتى يكونوا مؤمنين » ، صدق الله العلي العظيم.

الخميس ٢٥ نيسان

ما رأينا نفاقاً سياسياً أدهى وأمرَّ وأخسَّ من نفاق ما يسمُّون أنفسهم برجال الدين في إيران. ففي حين كان ما يسمَّى بآية الله مشكيني يقول في خطبة الجمعة بمدينة « قم » [إلّا ان الأمر الأهم هو الشعب العراقي. لقد تعذَّب هذا الشعب المسكين كثيراً خلال مدة طويلة تحت الأقدام ، وعلينا مساعدة هذا الشعب المظلوم ، ولقد بدأت الحكومة بمساعدة هذا الشعب فعلًا ، وسوف تواصل مساعدة الشعب العراقي] كانت هذه المساعدة تتدفق ، عبر الحدود الإيرانية ـ العراقية آلاف المرتزقة الإيرانيين يحملون الخراب والتدمير للمساجد والكنائس والمدارس والمستشفيات ، وينهبون الغذاء والدواء ، ويحطمون ما لا يستطيعون حمله كي لا يستفيد منه طفل مريض أو أُمٌّ جائعة.

وبينما كان المدعو آية الله موسوي زنجاني يجلجل صوته المُرائي في خطبة صلاة الجمعة في مركز محافظة زنجان بأنَّ بوش مجرم ، وأنَّ الشعب الإيراني يقف الى جانب الشعب العراقي المظلوم ، كانت إيران تنسِّقُ مع مجرم الحرب بوش ومع الذئب الأطلسي أوزال ومع « خائن الحرمين الشريفين » كما كان يحلو لهم أن يرددوا ، من أجل إبادة هذا الشعب العراقي المظلوم ، كي يستريح الى الأبد ولا يعود مظلوماً.

وهكذا يستمر دور الثعلب الإيراني كما أرادته الأحقاد

المجوسية ، والإرادة الامبريالية الطاغية.

الجمعة ٢٦ نيسان

تحدث الشيخ حسن الصفار ، زعيم منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية ، في لقاء مع صحيفة « كيهان انترناشيونال » الصادرة في طهران باللغة الإنكليزية فقال : « لمصلحة مَنْ يتمُّ تدمير العراق بشعبه وجيشه وإمكاناته.. ألا يتم ذلك بنفس الأيدي التي صنعت دولة إسرائيل ودعمتها وتعهدت بالحفاظ عليها.. ألا نرى اليوم بانَّ العائلة السعودية يثيرها ضرب إسرائيل بالصواريخ بأكثر مما يثيرها أي شيء آخر ؟ ».

أوردت هذا الحديث مجلة « الجزيرة العربية » الشهرية ، فبراير ١٩٩١. وأواصل القراءة في المجلة ذاتها ، وفي رسالة مفتوحة الى الشيخ عبدالعزيز بن باز رئيس الإدارات العامة للإفتاء والبحوث والدعوة والإرشاد ، وجَّهها إليه أحد تلامذته مستنكراً سكوته عن إستقدام العائلة المالكة لقوات أجنبية. وأنا أسجل بعض مقاطع هذه الرسالة لما فيها من فائدة عامة ، وإسهاماً في كشف بعض الأسرار المجهولة.

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ ـ بإذْن من الدكتور طه حسين ـ :

[وأدهشني ـ ثالثاً ـ ما يتردد على مسمع منكم ومن بعض تلاميذكم ومَنْ يأتمرون بأمركم على منابر الجمعة وفي حلقات الدرس والوعظ من تأويل لآيات الله وحديث رسول الله وسيرته بما يناسب مصلحة الحكومة ويماييرِّرُ لها أفعالها وإن كانت مخالفةً لصريح القرآن والسنَّة وسيرة الصحابة. فقد وقع هؤلاء

الذين لا أشك في جهل بعضهم ، وفي سوء طوية البعض الآخر وسعيه وراء أغراض دنيوية لا تخفى على العاقل ، وقعوا في القرآن والسنَّة تأويلًا وتقليباً حتى استخرجوا منها من التأويـلات والتفاسير ما يرضي رغبات رؤسائهم الدنْيَويِّين ، وما يجعل دين الله مطيَّةً لكل ظالم ومتأول وأفّاك. كلُّ هذا العبث في دين الله وأنتم تنظرون فلا يصدر منكم إنكارٌ للمنكر ولا دعوة للمعروف ، ولا نهيٌ لمنْ اعتـــادوا سمـــاع رأيكم عن الخـــوض في دين الله بما لا يعلمون ،حتى لكأنما أصبح الشرع بَغْلًا لا مالك له يتلطى لامتطائه الأقرع والأعور والجاهل والعالم المخلص وذو الغرض ، حسن النيَّة ومريض القلب.

[وقد سمعنا من بعض مَن يحضرون مجالسكم نَهْياً عن الحديث في أمر جنود الأجانب الذين هبطوا على بلاد الجزيرة التي حرَّم الله وَطْءَ تُرابِ مقَدَّساتها على الكفُّارِ والمشركين ، ويسألكم بعض طلاب الحق والمستفسرين عن حكم الشرع فَتُعْرِضُون عن الجواب ، وتصدُّونَ السائل وذا الحاجة خشية أن تقولوا ما يخالف الشرع أو يقال في مجلسكم ما لا يُرْضي أهل الحول والطول والسلطان. فما أعجب الفرق بين هذا وبين صولاتكم الغاضبة في الحديث عن من دونكم من أهل الإسلام الذين يخالفون اجتهاداتكم وآراءكم. وليست فتواكم في الأباضية والزيدية والشيعة والصوفية وغيرهم ببعيدة العهد.

[ثم اني قد وجدتكم سارعتم الى الفتوى بمروق النساء اللاتي خرجْنَ يطالِبْنَ بالسماح لهن بقيادة السيَّارة ، وفساد دَعْواهُنَّ ، وحرَّمتم عملهن والإقتداء بهن ، ودعوتم السلطات الى كفِّهِنَّ عمَّـــا أسميتموه بفســادهن لكنكم أغمضْتُمْ العين

عن جحافل النساء اللاتي جاء بهن الجيش الأميركي في عسكره واللاتي بلغ عددهن ثلاثين ألف امرأة ، وهن يَقمْنَ بكل ما يفعله الرجال ، ويختلطْنَ بهم ، وهُنَّ فوق ذلك سافرات متبرجات خالعات يخرجن الى الأسواق بسلاحهن ، ويقدْن سيَّاراتهن ، بل يشتركْنَ في النوم في خِيمٍ مشتركة مع الجنود من الرجال ، وأنتم تعلمون ما يؤدي إليه.

[والعجب كل العجب في أنكم حكمتم بكفر أحد علماء البلاد المخلصين من أهل الفضل والمعرفة وهو الشيخ محمد بن علوي المالكي لأنه أجاز الاحتفال بمولد نبي الإسلام محمد بن عبدالله عليه الصلوات والسلام ، وقد صدر في شأنه كما علمنا ثلاثة كتب تقول بتكفيره ، وكتبتم مقدمة وتقريظاً لبعضها. بينما اعْتَصَمْتُمْ بالصمت تجاه الاحتفالات الضخمة التي أقامها العسكر الأجانب بعيد ميلاد المسيح ، واحتفال الجنود اليهود بعيد الغفران اليهودي ، مع ما رافق تلك الاحتفالات من غناء ماجن وطرب وشرب الخمر ورقص خليع - يختلط فيه الرجال بالنساء العاريات أو شبه العاريات. كل ذلك يحدث في بلاد المقدَّسات ، ومبعث الإسلام ومثوى رسول الله].

الجمعة ٣ أيار

من دروس التاريخ أن حاكم الشام ، معين الدين أنر ، وجَّهَ سفيراً الى القدس ، يطلب الى الفرنجة التحالف ضد عمادالدين زنكي ؛ وتعهَّد بأن يدفع للصليبيين عشرين ألف قطعة ذهبية كل شهر. ومع ذلك فقد هاجم الفرنجة دمشق ، حليفتهم الوحيدة في المنطقة. ربما لم يتغير شيء إلّا أنَّ حاكم الشام ، حافظ

الأسد ، هو الذي يستجدي القطع الذهبية. وحمى الله دمشق من الهجوم.

السبت ٤ أيار

عماد الدين زنكي عامل المسيحيين تماماً كأبناءٍ للبلاد ، لهم جميع الحقوق وعليهم جميع الواجبات. وحمى اليهود من الصليبيين. بينما قتَلَ الصليبيون الأقباط المسيحيين في مصر ، وذبحوا أعداداً كبيرة منهم دون رحمة ، واستولوا على كنائس الأرثوذكس وحوَّلوها الى كنائس لاتينية.

الأحد ٥ أيار

شُيِّعَ الموسيقار محمد عبدالوهاب في موكب رسمي ، وجرى استبعاد الشعب ، ربما خوفاً من تحوُّل الجنازة الى مظاهرة كبرى ضد الحكم.

الاثنين ٦ أيار

قال الناقد السوري خلدون الشمعة الذي يزور تونس ان قصيدة نزار قباني في شتم العرب والعراق من أسخف الشعر حتى سخافات نزار نفسها. أي انه تفوَّق على نفسه في السخف عبر هذه القصيدة.

الثلاثاء ٧ أيار

بعد أن طلبت مجلة « لوتس » إحدى قصائدي ، ووعدت

بنشرها ، جاءَتْني على استحياء ـ في صوت بعض مسؤوليها ـ تعتذر عن نشر القصيدة التي تعالج الانتفاضة وأطفالها. والعذر الذي حملته « لوتس » انها لو نشرت قصيدة تحمل اسمي لمنعت المجلة نهائياً من دخول سورية حيث توزع ألفاً وخمسمئة نسخة. وطيَّبْتُ خاطر المعتذر ، وقلتُ له : اني لا أهتمُّ بذلك ، واني غير منزعج. بل لقد عجبتُ يوم طلبوا مني قصيدةً للنَشْرِ ، وأنا أعلم انها قليلة تلك الصحف والمجلات التي تجرؤ على ذكر اسمي إلّا بشر ، لأنَّ حافظ الأسد ومخابراته يلاحقون مني حتى الاسم ويضيقون عليه الخناق ، ويختصرون مساحة تحرُّكِهِ الى أدنى حدٍ ممكن. الجدير بالذكر ان رئيس تحرير « لوتس » فلسطيني.

الخميس ٩ أيار

هل سمعْتمْ بهذه الجزر المتناثرة في المحيط الهادي ، هذا الرماد المبثوث المسمَّى « تونغا » ، وهي مملكة عدد سكانها سبعة وتسعون ألف نسمة بالتمام والكمال ، وعدد جزرها مئة وواحدة وسبعون ، منها مئة وخمس وثلاثون مقفرة تماماً ، وغير مأهولة البتة. وهل سمعتم أن لها ملكاً يزن مئة وستين كيلوغراماً ، وأنَّ لها عاصمة. والعجب العجاب ليس هنا ، ولكنَّ هذا الملك يريد أن يؤجر هذه الجزر لإطلاق مركبات فضائية. وعندما يتعالى الإحتجاج بأن الأسعار التي يطلبها مسرفة ، يلوِّحُ لهم بأنَّ [هذه القواعد ، إن لم يقبلوا بما يطلبه ، قد تقع في أيدي أمم تستخدمها لغاياتها السياسية مثل العراق الذي تخالف مصالحه مصالح البلدان الغربية].

الخميس ١٦ أيار

قرأتُ قصائد لنزار قباني في مجلَّدٍ لمجلة حملها إليَّ صديق لتزجية الفراغ. هذه القصائد لا تعدو كونها ثرثرة في مقهى حول فنجان من قهوة ، أو في حانة حول قدح عرق ، لا ترتفع تعابيرها بل لعلها منقولة عنها. إعادة وتكرار بعيدان عن الإبداع والخلق ؛ أمّا موضوعها فهو ـ كأكثر شعره السياسي وشعر مَنْ يقلِّدُهم ويقلدونه ، مجموعة من النكات والشتائم دون مقاربة الموضوع الأصلي ، أو إشارة الى عِلَّةَ الوضع المنتقد. ولئن قال أحد النقاد عن شعره انه « خواء أنيق » فقد حذف بأشعاره الأخيرة صفة الأناقة ليبقى خواءً فحسب ، وإلّا ، ألا يشبح الشعر بوجهه عن هذه التعابير في « أصهار الله » :

أريدُ أن أسأل في طفولةٍ : يا أيها الرحيم والرحمانْ
يا رازقَ الطيورِ والبعوضِ والدجاجِ والصيصانْ
هل أنتَ قد خلقْتَ هذه الحيتانْ
هل أنتَ قد أطلقْتَها في البحر.. كي تفرقش الإنسانْ؟

فعلاوةً على سوء التعبير في مخاطبة الله ـ جلَّ وعلا ـ لا تعدو كل التعابير الأخرى كونَها صَرْفاً عن معالجة النقد لنظام أو لمجتمع الى التنكيت وسوء الأدب واستعارة « الزبالة » و « النعال » و « الحمير » و « الصراصير » وسرقة « القمر الأخضر في سماء نيسابور » من زميلنا عبدالوهاب البياتي ، فجاء هذا التعبير غريباً بين « بساطير » الذين يضربون نزار ، وبين « الكافيار » الذي يأكله « الكبار » تاركين « للصغير نزار » كَدْسَةً من « النعالِ » يتلهَّى بِلَوْكِها ، وبين « الويسكي » الذي أبى

إلّا أن يُجْرِيَ عليه طريقةَ الخليل وسيبويه في الإعراب : « لماذا يشرَبُ الضبَّاط وسكِيّاً ».. في حين يشرب نزار وأمثاله من الفقراء « الأوحال ». ولا أحد يدري ما معنى هذه العبارة التي ينهي بها قصيدته :

أريد أن أسأل : يا اللّهْ
هل أنْتَ قد صاهرْتَهُمْ حقاً ، وهل منْ قاتل لشعبه
يصير [illegible] هزّ

اللهمّ إلّا إذا كان يصرُّ على أن يزج باسم العزّة الإلهية في حمأة « تشيطنه » الفجّ !

الجمعة ١٧ أيار

اليوم الذكرى الثلاثون لزواجي

قرأتُ في «هوامش على دفتر الشعر » لنزار قباني هذا النثر أو هذا النص الحر كما يسميه :

أنا والقصيدةُ شيءٌ واحد.
أنسجتي أنسجتها.
وأعصابي أعصابُها
وفصيلةُ دمي فصيلةُ دمِها
تتداخل تضاريسي وتضاريسها
ومعادني ومعادنها
وأمطاري وأمطارُها
كأنّنا واقعان على خطّ طولٍ واحد ،

وخط عرضٍ واحد

وكانت مؤرخة في ١٩٨٩/٦/١٢.

ووجدْتُني أردد مقطوعة لي كتبتُها في ٦/٧-٩-١٩٧٧ أي منذ اثني عشر عاماً، ونشرت مراراً في الصحف وفي أكثر من مجموعة لي:

أنـــا والقصيـــدةُ واحـــدُ. فـــإذا
شـــرِقَتْ بـــدمْـــعٍ كنتُ مَنْ شَـــرِقـــا

وعادت بي الذاكرة الى اتهام نازك الملائكة الظالم للبيت الكلاسيكي بأنه فضفاض وان فيه زوائد يجب أن تُبْتَرَ وإذا بالنماذج التي تأتينا عمَّن قَلَّدَها وقلَّد مَنْ قلَّدها الى آخر السلسلة، وكأنها مجموعة من الزوائد تصيح: يا مَنْ يبترني! وانْظُرْ قَوْلَ نزار: أنا والقصيدة شيء واحد. وضع خطا تحت شيء. والجدير بالذكر ان نازك الملائكة قد عدلت عن رأيها فيما بعد.

وتبدَّى لي الفرق بين هذا الهَذْر وبَيْنَ الشِعْرِ الذي قال عنه البحتري:

والشعـــرُ لَمْـــحٌ تكفي إشـــارتُـــهُ
وليس بـــالهَـــذْرِ طُـــوِّلَتْ خُطَبُـــهْ

أجل، هذه الإشارة ـ علاوةً على النغم في البيت ـ تعني أنَّ عواطفي هي عواطف القصيدة، ودمع فرحها هو دمع فرحي، ودمع حزنها هو دمع حزني، وأعصابها هي أعصابي.. ولكنْ هل علينا في الشعر أن نشرح كل ذلك، أم أنَّ القصيدة وشَرْحَها يأْتلفان من الآن فصاعداً ليؤلفا القصيدة الجديدة:

ثم ما هذا المفهوم القبّاني للشعر.

القصيدة

هي التي تراود الشاعر عن نفْسِه

وليس على الشاعر

إلّا أن يحتسي قدحاً من الكونياكْ

ويندسّ تحت الشراشف

وينتظِرْ

وباستطاعة نزار وأصحاب هذا المفهوم أن ينتظروا طويلًا قدوم القصيدة الحقيقية.

ومع ذلك فقد استعدْتُ أبياتاً لي من قصيدة « مع المتنبي على مشارف القرن الحادي والعشرين » (شباط ١٩٧٦) :

أَغْرى القصيدةَ كالحبيبةِ فانثَنتْ
خَجْلى تُمانِعُ منْ أتاها راغِبا
حتى استبدَّ بها الذي أشواقُهُ
شُهُبٌ تؤجج كالسماءِ ترائِبا
والحبُّ مثلُ الشعر يأبى زائفاً
كالنَهْرِ غادر في الضفافِ طحالِبا
أنا لستُ أنشدُ غير سطْرٍ واحدٍ
لم يَلْقَ في ديوانِ حبٍّ كاتِبا
وتَغُلُّ في الكلماتِ أمطارُ الرؤى
ويرفُّ هدبٌ للطيوفِ مُجاذِبا

السبت ٨ أيار

■ مَنْ قتل الديمقراطية داخل حزبه ، هل يتورع عن قتلها داخل بلاده.

■ نزار قباني في « الأوراق السرية لعاشق قرمطي » يقول نثراً عادياً ، مقلِّداً أجيالًا شعرية جاءت بعده ، لتردَّ إليه بعض جميله ولربَّما خيِّلَ إليه أن ما يقول شعر غير عادي : « حريم الرجل الغربي يشبه « الهولوكست النازي » له باب دخول ، وليس له باب خروج ». هل يريد نزار قباني بهذا التعبير « الهولوكست النازي » أن يجتذب إليه أنظار اليهود ، كي يجد لنفسه مكاناً في الصف الطويل الذي ينتظرْ جائزة نوبل ، ويسلِّم هناك على مواطنيه : ادونيس. ويوسف إدريس !

الثلاثاء ٢١ أيار

تعتبر الولايات المتحدة الأميركية البلد الأكثر مديونية في العالم. وعليها ، كي تواصل الحياة ، أن تسعف نفسها بمدٍّ متواصل من قبل الرساميل المضخوخة من العالم الثالث. ومع ذلك فقد جعلت من أبناء هذا العالم هياكل عظمية ، ومتسوِّلين ، تتسلَّى بعرضهم على شاشاتها الصغيرة والكبيرة ، ثمَّ تملأ الكون ضجيجاً بأنها المتصدقة والمحسنة الأولى. ورحم الله المتنبي :

جـوعـان يـأكـل منْ زادي ويمسكني
لكي يقـال عظيم القـدرِ مقصـودُ

وفي « تقرير التطور الإنساني لعام ١٩٩١ » الذي صدر عن الأمم المتحدة لتوِّه ، حلَّتْ الولايات المتحدة الأميركية

في المرتبة الثالثة عشرة ، فيما يخصّ حقوق الإنسان. وهي لا تفتأ ، رغم هذا ، الإدعاء بأنها المسؤولة عن فرض هذه الحقوق ولكنْ خارج حدودها.

الخميس ٢٣ أيار

عندما هاجر أصحاب محمد الى المدينة ، ورغم احتفاء الأنصار بهم ، والمؤاخاة التي أجراها النبي بين الفريقين ، ورغم أنه آخى عليّاً ، فإنّ عليّاً لم يجد غضاضة في العمل كي يقيم أوده ، وهكذا رأيناه ينضح ماءً لسقي نخيل يملكه أنصاري ، لقاء أجر يتقاضاه. لقد كان عليٌّ ـ بلغة هذه الأيام ـ لاجئاً سياسياً ، ولكنه آثر العمل على أن يعيش عالةً على الناس.

وعام ١١٥٣م. استولى الفرنجة على عسقلان ، عروس الشام. ولم يتمكن نورالدين من إنجادها والزحف لصدِّ العدق ، خوفاً من غدر حاكم دمشق المتواطىء مع الفرنجة.

الثلاثاء ٢٨ أيار

قال شوارزكوف ، قائد العدوان على العراق ،في حديث للإذاعة الإسرائيلية : « لقد كانت هناك قوة عسكرية سورية ، ويمكنني القول بأن أداء أفراد هذه القوّات كان متدنياً ، ولا يتمتعون بخبرات قتالية مناسبة ». وأضاف : « لقد قدَّمت إسرائيل لنا مساعدات قيمة وهامة جداً في حربنا ضد صدَّام حسين ولا أريد الكشف عن تفاصيل مثيرة ». وأنهى كلامه متوجهاً الى الإسرائيليين : « إن الحرب التي خاضها رجالنا في منطقة الخليج ضد صدَّام

حسين كانت من أجلكم ، من أجل إسرائيل ، وقد عمل الرجال على تحطيم عدوكم ، العدو الرئيسي لاسرائيل في المنطقة ».

الأربعاء ٢٩ أيار

كما ان ما يسمى باليسار الصهيوني ـ حزب العمل ـ أو باليمين ـ الليكود ومشتقاته أو تراكماته ـ إنما هو في واقع الأمر شيء واحد في الحقد على العرب ، فكذلك اليسار الغربي واليمين الغربي. ولم تكن الأحزاب اليمينية بأشدَّ عتوًّا وحقداً واستئصالًا لكل ما هو عربي وإسلامي من أحزاب اليسار وفي طليعتها ، غير الطليعية ، الاشتراكيون الفرنسيون الذين واصل ميتران وموروا وفابيوس وروكار غَمْسَهُمْ في حمأة الصهيونية.

الجمعة ٣١ أيار

مَنْ وَضَعَ وجوده على كف عفريت ، معتقداً انه قد تَعَمْلَقَ ، أو أَنَّهُ يَجُوبُ الآفاقَ ، أو أنه وَجَدَ سريراً وثيراً ينقلب فيه ذات اليمين وذات الشمال ، كالطفل اللاهي دون أن تكون له براءة الطفل ، لا أرى إلّا الهوّة الرهيبة التي تنتظره لِتَدُقَّ عنقه ، وتبتلعه هباءً متناثراً.

السبت ١ حزيران

أعتقد أنه لا بد من أن تكون في أعماق روح الزعيم أو الشاعر تهويماتٌ من الطفولة التي هي عودة الى الأصول ، واندفاعة نحو المستقبل.

الأحد ٢ حزيران

لا يخجل السياسيون الغربيون أو الصحافة الغربية من إلصاقِ الهتلرية بِمَنْ يُعَادِيهِمْ. ويحق لنا وللناس جميعاً أن يتساءلوا : مَنْ الأجدر بهذا اللقب ، أليس هؤلاء الذين يفجرون الحروب في كل أنحاء العالم ، ويجرِّبون أسلحتهم الحديثة بالمباني والبشر ، بالمستشفيات والمدارس ومحطات البنزين والأسواق ؛ هؤلاء الذين يحرمون الدواء والغذاء أربعين ألف طفل في العالم الثالث لكي يموتوا كل عام ، هؤلاء الذين يستنزفون العالم الثالث بديون تقارب الألف وخمسئة مليار دولار ، هؤلاء الذي يفرضون السعر الأدنى على المواد الأولية التي تملكها بلداننا في حين يبيعوننا بضاعتهم بأغلى الأسعار ؛ هؤلاء الذين يزرعون مئات الشركات العالمية لكي تؤول مرابحها الى المصارف الغربية ؛ هؤلاء الذين يغلقون أسواقهم بوجه المنتجات الزراعية واليدوية من العالم الثالث ، هؤلاء الذين يرفضون تزويدنا بالتكنولوجيا الضرورية لتغذية وتطوير أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية ؛ هؤلاء الذين ينشؤون قواعدهم العسكرية وسط الفقراء ؛ هؤلاء الذين يدربون الشرطة على أساليب التعذيب للحفاظ على النظام الاستعماري الجديد ؛ هؤلاء الذين يدربون كتائب المَوْت. إنَّ هتلر هذه الحرب العالمية الخفية والمعلنة ، والمجرم الحقيقي هو النظام الرأسمالي الامبريالي العالمي ، بكل دمويته ووحشيته.

الاثنين ٣ حزيران

في الغرب ينعتون إسرائيل بالديمقراطية الوحيدة في منطقة الشرق الأوسط. وقد قرأْتُ في مِلَفٍّ صحيفة « ســوليديـر »

البلجيكية : [لن يكون هناك سلامٌ في الشرق الأوسط ما دامت إسرائيل :

- دولة عنصرية (تفتح أبوابها لجميع يهود العالم وتنكر الحقوق البدائية على السكان الأصليين لهذه الأرض ، الذين هم الفلسطينيون).
- دولة أرهابية (تستأصل النساء والأطفال ، وتسجن المتظاهرين ومَنْ تشكُّ فيهم ، وتهدم بالديناميت منازل جميع الفلسطينيين الذين يطالبون بحقوقهم الشرعية).
- دولة عسكرية (تريد الاحتفاظ بالتفوق العسكري والنووي وتمنح نفسها حق الاعتداء على كل دولة عربية يمكن لها أن تقف في وجهها).
- دولة توسعية (تنادي « بحقوقها » على أراضي ما تدَّعي بأنه إسرائيل الكبرى).

الأربعاء ٥ حزيران

ذكرى النكسة ـ كما برعوا في التسميات. في مثل هذا اليوم من عام ١٩٦٧ خُيِّلَ إلينا أن الأماني العربية أصبحت قاب قوسين أو أدنى. فما ان وصلْتُ مِنْ منزلي في دمشق ، الى البريد ، حتى كانت إذاعتا القاهرة ودمشق قد أسقطتا مئة وستين طائرة إسرائيلية ، وبدأتْ جيوشنا تتقدم في عمق إسرائيل. وراح صوتٌ نسائي منكر يعلو من إذاعة دمشق : « إذبَحْهُمْ في قِبْيَةَ ذَبْحا » كنا ننشق صراخاً بالدعوة الى إبادتهم فيسجلون ذلك كي يعرضوه على العالم نموذجاً لوحشيتنا ودمويتنا ، وكانوا يعملون فينا إبادةً

وتدميراً وهم يستغيثون من هذه الوحشية والدموية اللتين نجابههم بهما. ويضحكون. ونبكي. ويومذاك حصلت الفضيحة ـ المأساة التي ترك فيها الجنود المصريون المقاتلون أحذيتهم في الصحراء كي يكونوا أسرع في الفرار. ويومذاك أقام المعتدي هرماً من تلك الأحذية ، دليلًا على جبن العرب ، وساهم شعرنـا العربي ـ مع الأسف الشديد ـ في التهكم والسخرية من هؤلاء المقاتلين الذين دفعوا الى المعركة التحريرية ثم وجدوا أنفسهم دون قيادة ودون غطاء جوّي ، تحت سماء مكشوفة ، وسط حقد القلوب والحديد. ويومذاك رَوَوْا عن هرب قائد الجبهة السورية على حمار ، متنكراً في زي بدوي أو فلّاح ، وترك جنوده يتدبَّرُ كلٌّ منهم أمره كما يستطيع. ويومذاك سقطت القنيطرة في الإذاعة السورية قبل أن تسقط حقيقةً في يد إسرائيل. أي ان النظام السوري ، ووزارة الدفاع كانا يستعجلان سقوط هذه المدينة وسقوط الجولان كافة أكثر مما يستعجله الصهاينة الذين هالهم أن يجدوا هذه المعاقل الحصينة تهوي في أيديهم كالثمرة الناضجـة ، دون حرب ولا خسائر. (كما سقط المعسكر الاشتراكي بسرعة أذهلت الغرب نفسه).

القيادة السياسية التي أدارت هذه المعركة هي الآن في السجن منذ أكثر من عشرين عاماً ، والقيادة العسكرية التي أدارتها هي الآن في الحكم منذ أكثر من عشرين عاماً. ولله في خلقه شؤون.

الخميس ٦ حزيران

أتابع مع ملفّ « سوليدير » أهمَّ أفكاره ، وأوردها هكذا

على سجيتي ، وهي عناوين يحق لنا أن نتوقف عندها بل تدعونا الى هذا التوقف والتأمل واستنتاج العبرة.

كان الغرب قد فقدَ الكثير من إمكانية بيع فائض انتاجه الى العالم الثالث المتخنق بالديون ، فالتفت الى أوروبا الشرقية علَّه يخرج من هذه الأزمة. ونجحت الثورة المضادة في هذه البلدان بيسر وسهولة ، وبشكل سلمي ـ على وجه العموم ـ لأنَّ لأحزاب الشيوعية أخذ يثقل عليها المرض منذ عام ١٩٥٦ يوم دسَّ خروشوف البلبلة في صفوفها ، والعلة في جسدها.

لقد استطاعت الشركات متعددة الجنسية أن تسيطر على بلدان أوروبا الشرقية كافة. ولكنَّ النشوةَ كانت قصيرة الأمد فقد أسهم هذا الغزو في زعزعة التوازنات في العالم. وتواردت على أوروبا الشرقية رساميل ضخمةعلى حساب العالم الثالث الذي بلغ شفير الهاوية.

وحسب التقديرات فان أوروبا الشرقية ، خلال أقل من عامين ، ستعدُّ عدة ملايين من العاطلين عن العمل. وبالقضاء على الاشتراكية فان الآيديولوجيات القومية والعنصرية والفاشية أصبحت تتحكم بقطاعات واسعة من السكان. وهكذا عندما تندلع هذه الحروب ، فإنَّ ثمة مجالًا للخشية من أن يمشي الجيش الأوروبي نحو الشرق كي يعيد الأمن والنظام.

أما بالنسبة للاتحاد السوفياتي الذي انهار وأسلم أمره لرجال المال الأميركان والألمان ، فقد أوضحت أزمة الخليج لأول مرة منذ عام ١٩١٧ انحيازه الكامل الى مواقف الأمبريالية. وبسبب من انهياره الاقتصادي ، وانفجاره القريب ، فان فريق غورباتشوف ـ الذي تزداد كراهيته يوماً بعد يوم في بلاده ـ بحاجة

الى الرساميل الأميركية والألمانيـــة كي يستطيع الانتقـال الى السوق الحر. ومصير غورباتشوف يتوقف الى حدٍ كبير على موقف الدول الغربية. وهذا ما يفسِّر انحياز الاتحاد السوفياتي الى المواقف الأميركية ضد العراق.

لقد أثبتت أزمة الخليج ، للمرة الأولى ، ان الاتحاد السوفياتي سيقف من الآن فصاعداً ضد كل حركة وطنية ثورية في العالم الثالث ، إذا هدَّدت « المصالح الحيوية » للأمبريالية. وهذا يفسِّرُ العدوانية الرهيبة التي تمارسها الأمبريالية في الوقت الحالي. وكتبت صحيفة بورصة نيويورك : « ان العامــل السوفيـاتي في المعارك الجيوـ سياسية هو مغاير ، بشكل جذري ، لما كان عليه في الأربعين عاماً الماضية » « وان على الولايات المتحدة على وجه الخصوص أن تستغلَّ الإمكانات التي يفتحها أمامها كل هذا ».

وان علينا بدورنا إن نُحْسِنَ الاستنتاج على الأقل.

الجمعة ٧ حزيران

دول الخليج مطمئنة في ظلال الحراب الأميركية التي تحميها من شمس العرب ، ومطمئنة الى أن لديها ضعفي ما لدى اليابان من توظيفات في أوروبا. وهذا ما يجعل علاقتهم بالشعب وبالأرض علاقة ابتزاز في الداخل ، وتهريب الى الخارج. وبعد ، ألم يقولوا ان رأس المال لا وطن له.

السبت ٨ حزيران

قرأْتُ لدى أحد الأصدقاء في مجلة « الناقد » اللندنية حديثاً

للكاتب السوري محمد الماغوط يقول فيه ان بدر شاكر السياب أرسل إليه رسالة من أربعين صفحة يمدح فيها عبدالكريم قاسم. ولكنَّ الماغوط خاف فمزّقها. ومع ذلك فتمثال بدر شاكر السيّاب قائم في مركز مدينة البصرة.. وقال : « ان محمود درويش موهوب جداً ولكنْ لا يحبُّهُ لأنه غير صادق ». كم الحب بحاجة الى صادق ، وكم الصادق بحاجة الى محبّ !

الأحد ٩ حزيران

أبلغوني أن منزلنا الريفي في صوفيا ، سُرِقَ للمرة الثالثة على الأقل ، في ظل الإنطلاقة الديمقراطية. إذا كان هذا ثمناً للديمقراطية فأهْوِنْ به من ثمن.

الأربعاء ١٢ حزيران

بدا لي ان كلمة الأخلاق أخذت تختفي من قاموس التعامل الإنساني ، ولم تعد قيمة بشرية ؛ وبدا لي أنَّ من الضرورة بمكان أن نعود الى التأكيد على هذه القيمة التي اجتهد الصهاينة ، عبر القرون والأجيال في النيل منها والسخرية والهزء بها ، ومحاولة حذفها أو مَحْوِها من قاموس العالم. ولقد جاء في بروتوكولات صهيون الشهيرة ـ وهم بذلك لا يدينون مثل هذه السياسة بل يقررون ماهيتها ـ « ان السياسة لا يربطها رابط بالأخلاق ». « والحكومة التي تعطي قيادها للأخلاق ليست سياسية وبالتالي فإنَّ حكمها بادي الهشاشة » و « على مَنْ يريد الحكم أن يلجأ الى الحيلة والرياء. كما ان الصدق والشرف ـ اللذين هما مزيتان شعبيتان ـ ما هما إلّا رذيلتان بمعيار السياسة ، ذلك

لأنهما تخلعان الملوك عن عروشهم بأفضل ممّا يفعل أشدُّ الأعداء. وهذه المزايا التي يجب أن تكون من معطيات الممالك المسيحية لا يمكن لنا بحال من الأحوال أن نتخذها دليلًا ». [ترجمتي من النسخة الفرنسية لبروتوكولات حكماء صهيون التي قدَّم لها روجي لامبلين ونشرت بالفرنسية في طباعات مختلفة منها ما نشرته دار بوسلامة في تونس].

وبدا لي أنَّ « الممالك المسيحية » قد سقطت في الشرك الصهيوني ، ومثلها « الممالك الإسلامية » ، إلّا مَنْ رحم ربك في الحالين ، وان الإنسان قد مورس عليه التشويه والتزوير الى حد كبير كاد معه المصلحون ييأسون من دعوتهم ، أو لاحُوالَنا وكأنهم غرباء في عالم يرفض لغتهم ، ولا يجد فيها شيئاً من روح العصر ؛

ولئن هرب البعض الى الدين وإحياء قواعده لعله يكون المنقذ فلقد سقط بعض هذه المحاولات هي الأخرى ، أو أكثرها ، في شرك « اللا أخلاقية » الصهيونية ، فبنَتْ نفسها على النفاق والتعصب والإرهاب ، وكانت بذلك شـــراً من اللا أخـلاقية المفضـوحة التي لا تنافق على الأقل.

مهما يكن ، فلا بدَّ من عودة الأخلاقية الى برنامج كل فرد ، وكل حزب ، وكل جماعة ، وكل دولة ، وإلّا أصبح الوجود الإنساني تبارياً غير شريف في الانتصار اللا إنساني.

ثم بدا لي ان الأخلاق من ضرورات الكاتب ، رغم نظريات بعض نقَّادنا القدامى الذين رأوا للأدب جودة حتى خارج الأخلاق. وهذه نظرية سطحية منقوصة. فإذا صحَّ أنَّ هناك نماذج لا أخلاقية جميلة ، فإن تعميم مثلَ هذا سيؤدي في النتيجة الى الطعن

في شرف اللغة نفسها ، وللغة شرفٌ مثل غيرها ، وهو يتمثل في احترام قواعدها وأساليبها الراقية والشعبية في آنٍ واحد. وأنا عندما أقرأ لبعض الكتّاب الذين أعلم أنهم يحسنون الكتابة الجيدة ، كتابةً رديئةً ، متهافتة ، ليربحوا فئة رديئة متهافتة ، أو لتفتح لهم صفحاتها جريدة أو مجلة رديئة متهافتة ، أحكم عليهم بأنهم دون أخلاق ، إذ لو كانت لديهم أخلاق لمنعتهم من التردي الى هذا الدرْكِ الأسفل ، ومن خيانة اللغة التي هي من أهم مقوماتنا القومية والوجودية والإبداعية.

الخميس ١٣ حزيران

تقول صحيفة اوبزرفر اللندنية أَنَّ هناك تنظيماً أصولياً إسلامياً باسم « جند الإمام » وهو ذو صلة بعيدة وقديمة بوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية. ويكاد يبدو ان معظم الحركات الأصولية الإسلامية ـ وغير الإسلامية ـ التي ظهرت عقب الحرب العالمية الثانية متهمة بعملها لحساب المخابرات الأجنبية الأميركية والبريطانية بشكل خاص.

الثلاثاء ١٨ حزيران

حاول مواطن فلسطيني طعن صهيوني في الأراضي المحتلة ، وألقي القبض عليه. وصرَّح اسحاق شامير حرفياً : « للأسف الشديد ألقي القبض على منفذ العملية حياً. هذا يؤلمني كثيراً ». وهكذا تكلم الإرهابي بلسان رئيس الوزراء.

الأربعاء ١٩ حزيران

جاك شيراك يتلفظ بتعابير عنصرية ضد العرب ، فتثير لغطاً

لم يتعدَّ كونه لغطاً.

وفي الوقت نفسه طرد وزير الخارجية الفرنسي ، رولان دوما ، الكاتب المغربي عبدالمنعم ديوري ، اللاجىء السياسي منذ عام ١٩٦٠ الى فرنسا ، وجرى ترحيله الى الغابون بعد إلقاء القبض عليه في الشارع واختطافه على طريقة « المافيا ».

وذكرْتُ كيف جرى إبعادي من باريس بعد إقامة إمتدَّتْ أربع سنوات ، لم أسىء فيها لأي قانون فرنسي ، وكانوا يعرفون جيداً مَنْ أنا ، ويعرفون أني ـ وإن لم أكن لاجئاً سياسياً ـ بمثابة اللاجىء السياسي ؛ في الوقت الذي مَنَحُوا ـ دون أدنى معاملة ـ حق اللجوء للكاتب الألباني « قادري » ، كما أظن اسمه ، لأنه معادٍ لنظام ألبانيا الذي ظنُّوا أنه معادٍ للأميركان. أين أنْتِ يا أمثولة الأخلاق !

الخميس ـ الجمعة ـ السبت ـ الأحد ـ الاثنين

أمضيّتُ هذه الأيام على شاطىء البحر في نادي جالطا. منذ فترة طويلة لم ألتقِ بهذه الشمس وبهذا النسيم وبهذه الرمال الناعمة. ذكرْتُ اللاذقية وطرطوس. يا الله ! أحد عشر عاماً وأنا بعيد عن بحري ورمالي وجبلي وأشجاري ونبعي وتلتي التي تضمُّ مسجد آل الأحمد وتضمُّ قبور العديد من الأحبّة. لربَّما وصلَتْ موجة الى ذلك الشاطىء بعد أحد عشر عاماً آخر ، ولكنْ هل أكون يومذاك في هذه الدنيا !

الثلاثاء ٢٥ حزيران

اطّلعتُ على بيان أصدره الشاعر المصري محمد عفيفي مطر، الذي اعتقلته السلطات المصرية أثناء حرب الخليج بتهمة انخراطه في تنظيم « إرهابي » مُوالٍ للعراق.

ويصف هذا البيان ما تعرَّض إليه هذا الشاعر من صنوف التعذيب. وكانت « قوة مسلحة بالرشاشات والعصي والدروع » قد اقتحمت بيت الشاعر وغرفة نومه « دون تقديم إذن من النيابة أو السلطات القضائية أو تحديد الغرض من الهجوم المسلَّح المفزع». ثم اقتادوه الى عربة الترحيلات وانطلقوا به الى مبنى مباحث أمن الدولة بميدان لاظوغلي بالقاهرة « حيث بدأتْ على الفور إجراءات وممارسات التعذيب وإهدار الآدمِيَّة ضدي وترويعي وقهري بطرق وأساليب » عدَّدها الشاعر وكلها وحشية همجية يرتعد القلم عندما ينقلها. وأطلق سراحه بعد سبعين يوماً من التعذيب « دون أن أقف لحظة واحدة أمام النيابة أو سلطات الإتهام والتحقيق ، أو توجه لي تهمة أو يسمع لي دفاع ».

بكيتُ وأنا أقرأ هذا البيان. ماذا يمكن أن يفعل مشرَّد مثلي يكاد لا يجد بلداً يؤويه ، وكلابُ النظام وذئابه في أثري. ولم أعد شاباً. وما عاد قلبي يحتمل وعثاءَ التنقل ، والمرض ، وألتفت فأرى في مصر يوسف إدريس وأنيس منصور وأحمد عبدالمعطي حجازي وغالي شكري وعشرات غيرهم ـ يرفلون برضى النظام وأموال الخليج ، بينما هذا الشاعر الذي لا يقلُّ عنهم موهبة ، تمتهن كرامته وتهدر إنسانيته بشكل فظ همجي مخجل لمصر وللعروبة والإنسانية.

له الله. هكذا قدر الشرفاء. كدتُ أقول : الضعفاءُ.

الأربعاء ٢٦ حزيران

لعلّي لو خُيِّرْتُ بين الأدب والعلم المجرَّديْن اللذين قد يقودان للعبث والتدمير ، وبين النضال حتى غير المؤهل في سبيل مبدأ إنساني لاخترْتُ هذا الأخير ، ولضربتُ عرض الحائط بكل الصفحات التي توفِّرُها لي ولاسمي ولأعمالي صحف ومجلّات ، في شرقٍ وغرب ، وبكل تلك الحياة الهادئة وربما الهانئة التي أقضيها وقد كُفيتُ كل شيءٍ يَهُمُّني من حياة مادية ، ومن طمأنينة ، ومن أبواب مفتوحة في العالم ، أدخلها آمناً لا يجري ورائي مخبر ، ولا يتربص بي قاتل ، ولا يصدُّني شرطي في مطار.

السبت ٢٩ حزيران

حرص ايليا أبو ماضي ـ الشاعر المهجري الذي قرأه جيلنا كثيراً وحفظ له « الجداول » ـ على أن لا يعرف أبناؤه ولا زوجته العربية رغم انّهما من أصل عربي ، رغبة منه في اندماجهم الكلي في المجتمع الأميركي. لقد فعل مثله ألوف المهاجرين وملايينهم في أوروبا وأميركا وأستراليا وكندا ، ولكنْ تظلُّ جريمة الشاعر قصيدة شوهاء.

الثلاثاء ٢ تموز

أصدرت بياناً من الحزب الوطني الديمقراطي في سورية بمناسبة الهجوم الغادر على منظمة التحرير الفلسطيني في جنوب لبنان. جاء فيه :

تتوالى فصول المأساة اللامعقولة واللاعقلانية على المسرح العربي دون أن يتخلف الممثلون المحترفون عن تأدية أدوارهم، في سبيل الإجهاز على الأمة العربية من خلال الإجهاز على كل قوة حية فيها. ويأتي آخر عرض لها في الهجوم الغادر الذي شنَّه جيش ميشال المر والياس الهراوي بتوجيه ودعم وتعهد سابق من حافظ الأسد على معاقل الثورة الفلسطينية في جنوب لبنان، ضمن خطة بوش ـ شامير ـ أسد ـ رفسنجاني، رغم لجوء الأسد الى التخفيف من افتضاحها وافتضاحه بمناورة صوَّروها على انها تطبيع للعلاقات بين نظامه ومنظمة التحرير. وقد حذرنا وحذر الشرفاء الواعون من قبول هذه الدعوة التضليلية.

كما ان التهديد الذي وجهه بوش مؤخراً، بضرب المنشآت النووية العراقية، محتجاً بعدم انصياع العراق لقرارات مجلس الأمن، ومسارعة الإعلام الغربي ـ الصهيوني لتحريض بوش على استغلال المناسبة للتخلص نهائياً من العراق ككيان ومن صدَّام حسين كرمز، كل هذا رغم الأوامر الواضحة الصريحة التي أعطاها الرئيس صدَّام حسين بتيسير مهمة اللجنة الوافدة باسم مجلس الأمن لهذه الغاية، ورغم تأكيد حكومة العراق على استجابتها لكل قرارات مجلس الأمن الظالمة. نقول: هذا التهديد، وعدم إستبعاد الإقدام على تنفيذه في الساعات أو الأيام القادمة، لهوَ حلقة أخيرة لا آخرة من حلقات العدوان الذي شنته الولايات المتحدة الأميركية وأذنابها على العراق، قلعة الصمود والعز والحق، وليس بمستغرب أو مستبعد أن يتزامن هذا العدوان الجديد مع عدوان الأسد ـ طلاس، والهراوي ـ المر، على قلعة الصمود الأخيرة في وجه الإجتياح الصهيوني الذي لن يعرف حدوداً

بعد اليوم ، والذي إذا قيِّض له أن ينطلق ، في هذه الظروف المتردية حتى المأساة ، فسوف يجعلنا نستجدي موافقة العدو الصهيوني على التوقف عند حدود « إسرائيل الكبرى » التي أكد عليها شامير بالاسم ، في تصريحاته الأخيرة ، والتي تضم على سبيل التذكير عسى أن تنفع الذكرى : أكثر من نصف سورية بما فيها دمشق العاصمة ، وأربعة أخماس لبنان ، والكيان الصهيوني الحالي بما فيه الأرض المحتلة والجولان الحصينة ، الى جانب سيناء والأردن برمتهما ، والسعودية حتى حدود المدينـــة المنورة ، بالاضافة الى ثلاثة أرباع العراق. ولا يظن أحد أن أي شيء من هذا هو من قبيل الأوهام. وإلا فهل كان يخطر على بال جيلنا اننا سنصل ، بفضل تسمية ما تعبنا من تسميته ، الى هذه الحالة الفاجعة ، والى أن صديقنا الاتحاد السوفياتي هو الذي يبادر الآن في مجلس الأمن للدعوة من أجل اتخاذ القرارات اللا إنسانية ضدَّنا ، وهو الذي يرسل بضعة ملايين روسي وغيرهم لاحتلال هذه المساحات التي ستقفر من سكانها الأصليين.

[لقد تراخت الجماهير العربية وصمتت بعد تدمير العراق ، وتمادي أميركا وحلفائها وأذنابها في فرض الشروط المجحفة عليه. ولكن ما زال في العراق ، وفي المقاومة الفلسطينية ، وفي الجزائر ، وفي كل ساحة عربية ، قوى مؤمنة ، مضحية ، واعية ، عليها أن تهب لأن الموت والذلَّ معاً قادمان لا محالة.

[فيا جماهيرنا العربية ، ويا أحزابنا الوطنية ـ وبخاصة في لبنان وسورية ، ويا حكوماتنا الشريفة الواعية ، هذا أوان الشدِّ والجدِّ ، كي نَهُبَّ على التحذير المتفجر من ينابيع الواقع ، عسى أن تغدو اللطمات ـ مهما كان مبلغ شأنها ـ قادرة على تنبيه الغرب

الصهيوني الى اننا موجودون وأننا مصممون على المنازلة الطويلة ؛

[ويا إله العالمين ، لقد توجه إليك نبيّكَ الكريم وألْحفَ في الدعاء إلحافاً لم يعهده صحابتُهُ فيه من قبل ، كان يخشى على الفئة المؤمنة التي ، إن قتلت ، فلن يُعْبَدَ الله وحده بعد يومها ذاك. ونحن الآن نقتدي بسيد الخلق ونتوجه الى الله القاهر فوق عباده ، والى عباده المستضعفين في الأرض ، عسى أن نجد من ظلمتنا مخرجاً.].

الأربعاء ٣ تموز

استشهد ابن تيمية بقول عبقري شفَّافٍ صادق للإمام علي بن أبي طالب : الدنيا تدومُ مع العدل والكفر ، ولا تدوم مع الظلم والإسلام.

السبت ٦ تموز

حضرْتُ هذا المساء أوبرا « زواج فيغارو » احتفاءً بمرور مئتي عام على وفاة الموسيقار العالمي موزار. وهي أوبرا كوميدية في أربعة فصول ، وباللغة العربية لأول مرة كما أعتقد ، ومن هنا جاءت أهمية تسجيل هذا الحدث. وقدَّمت هذه الغنائية فرقة الأوبرا المصرية ، وكانت ناجحة ، وأصغى إليها الجمهور وصفَّقَ لها طويلًا على مسرح قرطاج في تونس. كان الكلام واضحاً منسجماً مع الموسيقى ، وقد أحسَّ الجميع ، وتبين أنَّ اللغة العربية صالحة حتى لهذا الفن الغريب عن العرب.

الاثنين ٨ تموز

مرض الغريغز الذي يعاني منه جورج بوش، شخَّصه البروفسور جيمس رامي، أستاذ الغدد بجامعة جورج واشنطن على أن المصابين به لا يستطيعون التركيز جيداً في تفكيرهم، ومن السهل أن يتشتت ذهنهم، وأن يُسْتَثاروا. كما ان من الصعب عليهم تَحمُّلَ أيَّة درجة من الإحباط. ومِنْ أخطر أعراضه النفسية العامة ان المصاب به يصدر أحكاماً سريعة ثم يظل قلقاً بشأن نتائجها لفترة طويلة.

الثلاثاء ٩ تموز

قرأْتُ بالفرنسية لفرنسوا مورياك، الأكاديمي والكاتب المشهور، في كتابه «حياة يسوع»: «لم يعد ثمة زيت في مصباحه، في مصباح جسده. لم يبق ليسوع من قوة إلّا أن يتحمل وأن يتألم. وبإمكاننا أن نتصور هذه النظرة التي تبادلتها هذه المرأة القديسة وابنُ الإنسان. الآخرون لا يرون شيئاً. ولكنه هو يعلم ان مريم قد أدركت، بينما كان الأناء يتحطم ويتبدد عطره. وتنحني مريم بتواضع، مثل خاطئة، وتمسح بشعرها القدمين المعبودتين.

«وفجأة علا صوتُ يهوذا الذي جعلهما يرتعشان، هي وهو: [كان بإمكاننا أن نبيع هذا العطر بمئتي فلس وأن نوزعها على الفقراء.] وتأمَّلَ يسوع هاتين الروحين، الأولى يُفْنيها الحب، والأخرى يُفْنيها البخل والحسد». ولو سمح لي مورياك لأضفتُ من معرفتي بالناس والأيام: والرياء.

الجمعة ١٢ تموز

قرأتُ أنَّ قاضي حسين أمير الجماعة الإسلامية في باكستان يرفض باسم جماعته قانون تطبيق الشريعة بصيغته التي قدَّمها رئيس الوزراء نواز شريف للبرلمان ، محتجاً بأنَّ هذا القانون حوَّل الحرام الى حلال وشوَّه الآيات القرآنية.

مَنْ لنا بمن يحكم بين الذين يتكلمون باسم الحق الإلهي !

وقرأْتُ في مجلة إسلامية أن آخر خلفاء بني أمية ، مروان بن محمد ، الملقب بالحمار إنما سُمِّيَ كذلك لبلادة تفكيره. ورغم هذا فقد قُدِّرَ له أن يتسلم القيادة والتوجيه في الأمة بحيث أصبح خليفة للمسلمين بعد أن استولى على السلطان بالسيف ، وكان يقمع كل احتجاج بالحديد والنار ، ثم أُخِذَ بِهما.

ونشرت مجلة « الشراع » اللبنانية وثائق عن العمل التآمري للاستخبارات المركزية الأميركية من أجل ضرب العراق ، متعاونة مع الصهاينة والرجعية في أميركا اللاتينية وقسم من حكام إيران.

ونشرت « روسيا السوفياتية » الجريدة الأكثر انتشاراً في الاتحاد السوفياتي (ستة ملايين نسخة) مقالة اتهمت فيها يلتسين ومجموعته بتنفيذ أوامر وكالة الاستخبارات الأميركية. وتحدثت عن « مجموعة الأقاليم » التي جاء أعضاؤها الأول من أميركا وعلى رأسهم تروتسكي (أو اليهودي برونشتين) وكانوا سبعمئة يهودي ثوري أممي.

وقرأْتُ آراء لجبرا ابراهيم جبرا في مجلة « الشراع » تقول : الشعر العربي الحديث أقرب الى القارىء الغربي. إلغاء الشعر القديم خزعبلات. أكثر شعر اليوم لا يلتفت إليه أحد.

ولم أقرأ حتى الآن لحزب معارض أو زعيم معارض حديثاً عن الأراضي الزراعية مثلًا والقوانين الصادرة ، ومناقشتها. بل هَمُّ الجميع ـ وهو همٌّ كبير ولكنْ وحيد الجانب ـ في الاعتقالات فإذا أفرج الرئيس « كرماً » منه عن معتقل اعتبروا ذلك انجازاً عظيماً حققته المعارضة.

السبت ٣ تموز

قرأْتُ أن جماعة الإخوان المسلمين في الكويت الذين يصدرون مجلة « المجتمع » سوف يفصلون جميع مَنْ أيَّدَ العراق ضد الأميركان. وتذكرْتُ انَّ هذه المجلة كتبت عني ـ في معرض ادعائها معارضة حافظ الأسد بينما كانت في الواقع تبث سموم التعصب الطائفي. أني كشفْتُ عن وجه مرعب أكثر من وجه حافظ أسد. فإلى أين يذهب هذا التعصب الذميم!

وقرأْتُ عن اشتباك شباب « التكفير والهجرة » مع شباب الإخوان المسلمين في جامعة القاهرة ، ومهاجمتهم لهؤلاء الأخيرين بالسكاكين والحجارة ونعتهم بالكفَّار. وعندما نادى المؤذن على الصلاة لم يستجب له أحد.

الأربعاء ١٧تموز

جاء في افتتاحية « الفيغارو » : « لقد كانت دمشق والقدس حليفين موضوعيين لزمن طويل. ليس فقط لأنهما يقتسمان لبنان بل أنَّ عداوتهما لمنظمة التحرير الفلسطينية تؤلف نقطة اتفاقهما الحقيقية ، فإسرائيل تحارب الفدائيين في الأرض المحتلة ، وسورية تبيدهم في جنوب لبنان ».

الجمعة ١٩ تموز

لم تستطع المجلات العراقية الهوى والتمويل أن تصمد أمام انقطاع الإمداد ، في حين لو أنَّ هذه الوسائل الإعلامية لم تكن مستنيمة للخمول وعدم السعي وعدم المسؤولية لاستطاعت أن تجد إمكانية للتمويل الذاتي لفترة أطول بكثير ، ولما كانت حرمت العراق صوتاً مؤيداً صادقاً في المهاجر. ينطبق هذا على « الدستور » و « كل العرب » و « الطليعة » و « التضامن ».

فهل نأخذ درساً من كل هذا ؟

الأحد ٢١ تموز

لا بد ـ بعد حرب الخليج ـ من أن تنطلق معارضة سورية من أساس سليم صامد ، ربما لسبب هو أبسط الأسباب وأجلُّها في وقتٍ واحد : عَنَيْتُ أَنْ لا تصاب الجماهيرُ ، مرةً جديدة ، بخيبة أمل ، وبرجَّةٍ قد يكون لها أسوأ العواقب. ولأن أم المعارك منحتنا آفاقاً جديدة.

لا يكفي أن تجتمع عدة أحزاب تدعمها مجموعة من المستقلين ، على معاداة نظام أو حتى فرد ، كي تنجح وكي تحدث فيما بعد التغيير المطلوب ـ قد يكون نجاحُها ـ إذا تمَّ ، ونادراً ما يتمّ ، نوعاً من الإنقلاب العسكري التقليدي ، أو شرّاً منه. فالإنقلاب العسكري عادة يكون على رأسه فرد مُحاطٌ بجماعة تخضع له أو تتبعه أو تماشيه ، دون هدف أو مبدأ إلّا تسلُّمَ السلطة. بينما انقلابهم هم يكونُ عبارة عن فوضى ، وعن أهواء ، وعن اتجاهات عديدة يستغلُّ الرديء منها فرصة البلبلة كي يوقع البلاد في شرك القوى المعادية. وعند ذاك يكون النظام الذي جرى

عليه الإنقلاب ليس أسوأ من النظام الجديد الذي أحدث الإنقلاب ، لأنَّ هذا الأخير مستعد أن يفعل الأفاعيل التي اجترحها سابقه ، ثم يزيد عليها ان البلاد الواحدة قد تصبح نوعاً من الاتحاد السوفياتي أو يوغوسلافيا حالياً ولا يعود باستطاعتها حتى أن تحافظ على وحدتها.

إن النظام الأميركي الجديد جاء للهيمنة على العالم ، وعلى العالم الثالث بشكل خاص لأنه أهراء العالم على فقره وجوعه ومرضه وتخلفه ـ ولأن الثروات الطبيعية التي بإمكانها أن تحافظ على مستوى أميركا والغرب الصهيونيين الى حدٍّ ما ، كامنةٌ في العالم الثالث ، وفي البلاد العربية بشكل خاص. ولا يمكن للآلة الغربية الصهيونية المتقدمة أن تتحرك بأهلها الى الأمام إلّا على أشلاء استنزافنا دماً وماءً ونفطاً ، وَحَدائِقَ غُلْبا.

لقد أصبح الغربيون ـ الذين يعتبرون العنصرية (أي اللا سامية) جريمة الجرائم في هذا العصر ، لا يتورعون من القول علناً ، وعلى شاشات التلفزيون ، وفي سائر وسائل الإعلام ، اننا لسنا بحاجة في بلادنا الى هؤلاء العرب المتخلفين. وإذا كانت الدراسات العلمية تثبت ان أوروبا تهرم وتترهل وتَبْلى وأن مصير حضارتها الى الزوال إذا لم يجر تطعيمها بأجيال جديدة أجنبية فيجب أن لا تكون هذه الأجيال ـ على وجه التخصيص ـ عربية ، وإنما عليهم أن يفتشوا عنها في أوروبا الشرقية المنهارة فكرياً وروحياً وإقتصادياً ، وأن يستقطبوا أفضل ما فيها من طاقات عقلية وبدنية تاركين للبلدان الأصلية الاقتتال وتهريب السلاح والمخدرات ليستأصل بعضهم البعض الآخر ، وليمُدَّ مَن تبقَّى يده بِذُلِّ السؤال أمام الغرب الصهيوني ، ولكي يتسلّى هذا الأخير

بعرض صورهم على التلفزيون في حالة الاقتتـال ثم الموت ثم البكاء الفاجع الذليل.

لقد نجح الغرب الصهيوني نجاحاً خاطفاً ولكنه مع ذلك لم يأْتِ ابْن ساعَتِهِ أَوْ مُرْتَجَلًا. وهكذا استطاعوا أن يسقطوا الشيوعية ـ بمساعدتها هي ذاتها ـ كعملاق متهرىء منخور، تكفي هبة ريح شمالية كي تجعله كعصف مأكول. والغريب في الأمر أنَّ هذه البلدان الشيوعية قد سعت الى حتفها بظلفها تماماً، وقد أغراها البريق اللَّماع متناسية أنْ ليس كل ما يلمع بذهب! وهي في ذلك أشبه ما تكون بالبلاد العربية، جمع بينها تخلف وقصور ذهني ـ رغم الصواريخ العابرة للقارات والمركبات الفضائية ـ وتزوير للإنسان وتشويهٌ لتركيبِهِ النَفْسيّ والفيزيولوجي معاً.

لقدوضع الغرب الصهيوني يده على العالم، وأصبحت مؤسسات هذا العالم طوع أمره. ومهما يكن من استقرائنا للموقف العالمي، كيف يجب أن يكون أوأن يتصرف، فانَّ ما يهمنا، من قبل ومن بعد، هو ما يتعلق ببلادنا العربية ووطننا الأكبر، رغم ما تثيره هذه الكلمة الأخيرة من سخرية في الغرب ولدى بعض مثقفينا الذين اقتصر دورهم على شتيمة أمتهم والتبرؤ منها، بدل أن يتساءلوا: ماذا كان دورهم؟ وهل نهضوا بمسؤولياتهم؟ وكأنَّ الأمة، في مفهومهم، كرة متدحرجة من جبلٍ ثلجي، استقرت فجأةً في سفح الجبل، كتلة صمَّاء، وليست مجموعَ هؤلاء الأفراد الذين تجمع بينهم لغة واحدة وحضارة واحدة وأرض واحدة وتاريخ واحد ومستقبل واحد ـ مهما كان شأن هذا المستقبل. ونحن مسؤولون جميعاً عن كل ذلك، وعلينا وحدنا أن نجعله متألقاً أو متحجراً في غياباتِ التخلف والمهانة.

المؤسف حقاً ، وبصرف النظر عن كل الأخطاء الصميمية أو السطحية ، التي وقعت فيها الشيوعية ، أن تجد أجيالٌ سبعة أنفسها فجأةً منقطعةً عن تاريخها ، مُتَخَلِّيَةً عن معتقداتها ، مُسَفِّهةً لها ، شاتمة لما كانت تقدِّس ، جاحدةً لنضال مريرٍ قام به الآباء والأجداد كي يبنوا بلاداً متقدمة قوية منيعةً مزدهرة. وكان هذا الحلم يحدوهم الى تضحيات لا يمكن للإنسان أن يتصوَّرَ أجلَّ منها وأقسى في الوَقْتِ نفسه. إنَّ المرء ، عندما يعرضون له كيف بنى الإنسان السوفياتي الشيوعية أو حاول بناءها لتروعه هذه الحياة العنيفة التي تحمَّلها باسم الغد الجميل. والآن ، مهما كان من أمر هؤلاء الآباء وتصوراتهم ، فقد بنوا شيئاً جليلًا وكانوا حسني النية ، فما معنى أن يأتي غورباتشوف مثلًا ، منافقاً مخادعاً ، تحت ستار الحرية المطلوبة ، وتحت ستار انتقاد عيوب الدكتاتورية فيقذف بشعوب بلاده الى جهنم الفوضى والتناحر واليأس والضياع والكفران بكل شيء إلّا بمواد الغرب الاستهلاكية. وما نراه الآن ـ ليس إلّا بدايةً لتجزئة هذه الامبراطورية ، التي كانت بشكل من الأشكال امبراطورية شرّ ولكن في وجه امبراطورية شرٍّ أخرى لها أساليبها المتميزة. إنَّ الاتحاد السوفياتي والشيوعية لم يربحا إلّا زوالهما. ولا أقول ان هذا شيء سيءٌ بمقدار ما أقول انها كانت لعبة منافقة غادرة بالشعوب السوفياتية والشيوعية عموماً لتسليمها الى شيطان أقوى وأذكى وأكثر بريقاً وبهرجاً. في حين ان الاتحاد السوفياتي يحوي من الكفاءات العلمية ضعفي كفاءات الولايات المتحدة الأميركية ، والثروات التي تتمتع بها أرضه تفوق الثروات الطبيعية الأميركية ، وكان على غورباتشوف وأعوانه أن يشمروا مع الشعوب السوفياتية والشيوعية عن ذراع

لعمل والبناء والتصحيح ، بدل الوقوف ، ببلاهة واستخذاء ، موقف الاستجداء ، والارتماء في أحضان الغرب الصهيوني الذي سيذيقهم شرَّ ما أذاقنا في العالم الثالث إبَّان استعماره المقبور ، والمنتفض من اللحد.

ما علاقة المعارضة السورية بكل هذا ؟ إنها في نظرنا علاقة صميمية حياتية لا تنفصل عن أم المعارك بكل دروسها الوطنية والقومية والعالمية. إنَّ سورية جزء من وطن عربي كبير كان مؤهلًا لأن يكون القوةالعالميةالأولى في القرن الحادي والعشرين. وكانت وقفة العراق هي الأساس الصلب لانطلاقة هذه القوة العملاقة ، ولكي تحفظ شعوب العالم كرامتها وثرواتها ، ولكي يكون هناك تعامل وتفاعل عادل مع شعوب الغرب المتقدمة.

هذا ما لم يكن. وضاعت الفرصة الوحيدة الآن. ولا ندري الى متى سيمتدُّ هذا الضياع ، أو متى ستكون عودة فرصة جديدة ، وهل سنتمكن ويتمكن العالم المغلوب من انتهازها عند ذاك. ولكن ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ علينا أن نتحكم في مصيرنا.

إنَّ سورية ـ بالدرجة الأولى ـ ومعها مصر هما اللتان أضاعتا هذه الفرصة ، فأضاعتا قوة العرب وكرامتهم ولم تربحا إلّا بضعة مليارات من الدولارات ابتزَّها الغرب الصهيوني من ثروتنا العربية التي وضع يده عليها كافة ، سواء تمثلت بالنفط وحقوله وآباره ، أو بالتوظيفات التي جاء انها قاربت سبعمئـــة مليار دولار في مصارف الغرب وشركاته ، وعلى أرضه وفي شوارعه ، ورهن قوانينه. أصبحنا جميعاً بلا إستثناء نتلقى الأوامر وننفذ بلا اعتراض ونكرر بمذلة ، عبارات يضعها بيكر وبوش وشامير في أفواهنا.

ولمَّا كانت سورية هي المسؤولة الأولى عن انهيارنا العربي في اعتقادي فإنَّ علينا أن ندرس هذه الظاهرة بعمق ، ووعي ، وأن نحاول معالجة أمراضها بمعرفة وخبرة وصدق واخلاص وغيرة.

لقد نجح النظام السوري الحالي في إقامة دولة طوائفية اتخذت منهاج القرصنة بأوسع معانيها متجرِّدة من الخلق الوطني والقومي والديني معاً ، مكابرةً ، رغم هذا بأنها حاملة هذا اللواء ، مصفِّقةً لنفسها ، ليندفع ، بعد ذلك ، معسكر الغرب الصهيوني وعملائه في جوقة التصفيق ، إمعاناً في التضليل والخداع ، وإعداداً لدور يجب أن يُمَرَّر.

وما كان للنظام السوري أن ينجح في البقاء ثم في مزاولة التخريب لولا أنه اجتهد طوال أكثر من ربع قرن في تشويه الفرد والمجتمع السوريين ، وفي تزوير تربيته وتفكيره ، حتى صنع من هذا وذاك شيئاً غريباً عن تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا ، وهكذا لم تعد سورية قلب العروبة النابض ، ولم تعد مَهْدَ الديمقراطية والوطنية يوم كانت الجماهير هي السيِّدة وهي التي تملي رأيها وهي التي توصل الحكام الى مناصبهم وهي التي تخلعهم وهي صانعة سياستها المادية. وبسبب من عدم انتباه الأشقاء في البلاد العربية ، أو حتى السوريين أنفسهم ، الى هذه الحقيقة ، كان هؤلاء يعتقدون أنَّ سورية ما زالت سورية ، أي لا يمكن أن تنساق الى خندق الخيانة وتنضم الى معسكر الغرب الصهيوني ـ ماذا قلت ، انه لشرف لم تكن لتبلغه ـ بل تستلقي حجراً مهملاً على رقعة الشطرنج الغربية الصهيونية.

الثلاثاء ٢٣ تموز

تعيش سورية منذ الستينات تحت وطأة قانون الطوارىء. والغريب في الأمر ان المسؤولين السوريين لا يجدون غضاضةً في هذا الواقع، بل يبررونه ويفلسفونه، ويكون، بالطبع، على رأس المبررين والمفلسفين رئيس الجمهورية بِعَيْنِهِ. ومن هذه التبريرات التي لا تثبت لأي انتقاد جدي، بل لا يمكن أن يقبلها منطق، قول حافظ الأسد« إن سورية لم تزل تَمُرُّ بحالة حرب » وان « القصور في عملية تحديث بعض القوانين القديمة والتي لم تعد تستجيب لحاجات المرحلة التاريخية والحضارية التي تمر بها بلادنا، الأمر الذي يجعل الجهات التنفيذية تلجأ من أجل سدِّ هذا النقص الى إستخدام بعض الإجراءات التي ينص عليها قانون الطوارىء في معالجة حالات يجب أن تستطيع القوانين العادية معالجتها بشكل صحيح ». هل قرأتم استهانة بعقول المواطنين، المغلوبين على أمرهم، أكثر صفاقة من هذه الإستهانة التي تدَّعي بأنَّ قانون الطوارىء يتمُّ العمل به من أجل الإستجابة لحاجات المرحلة التاريخية والحضارية التي تمر بها بلادنا، والتي لا تؤمنها القوانين القديمة !

الأربعاء ٢٤ تموز

أكدت لجنة الدفاع عن المعتقلين السياسيين بسورية في ٢١ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٩٠ أن عدد المعتقلين في السجون السورية يصل الى ثمانية عشر ألفاً. وبين هؤلاء المعتقلين، علاوة على السوريين، لبنانيون وأردنيون وعراقيون. وهناك أربعة آلاف معتقل فلسطيني على الأقل ما زالوا يعانون

وطأة السجون منذ ١٩٨٢. وقد مات العشرات نتيجة التعذيب الوحشي ، والتصفية المتعمَّدة ، وبينهم عدد من النساء.

وجاء في تقرير المنظمة العربية لحقوق الإنسان (القاهرة ١٩٩١) وهي منظمة لا يمكن بحال من الأحوال اتهامها بتحاملها على سورية ، بل العكس هو الصحيح تماماً ، ومع ذلك فقد كان تقريرها رهيباً. ومما جاء فيه : « هذا وكان المقرِّر الخاص بالتعذيب في الأمم المتحدة قد وجَّهَ نداء عاجلًا الى الحكومة السورية في ١٢ يناير/كانون الثاني/١٩٩٠ بخصوص أبو داؤد وثلاثة فلسطينيين آخرين كانت القوات السورية قد ألقت القبض عليهم في لبنان منذ ١٩٨٣ - ١٩٨٥ ، وهم حسن ديب خليل (أبو طعان) وفايز عرفات ودياب محمد مصطفى.وأشار النداء الى تردِّي أوضاعهم نتيجة للتعذيب والأمراض المزمنة بسبب طول أمد الاعتقال وظروف السجن السيئة وحرمانهم من الرعاية الطبية أو السماح لذويهم بزيارتهم منذ اعتقالهم ».

فأية سادية هذه ، أية وحشية تلك التي « تقتلع العيون وتكسر عظام الجمجمة » كما فعلت بزياد موسى قطناني في مايو/أيار ١٩٩٠ بفرع التحقيق العسكري بدمشق. أو نبيل داود الحاج الذي « توفي بسجن فرع فلسطين في ١٩٩٠/٣/٣٠ وكان يعاني من إصابته بالذبحة الصدرية والربو المزمن وقد رفضت إدارة السجن عرضه على الأطباء أو معالجته أو السماح لأسرته بإحضار العلاج اللازم له » ؛ بل سجنوا وعذَّبوا « الطبيب الذي رفض إعطاء شهادة منافية لما ارتضاه ضميره ».

الخميس ٢٥ تموز

لا يستطيع الفلسطينيون المقيمون في سورية ـ حسب المنظمة العربية لحقوق الإنسان ـ التنقل بحرية داخل هذا البلد «فما زال مفروضاً عليهم مراجعة جهاز المخابرات عند السفر للخارج ، أو أجهزة الأمن الداخلية عند تنقلهم من مدينة الى أخرى. ولا يستطيعون السفر أو التنقل إلّا بعد الحصول على تصريح بذلك».

أهذه سورية أم إسرائيل ؟

الجمعة ٢٦ تموز

التعددية الحزبية في سورية الأسدية كذبة بلقاء ، وخداع صفيق. فهذه الأحزاب التي تؤلف الجبهة الوطنية والمكوَّنة من عدة أحزاب شيوعية وناصرية وإشتراكية وغير ذلك واجهة تضليلية تكتفي بتأجير عنوان ليس له محتوى مقابل بعض الامتيازات ؛ أما الحقيقة فان الانتخابات لا يسمح لها بأن تجري على أساس حزبي ، بل لا يسمح للمعارضة ولا للأحزاب التي أوجدتها السلطة وحشدتها حشداً في جبهتها أن تصدر صحفاً خاصة بها ، أو صحيفة مركزية تعبر فيها هذه الأحزاب عن مواقفها وآرائها ، كما جاء في تقرير المنظمة العربية لحقوق الإنسان. وقد برَّرَ حافظ الأسد هذه المواقف في خطابه عشية الانتخابات الأخيرة بأنَّ « المرحلة الحالية في سورية ليست ملائمة للأخذ بنظام انتخابي على أساس حزبي ، وان سورية تتبع أسلوباً خاصاً يعطي غير الحزبيين نصيباً كبيراً لأننا نريد أن نعيش حريتنا الحقيقة

عبر صِيَغ تَنْبُعُ من أرضنا وإرادة جماهيرنا ».

أجل ، انها حرية حافظ الأسد وتصوره الخاص الذي علقت عليه المنظمة العربية لحقوق الإنسان بأنَّ من « الواضح أن هذا التصور يعكس استمرارية الطابع السلطوي لنظام الحكم الذي يقوم على التعبئـة عبـر الأجهـزة السيـاسيـــة والأمنيـة ، وليس على المشاركة الحرة التي لا يمكن الوصول إليها طالما بقيت هيمنة الدولة على المجتمع المدني ».

الأحد ٢٨ تموز

في عام ١٩٣٨ قدَّم فريق « أحرار الكويت » طلباً الى الحكومة العراقية يدعونها فيه الى تحقيق مطامحهم باعادة دمج الكويت بالعراق. وتألفت جبهة قومية لهذه الغاية ، طلبت الى شيخ الكويت تأليف مجلس تشريعي يمثل « أحرار الكويت ». ووجد الشيخ أحمد الصباح آنذاك نفسه مضطراً للاستجابة. وفي الجلسات الأولى عام ١٩٣٩ جرت المطالبة بعودة الكويت الى العراق ، وأرسلوا عدة برقيات الى الملك غازي يطلبون في أحداها تدخله مؤكدين ان « تاريخنا يؤيد دمج الكويت بالعراق. إننا نموت ونحيا تحت العلم العراقي. غازي ، ساعدْ إخوتك في الكويت ».

وبعد مصرع الملك غازي ، واندلاع الحرب العالمية الثانية ، ألغى حاكم الكويت عام ١٩٤٠ الادارة العراقية للبريد والبرق والهاتف ووضع مكانها إدارة بريطانية. وفي عام ١٩٤٥ حلَّ نظام مصري تربوي محلَّ النظام العراقي.

وفي عام ١٩٥٨ أعلن نوري السعيد ، رئيس وزراء العراق ، أمام حلف بغداد ، عن ضرورة ضم الكويت الى العراق. وكانت تركيا وإيران وباكستان وبريطانيا مشاركةً في هذا الحلف. وحضر جون فوستر دالاس ، وزير خارجية أميركا ، هذا الاجتماع كمراقب. وسقط مشروع نوري السعيد. لاعتراض بريطانيا عليه.

وفي الخامس من حزيران ١٩٥٨ جاء في ورقة قُدِّمت الى الجامعة العربية : « كان الكويت إقليماً خاضعاً لسيادة الدولة العثمانية. ومن وجهة النظر الحقوقية والدولية فان هذا الإقليم مرتبط بمحافظة البصرة. ولم يكن ثمة اعتراض على ذلك لا من قبل السلطات الكويتية ولا من قبل السلطات البريطانية. بل ان الحكومة اعترفت ضمنياً بالاتفاق البريطاني ـ التركي الموقع في لندن في ٢٩ تموز ١٩١٣ والذي يؤكد في مادته السادسة حق شيخ الكويت بممارسة سلطته الادارية بصفته قائم مقام عثمانياً مرتبطاً بمحافظة البصرة ».

ولكن النفط جاء فأفسد كل شيء.

الاثنين ٢٩ تموز

وجهتُ نداء باسم رابطة الكتّاب والصحفيين السوريين التي أرأسها لرفع الحصار الظالم عن العراق الصابر المؤمن. هذا نصه :

إن رابطة الكتّاب والصحفيين السوريين المنحازة الى صفوف جماهير أمتها ، والى جانب الحق والعدالة ، والى جانب المناضلين من أجل عزة الأمة ورقيها ، لتتوجه الى هذه الجماهير ، مناشدة إياها أن تشدد النضال من أجل رفع الحصار الجائر

اللا إنساني عن العراق الصابر المؤمن الذي قاتل وضحى كي لا يكون جوع وعري وجهل وذل في الأمة وفي العالم.

إن التقارير الأممية تتوارد بأن عشرات وعشرات الألوف من الأطفال والنساء والشيوخ مصيرهم الموت الزؤام المسرع بما يشكل إبادة جماعية للجنس على إمتداد هذا الحصار الانتقامي الذي لا يمكن لعقل أو ضمير أن يتصور بأنه صادر عن مجلس الأمن ، أو أية إدارة فيها ذرة من عقل أو قلب أو ضمير أو أخلاق.

وإننا لنهيب بجماهير العالم ، وبهيئة الأمم المتحدة ، وبدول العالم الثالث ، وبحكوماتنا العربية ، وبكل كاتب شريف ، ومناضل في سبيل الحق والعدالة ، أن يرفع صوته غاضباً ومناشداً من أجل رفع هذا الحصار المشؤوم الذي هو صورة مكبرة ملايين المرات عن حصار المشركين للمسلمين في مكة المكرمة ، وإن كان جوهر الحصارين واحداً. وكما ألقى الله الفشل والخيبة على المشركين ، سوف يلقى المعتدون الامبرياليون الصهاينة نفس المصير ، وتعود للعراق رسالته الإنسانية الخالدة. وفي ذلك دفاع عن وجودنا.

ليكن شعارنا جميعاً في وجه أعداء الشعوب : ارفعوا أيديكم عن العراق ، رمز النهوض والكرامة ، لا مكان بين الأمم لقاتلي الأطفال بالقنابل والصواريخ والأوبئة والمجاعة.

رابطة الكتّاب والصحافيين السوريين

٢٩ - ٧ - ١٩٩١

الجمعة ٢ آب

كلُّ نظام يتصدَّى للامبريالية تنهال عليه نعوت الدكتاتورية الدامية من دول أميركا وفرنسا وإنكلترا وهولندا الامبريالية. وقد وعى مثقفون أفارقة هذه الحقيقة فوجهوا ووقعوا: « إعلان اوغادودو » الذي دَانَ العُدْوانَ على العراق باعتباره حربَ شمال ضدَّ جنوب. واستعاد الإعلانُ الحروبَ الاستعماريةَ في العصر الماضي وأثبت بالبراهين ان التبريرات التي كانت تقدمها الدول الأمبريالية هي نفسها التي تقدمها الولايات المتحدة وحلفاؤها في حرب الخليج: حماية القانون الدولي، الحاجة المستعجلة الى وقف التوسع العسكري.

إن إعلان « نظام عالمي جديد » حسبما جاء به بوش ليس إلّا عودةً الى النظام الاستعماري القديم. كما ان « حق التدخل » هو الشعار الذي تَنْعى به الأمبريالية سيادة بلدان العالم الثالث، وتمزق القانون الدولي كي تستبدله بحكم تسلطي من طراز إستعماري. وما من شك في ان النصر الصارخ للبربرية الغربية في الخليج، وكل هذا الضجيج الذي أثارته حول واجب التدخل، إنما ينذر بحروب جديدة مستمرة.

وأبان جان فيليب بيمانس، الأستاذ في المعهد الفلسفي الإسلامي، كيف ان العراق، باعتباره واحدةً من بقايا الدول الوطنية الشعبية الباقية على قيد الوجود، قد غدا هدفاً أولياً للولايات المتحدة وحلفائها، مصممين على إسقاط نظامه. وبهذا فان هذه الحرب هي إشارة، هي إنذار لبلدان الجنوب.

السبت ٣ آب

وجَّهَ حزبنا الوطني الديمقراطي في سورية نداءً حول حقيقة « نعم ولكن..» التي أطلقها شامير بعد تآمر طويل بينه وبين بيكر :

بعد انتظار قلق وترقب أحيط بكل مظاهر الإثارة ، افترت شفتنا اسحاق شامير عن لا ونعم ، وأسرع بوش حتى قبل الاتصال بوزير خارجيته يرحب بالموقف الصهيوني ويهلل له ، بعد أن أضفى عليه بيكر نعوت الإيجابية وغير العادية وأشباهها ، في حين اننا لو نظرنا بعين الحقيقة والواقع معاً ، بعد استجابة سورية ـ ولبنان بـالطبع ـ لكـل طلبات الأميـركيين والصهاينـة ، من تجريـد الفلسطينيين من أسلحتهم الدفاعية في جنوب لبنان ، وسط احتفالات انتصارية على غرار الاحتفالات الأميركية والغربية بالانتصار في حرب الخليج كما يعبّرون ، ووسط استخذاء مخجل أمام قوات لحد العميلة المتحدية للسلطة اللبنانية ولوحدة التراب اللبناني ، ومَنْ ضَرْبِ صَفْحٍ سوري عما يُسَمَّى بقضية الجولان ، ومن عدم التعرض لقضية المياه العربية التي تسرقها ـ وسوف تواصل سرقتها ـ إسرائيل ، ومن موافقة سورية ، بعد سنوات طويلة ذهبت عبثاً في دعاوى محاربة كامب ديفيد ، على شروط جعلت كامب ديفيد يطمع في أن يشع شبه منارة للوطنية ، لتبدَّى لنا بأن هذه الخلاصة العارية ـ كالملك العاري ـ لم تَعْدُ حَمْلَ العرب عموماً والمجاورين لإسرائيل بشكل خاص على الاعتراف ليس فقط بالواقع الحالي أي إسرائيل بما فيها الضفة والقطاع والجولان والجنوب اللبناني ، بل التهيؤ المعنوي والمادي لقبول إسرائيل الكبرى المستقبلية مع توارد مئات ألوف اليهود من شتى أصقاع

العالم ، ومن الاتحاد السوفياتي بالدرجة الأولى.

ومهما كانت مكابرة المكابرين والدهاقنة في الاحتفاء « بنعم » شامير فاننا نضع خطوطاً سوداء تحت « لكن » هذه الكلمة التي يندرج تحت بندها شرط عدم إشتراك الفلسطينيين من أبناء القدس ومن منظمة التحرير ـ الممثل الشرعي والوحيد كما لا نفتأ نردد ، ويردد أو كان يردد جميع الحكام العرب بِمنْ فيهم العديد من حكام العالم الثالث والغرب نفسه ـ في أية مشاورات ، بل ان مَنْ تبقى يعود الى شامير وحده الحق في قبولهم أو عدم قبولهم.

فلماذا إذاً هذه المشاورات التي لا تلزم أحداً في نهاية الأمر حتى وإن حصلت بإرادة شامير. وهل هي إلا لإيجاد شرعية أممية للدولة الاسرائيلية الجديدة في حدودها الحالية ـ بما فيها القطاع والضفة والجولان وجنوب لبنان الذي توقفت عنده حملة وزير الدفاع اللبناني التحريرية ـ مع إشارة مستقبلية الى الرضى بتوسع هذه الدولة في اتجاه لبنان وسورية والأردن ومصر كمرحلة أولى ، تتلوها مراحل تشمل أجزاء من العراق والسعودية.

إن الحزب الوطني الديمقراطي في سورية يلتفت الى العرب ، ولكنه يلتفت قبل ذلك وبعده الى السوريين ، الى بقايا الجمر السوري في الرماد الأسدي ، لكي لا تتم هذه الجريمة الجديدة التي توضحت معالمها بما لا يقبل اللبس بعد تواجد سورية وإسرائيل في خندق واحد ـ كما يحلو لرأس النظام السوري ترديده ـ وذلك في العدوان الغربي الصهيوني على العراق.

لا بد للعالم ، وللعرب ، وللسوريين من أن يسمعوا ، ولا بد لمنظمة التحرير من أن تأخذ بيدها زمام أمرها وأن لا يُقْضَى

شيء من أمر فلسطين إلا بارادتها ومشاركتها الكاملة ومن خلال تمثيلها الذي يعترف به العرب ، ويعترف به العالم ، ويعترف به الفلسطينيون من قبل ومن بعد ، وهذا هو الأهم ، رغم كل محاولات الإنكار والتغييب الصهيونية أو المتصهينة أو المدلجة في ركابهما.

إننا نتوجه الى الشرف والحميـــة والقوميـة في نفس كل عربي ، مواطناً ومسؤولًا ، والى الحق والعدالة في نفس كل إنسان ذي ضمير ومنطق ، كي لا يكونوا لعبة بيد الصهيونية التي تسعى ، باصرار وتخطيط الى تدمير كل القيم التي تعارفت عليها الأديان والمجتمعات في سيرها الحضاري.

إنما يتذكّر أُولو الألباب.

٣-٨-١٩٩١

الحزب الوطني الديمقراطي
في سوريا
رئيس الحزب
الدكتور أحمد سليمان الأحمد

الأحد ٤ آب

رئيس المعارضة البلغارية في الشارع وفي البرلمان كان الدكتور بيتر بيرون. وقد كان خطيب الحفلات والاجتماعات ضد الحزب الشيوعي البلغاري المترهل الفاسد ؛ وتدور الأيام سريعاً وإذا بأحد أقطاب المعارضة نفسها يذيع سراً خطيراً غير منتظر ، فبيتر بيرون لم يكن إلّا مخبراً لدى جهاز المخابرات الشيوعي في بلغاريا وتلفْلَفُ القضية باستقالة الدكتور بيرون من مناصبه العديدة ورحلاته الأكثر عدداً الى الخارج.

أردْتُ ذلك للإشارة الى أي حدٍّ تتغلغل المخابراتُ في الناس

الفاسدين أصلًا. فلا شك عندي في ان بيرون كان عميل وكالة الاستخبارات المركزية ، وعميل الموساد الى جانب عمالته لمخابرات الحزب الشيوعي البلغاري. هذا الفساد الذي تغلغل عميقاً وبعيداً في الأحزاب وفي المعارضات جعل التحرك صعباً على الوطنيين الشرفاء ، لأن أمثال هؤلاء الفاسدين مدعومون من قوى عالمية وداخلية رهيبة ، ولأنهم يقوّضون من الداخل ما تعجز هذه القوى العالمية عن تقويضه من الخارج.

وإذا حوّلْتُ بصري عن غورباتشوف ويلتسين وشيفرنادزة الى أسماء عربيــة وسوريــة ـ على الأخص ـ أدركْتُ مدى أن لا تنجح الثورة أو حتى الإصلاح ، لأن هؤلاء العملاء والخونة يقفزون الى الحكم عند التغيير ، ويقودون المعارضة قبل التغيير.

الثلاثاء ٦ آب

قرأتُ ان المهاجرين العرب في دول القارة الأميركية يبلغون خمسة عشر مليوناً. وهذا العدد يعادل تقريباً عدد اليهود في العالم بمن فيهم مَن يحتلّون فلسطين.

وقرأتُ ان الثورة الكوبية قدّمت مساعداتٍ كبيرة للاتحاد العربي الكوبي من ذلك قيام القيادة الكوبية بتسليم مقر الاتحاد الصهيوني الى الاتحاد العربي. كذلك فعلت إيران بعد انتصار ثورتها بتسليم مقر السفارة الصهيونية الى السفارة الفلسطينية. ولكن إيران بعد ذلك انحازت ، بنفس القادة ، الى صف إسرائيل رغم طنطنتها ببعض الشعارات الببغائية التي لم تعد تعني شيئاً إلا النفاق والتضليل. حفظ الله كوبا من المؤامرات التي تريد أن تجرها الى مواقع إيران.

وقرأْتُ أنَّ « التايم » الأميركية نشرت ان واحداً من كل خمسة مصريين يعمل مع أجهزة المخابرات. فإذا طبقنا هذا التقدير على سورية ـ وهو لا يقلُّ عن مصر بالتأكيد ـ كان لنا قرابة مليونين ونصف في أجهزة التجسس على مواطنيهم وأهلهم وأزواجهم وأبنائهم وبناتهم، ويمارس قسم غير قليل منهم عمليات القمع والتعذيب والقتل. ومع ذلك فلا بُدَّ من أن تنطلق اتهاماتنا من أساس ووثائق ومستمسكات وشهاداتٍ، وإلا ظَلَّ الإتهام إتهاماً ولم نستطع ان نحاكم أحداً على أساسه، لأننا ـ وهذا على درجة كبيرة من الأهمية والمغزى ـ لن نقبل بالاتهامات غير الموثقة إلا على انها اتهامات فقط لا ترقى حدود أي تهمة.

الخميس ٨ آب

لا أدري. هل سينال هذا الاستقلال، من صدق الجماهير وشجاعتها ومبدأيتها. فقد تحدث الكاتب الفرنسي فريديريك دار، الى صحيفة « الفيغارو » الفرنسية حول سنوات الحرب عام ١٩٤١ التي تعرضها تحت عنوان: مضى على ذلك خمسون عاماً. والكاتب المذكور ـ كما تصفه الصحيفة ـ تصبع كتبه بأعدادٍ خيائية. وعندما سأله الصحفيان المكلفان بإعداد هذا الملف عن الماريشال بيتان ـ الذي وقَّع على الهدنة بين فرنسا وألمانيا، وقامت ضدَّه وضد الألمان النازيين المحتلين حركة المقاومة التي قادها الجنرال شارل دوغول من لندن وغيرها، ثم حكمت عليه محكمة فرنسية بالموت، بتهمة الخيانة العظمى، ثم خفض الحكم الى المؤبد، نظراً لمكانة المارشال في تاريخ فرنسا ولكبر سنه أيضاً ـ وعن زيارته لمدينة ليون عام ١٩٤١، وعن ذكريات هذا الكاتب

الفـرنسي الذي كـان صحفياً حينـذاك ورافق الاستقبـال والمستقبلين ، قال : « عندما كان المرشال يظهر في ليون كما في أي مكان آخر ، كانت الأماكن تغصُّ بالجماهير. وكانوا يهتفون له كما سيفعلون بعد ذلك مع دوغول. وعلى نفس الساحة. وبنفس الأشخاص. أو بقسم كبير من هؤلاء الأشخاص كي نكون أكثر دقة.» وقرأتُ لبعض الطلبة الكُرْج (الجيورجيين) قوله ان الرئيس الكرجي الجديد المعادي للشيوعية زار كليتهم ، وكان رئيس الجامعة هو هو ، لم يتغير ، والأساتذةُ الذين كانوا يمجدون الشيوعية والشيوعيين هم الذين يمجدون اليوم الرئيس الحالي ويغمرونه بالثناء. وبالحماسة نفسها.

وعادت بي الذكرى الى انقلاباتنا السورية المتتالية ، من حسني الزعيم الى الحناوي الى الشيشكلي. وأذكر اننا كنا نتندَّرُ بأن نفس الأسماء كانت تتكرر في البرقيات المرسلة الى كلٍّ من هؤلاء العسكريين الانقلابيين.

والمثير للإنتباه ان مثل هذه المشاهد تتكرر في كل زمان ومكان ، فهل يعني هذا أنَّ يد الله ليست مع الجماعة.

الحق ان الكثير من الأمر يعود الى الجهل أو السقوط ضحية التجهيل. كما يجب أن لا نستبعد الروح الانتهازية التي تجري تنميتها في النفس البشرية بالتشويه والتزوير.

وهنا سأنتقل مباشرة الى ما يجرُّه الإعلام المضلِّل على هذه الجماهير ، بما فيها جماهير المثقفين.

ففي حرب الخليج كانت الرقابة ، والرقابة الذاتية التي هي نتيجة القمع والانتهازية معاً ، تعملان عملهما التضليلي الإجرامي في الإعلام الغربي الصهيوني والعميل المتحالف ضد العراق.

فقد أشار الصحفي في إذاعة فرنسا الدولية ، جورج كازلوليا، الى الرقابة الذاتية ، والى التسميم المنظم الذي مارسه صحفيو الإذاعـــة الفرنسيـــة. فقد أعلن ، مثـلًا ، رئيسه المبـاشـر : « إن من الأفضـــل أن تسيطر الـولايات المتحـدة الأميـركيـة على البترول ، بدل أن يسيطر العراق ». وكان من المحظور ذكر عدد المظاهرات ضد الحرب. وعندما شاهد الصحفي « جيل بيرو » ، أجساد ضحايا القصف الأميركي لبغداد ألقى باستخفاف : « أنظر ، انه خبز محروق ». نفس هذا الصحفي كاد ينفجر باكياً عندما عرض التلفزيون مشهد طيَّارٍ أميركي أسره الجيش العراقي.

وليس لكَ أن تتصوَّر صيحات الظفر التي أطلقها الصحفيون عندما أغرق الأسطول البريطاني قوارب مطّاطيّة عراقية ! ورفض هؤلاء الصحفيون التحدُّث عن القمع الوحشي لمحاولة تظاهرة سلمية ضد الحرب في باريس. واعتبر جورج كازلوليا الصحفيين : « ملطخين بدم الشعب العراقي » ، وكان موقفهم أحد العوامل التي جعلت عدوان القوات المتحالفة ضد العراق ممكناً.

ولا أريد ، مع ذلك ، أن أبرىء الجماهير ، وما كان لي أن أفْعَلَ إذا لم تكن بريئة ، ولكني أعلم انها خضعت طويلًا لتزوير الإعلام والأحزاب ، ولقيت خيباتٍ مريرة في سيرها تحت هذا اللواء وذاك العلم ، فَتَلَجْلَجَتْ في الحكم. وإذا ما ظهرت الحقيقة لها ساطعة وأرادت التحرك ، كان القمع العنيف بالمرصاد.

السبت ١٠ آب

توصلوا أخيراً الى قتل شهبور بختيار ـ آخر الوزراء الايرانيين في عهد الشاه ، بل لعلَّ في هذه الصفة ظلماً له لأنه هو الذي

ضغط على الشاه كي يغادر البلاد ، وهو الذي وقف ، بعد ذلك ، في وجه الملالي صارخاً بهم : الملالي الى المساجد !. لقد قام « السافاك » الإيراني الجديد بعدة محاولات لاغتياله في باريس ، كما قام « السافاك » الأسدي في باريس أيضاً بعدة محاولات لاغتيالي ونجح نجاحاً جزئياً ولا أدري متى سينجح وإن كنت لا أمل له مثلَ هذا النجاح ليس خوفاً من ملاقاة سفاحيه ، ولكنْ حرصاً أن لا أمكّنَ هؤلاء القتلةَ من أحرار البلاد وشرفائها ومثقفيها الذين يؤدون دورهم بأمانة إزاء شعبهم ووطنهم.

لقد أكّدَتْ جريدة « الفيغارو » الفرنسية في افتتاحيتها أمس أنه « صحيح ان الواقعية التجارية الشهيرة ، العمياء دوماً قد انتصرت في باريس ». والجريدة تلمح أو تفصح بذلك عن أن « تراخي » الحكومة الفرنسية في أضعف الحالات كان وراء إمكانية اغتيال بختيار. وقالت الصحيفة حرفياً : « إن حرب الخليج التي حوَّلت الدكتاتور السوري حافظ الأسد الى واحد من حلفائنا المتميزين ، قد توصلت أيضاً الى أن تصنع من جماعة طهران محاورين ممكنين ». وخلصت الصحيفة الى أنَّ « باريس قد اقترفت جريمة لا تغتفر وهي جريمة « السذاجة » باطلاقها سراح وحيد كورجي المتهم بتنظيم تفجيرات عام ١٩٨٦ ، وذلك منذ بضع سنوات ، وضمن شروط غير مشرِّفة ، وكذلك العفو الرئاسي ، في العام الماضي ، عن أنيس نقَّاش ـ الرجل الذي حاول اغتيال شهبور بختيار ـ بحجة أن إيران سوف تتغيَّر ».

الذي فات الجريدة غير الساذجة ، أنَّ السذاجة هي أبعد ما تكون عن باريس ، ولكنها خجلت من اتهام حكومتها ـ وإن كانت إشتراكية ـ بالتآمر واللا أخلاقية والاندفاع وراء « المصلحة

التجارية العمياء ». وهي صفاتٌ غير غريبة عن اليمين الذي تدعمه الصحيفة المذكورة.

ولئن كان شهبور بختيار كثيراً ما يردد أمام زوّاره : « لا أريد أن أموت في المنفى » ولم تستجب إرادة الله ـ جلّت حكمته ـ لهذه الرغبة ، فاننا نسأله تعالى أن لا يستردَّ أمانته منّا في المنفى ، وأن يستقرَّ جثماننا في أرض الوطن ، وعلى تلك التلَّة التي تضمُّ رفات الآباء والأحبَّة ، ونشمل البحر والجبل بنظرة واحدة شمَّاء وحالمة معاً.

الاثنين ١٢ آب

الأنظمة الطائفية هي التي تفرِّقُ بين أبناء البلد الواحد. ولقد قرأتُ مقاطع من خطاب وجَّهَهُ بعض شخصيات الشيعة الى الملك فهد بشأن الإصلاح جاء فيه ما ملخصه ، من خلال نقاط عرضوها ، انهم يشكون من مضايقتهم في ممارسة شعائرهمُ الدينية ، وعدم تقديم الدعم والمساندة في بناء المساجد وأماكن العبادة ، كما انه من غير المسموح لهم جلب واقتناء الكتب الدينية والمرجعية الخاصة بهم. أما أبواب العمل فموصدة في وجوههم سواء كان ذلك في الدوائر الرسمية أو بعض الشركات الخاصة ، مثل شركة كهرباء المنطقة الشرقية وشركة آرامكو المَرْصودة بشكل لا يمكن معه التسلل الى أية وظيفة لأي شيعي. ويشكو البيان من العراقيل الموضوعة أمام الطلاب في بعض التخصصات الجامعية ، بما يستدعي صورة نظام التفرقة العنصرية في أفريقيا الجنوبية.

لا أريد بهذه الكلمات أن أنتصر لجانب على جانب ، وإنما أريد بكل الصفاء والنقاء الدينيين والقوميين أن ألفت الأنظار الى عدم الكيل بمكيالين ، أو الوزن بميزانين عندما يتعلق الأمر بالحق. إذ لا يمكن للجريمة أن تكون جريمة هنا ومأثرة هناك. ولا يمكن أن نشجب الوجه الطائفي المغاير لتعاليم الإسلام في إيران ، ثم نهلل للوجه الطائفي المغاير للإسلام في السعودية. فاتقوا الله يا أولي الألباب.

وأريد بهذه المناسبة أن أحذر مرة جديدة من اعتقاد فئة من الفئات الدينية أنها على حق والآخرين على باطل. إنَّ بابَ الإجتهاد مفتوح ، أو على الأقل لا بد لنا من أن نقبل ذلك باسم الحرية والديمقراطية ، وليس لنا أن نمارس شرّ أنواع الأساليب من تكفير ومحاسبة للناس على معتقداتهم ، وإلّا كُنَّا نبــرِّرُ لكل دكتاتوريات العالم فظائعها ومحاكم تفتيشها. ولا يمكن لي أن أرفض وأندد بمحاكم التفتيش الأوروبية ضد العرب والمسلمين ، ثم أسكت عن جرائم محاكم التفتيش باسم الإسلام مثلًا. نزَّهْتُهُ عن ذلك.

ثم إن كتاب الله وسنة الرسول وسيرة كبار تلامذته ، كل ذلك جاء واضحاً في أنَّ الأمر لله ، وليس لأحد أن يحكم بكفر آخر ، أو أن يقيم من نفسه ديَّاناً للناس. وهل نعيد قول الحكيم : إني أختلف معك في الرأي ، ولكني مستعدٌّ أن أُدافع حتى النهاية عن حريتك في إعلان رأيك !.

ثم ان الشيء الذي يبدو لنا الآن وكأنَّ القابلَ به ، ناهيك عن المؤمن ، كافر مخالف لتعاليم الله ، أو منكر لقدرة الله ، سرعان ما يتبدَّى لنا عبارة عن تخلف مخجل في ميدان العلم والحياة. فكم

أفْتى « علماء » السعودية ضد الهاتف والبرق والراديو والتلفزيون بل ضد تعليم المرأة. ثم تكشف خَطَلُ ذلك وسخفه مما يجعل القائلين به عرضة للتندُّر ، ولكنه التندُّرُ المحزن حقاً. بل ان ثمة مَنْ لا يؤمن حتى الآن بكروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس ، بـل لقد قـرأْتُ مؤخـراً أن أربعة وتسعين مليـوناً من الأميركيين لا يعرفون ان الأرض تدور حول الشمس مرةً كل عام ، وإن كان الفرق يظلُّ بعيداً بين مَنْ لا يعرف ذلك وبين مَنْ يكفِّرُ الذين يعرفونه ، إذ لم يكفهم الجهل ، بل نصبوا من أنفسهم حاكمين في الدنيا يملون أحكامهم على الآخرة.

ولقد قرأْتُ حكماً طريفاً تقدمياً للشيخ محمد الغزالي حول النسوة اللائي قُدْنَ سيَّاراتهن في شوارع الرياض ثم جرى نعتهن بـالفاسقـات وغير ذلـك من النعـوت التي تعـرُضُ قـاذفيهـا الى المحاكمة فالسجن. قال الشيخ الغزالي مستنبطاً ـ وأعجبني استنباطه ـ : « إنَّ السيارة وسيلة نقل مستحدثة ، حلَّتْ محلَّ الخيل والحمير والبغال والفيلة والجمال التي كانت تستخدم قديماً. ومبلغ علمي أنَّ هذه الوسائل كانت مباحةً للجنسين معاً ، وانه لم يُؤْثَر في تعاليم الإسلام نصٌّ يمنع النسوة من ركوب الدواب أو قيادتها ، فما الذي أوحى بمنع النسوة من قيادة السيارات ». وذكَّر الشيخ الغزالي بالآية الكريمة : [ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكَذِبَ هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذبَ ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون]. صدق الله العظيم.

لستُ في مجال التأريخ ، ولكن في مجال التحذير من الإنجراف وراء آراء ونظرات مسيئة لنا كأبناء وطن واحد ،

وسائرة بنا الى الجمود والتخلف والتمزق ، كل ذلك يسعى الى إغراقنا فيه أعداء الوطن والدين ، فهل نسهلُ لهم مهمتهم ونكون أمضى أسلحتها.

لقد قرأْتُ لمَنْ يكفِّر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وسيد قطب وحسن البنَّا وشيوخ الأزهر المتتالين. فهل هذا من العلم أو الإيمان في شيء. لقد أعطوا وقدَّموا واجتهدوا وأفادوا بما استطاعوا ، وعلى الله وحده حسابهم ، أما نحن فنأخذ ما نرى أنه ينفعنا في ديننا ودنيانا ، ونطرح ما لا يبدو لنا كذلك. ولا يعني هذا أننا وحدنا المصيبون ، كما لا يعني أنَّ مَنْ أخذنا عنهم هم المصيبون ، وإنما هي درجاتٌ في العلم ، ومراتب ، ونحن نصلُ اليها أو نتجاوزها أو يُخيَّلُ لنا أننا فعلنا ، دون حاجة من أحد لإرسالنا الى الجنة أو الجحيم.

إن التكفير لا يجرُّ إلا التكفير. والعنف لا يولِّد إلا العنف. وإلا فمن أعطاك الحق في أن تكفِّرني باسْم الله الذي أعبد وقد تكون أنت تعبد ، ولم يعطني مثل هذا الحق في تكفيرك. ثم ألا يحق لي أن أتساءل : هل الذي أباح لك هَدْر دمي لم يبح لي هدر دمك.

قليلًا من الوعي والإيمان أيها الإخوة !

لقد قال أبو حنيفة بعقليته القياسية المتميزة في عصره : « أما الصحابة فرأْيُهُمْ على العين والرأس ، وأما من بعدهم فهم ناس ونحن ناس. وإذا بلغ الفقه إليهم نازعناهم الرأي ». وأعتقد أنَّ هذه العقلية القياسية لم يردها أبو حنيفة ـ على جلالة قدره ـ وقفاً عليه أو احتكاراً له ؛ وإنما هي من حقِّ كل عالم وكل ذي رأي.

والحوار والإقناع وسيلة للتوصل الى نتيجة قد تكون بدورها

عرضة لنقاشات تغنيها وترينا منها جوانب لم تكن واضحة لنا بكل سَعَتها وجَدْوَاها ولقد حضَّنا القرآن الكريم على استخدام عقولنا في نحو خمسين آية ، وحثَّنا على التفكّر والتفكير في ثماني عشرة آية ، كما أجد ذلك مسجَّلًا بين أوراقي ، وأنَّ المهم هو تحقيق مبادىء الدين العامة :في الحرية والشورى والتآخي والسلام والمودة. أما الحساب فهو لله ، لم يهبه حتى لأنبيائه المصطفين ، فلنخفِّفْ من غُلَـوائنـا. وَلْنَكِفَّ عن هـذا التكفيـر ينصبُّ على كل مَنْ لا يرى رأينا في كل مـا نقدّمُـه. هذه هي أعتى الدكتاتوريات.

وفي الواقع لسنا وحدنا ، نحن المسلمين ، فريسة هذا التعصب ، وإن كان من المفروض أن نكون آخر مَنْ يحمله لواءً وسلاماً ، لأن كتاب الله يُعَلِّمُنا : [انك لا تهدي مَنْ أحببتَ ولكنَّ الله يهدي مَنْ يشاء]. وفي تراثنا الديني : [ما لكم وللناس. كُفُّوا عن الناس. فوالله لو أنَّ أَهْلَ السماواتِ وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يَهْدوا عبداً أراد الله ضلالته ما استطاعوا أن يَهْدوه. ولو أنَّ أهل السماواتِ وأهل الأرضِ اجتمعوا على أن يضلُّوا عبداً يريد الله هدايته ما استطاعوا أن يُضِلُّوه]. وعن رسول الله : [مَنْ تَعَصَّبَ أَو تُعُصِّبَ له فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه] وقال [مَنْ كان في قلبه حبة خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية]. وقال الإمام علي زين العابدين : [العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجلُ شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين. وليس من العصبيةِ أن يحب الرجل قومه. ولكن من العصبيةِ أن يعينهم على الظلم].

قلتُ : لسنا وحدنا ، نحن المسلمين ، فرسان التعصب

فقد حصل في فرنسا مؤخراً ، أثناء إقامتي بباريس ، أنْ أَحْرَقَ مجرمٌ دارَ عَرْضٍ قدَّمت فلم « تجربة المسيح الأخيرة » ، ولم أشهد الفلم ، ولكن لعلَّهُ كان يصوِّر المسيح كإنسانٍ له أحياناً رغباته البشرية المشروعة. هذا هو الوجه الظلامي أما الوجه المشرق فقد كان غضب الفرنسيين الكاثوليك بنسبة ثمانين بالمئة إزاء هذا الفعل الإجرامي البربري ، فشجبوا روحية محاكم التفتيش التي أخذت تطلُّ في عالم الحضارة ، وندَّدوا بالإرادة الشريرة التي تحرق الكتب وتدمِّرُ العطاء الحر. وشجَبَ عملية الحريق كاردينال فرنسا ـ وهو بمثابة مفتي الجمهورية لدينا ـ كما شجبته الأحزاب جميعاً. فهل نحن مستعدون أن نشجب القميء القبيح المسيء الى الإسلام في تاريخنا. إن عشرات الألوف الذين ذهبوا ضحية المواقف والفتاوى الخاطئة تَظَلُّ لطخة عارٍ في جبين هذا الدين العظيم السمح الخالد الذي لن يبرح يجذب إليه المؤمنين الى آخر الدهر. هؤلاء الذين ذهبوا طُعْمَةَ الحديد والنار مضوا الى ربهم وهو يتولاهم. ولكنْ بقي لنا هذا التاريخ الأسود الذي يسيء إلينا كما تسيء محاكم التفتيش. بل زاد على محاكم التفتيش انه كان موجَّهاً الى أبناء دينه في حين أنَّ هذه المحاكم الهمجية كانت موجهة الى أبناء دين زعموا بأنه العدو الإلهي.

الجمعة ١٦ آب

فضيحةُ أخرى لها علاقة بأتباع الدين المسيحي هذه المرة. والمؤسف أن أبطال هذه الفضيحة سوريون. البطل الأول مليونير يعيش كما تقول جريدة « الفيغارو » في قصر ، في الحي السادس عشر الباريسي المشهور بأرستقراطيته وأثريائه الجدد ، أثرياء

الحرب وأثرياء التجارة الحلال والحرام معاً. وليس قصدي توجيه أي اتهام الى أحد ، وإنما هو عَرْضُ حقيقةٍ لستُ الوحيد الذي توصَّل الى كنهها بل ربما كنتُ من أقلِّ الناس اهتماماً بهذه الساحة وفرسانها معاً. هذاالمليونير السوري وظَّفَ الكثير من ماله للدعوة في الصحف والمجلات لمعجزة السيدة مريم العذراء التي تجلَّتْ على شكل زيت يسيل من يدي السوري الآخرَ المدعو بسَّام عسَّاف ، كُلَّما صلَّى للعذراء ، وأنَّ السيدة تحميه. وفي الواقع ، كانت حمايةً مربحة ، إذ حصل بسَّام ـ بواسطة هذه القطرات من الزيت ـ على عدة ملايين من الفرنكات الفرنسية. ولكنَّ الحماية لم تستمر أكثر من عامين ، وجد بسَّام عسَّاف نفسه بعد ذلك في السجن هو وأخوه جوهر ، مُتهمْين بالنصْب والاحتيال.

كان بسَّام قد أكَّد لمعلمه ميشيل مرهج ـ كما تقول الصحيفة ـ أنَّ العذراء تجلَّتْ له مئة وسبعاً وتسعين مرة منذ آب ١٩٨٨ (تأمل كم هو دقيق في تعداد المرات لا يزيد فيها ولا ينقص) وأنها ألقت إليه مئةً وإحدى وثلاثين رسالة فَسَّرَها على هواه من أجل اقتناص مبالغ من المال ، وقِطَعٍ من الأرض ، وبنايات. وكان معلمه الثري ينفِّذُ طلباته ، الى أن افتضح الأمر في بداية الأسبوع عندما باح بسَّام بحيلته البسيطة ، معترفاً بأنه كان يستخدم قطنةً مغموسة بالزيت مخبأة في كيس صغير من البلاستيك كي يجعل الناس .يتصورون ان الزيت يسيل من أصابعه.

ولقد كنتُ في باريس عندما أعلن المواطن السوري الثري ، ميشيل مرهج ، عن المعجزة ، وفَتَحَ أبوابَ قصره للزوّار والصحفيين الذين كان يستقبلهم في الطابق الأول من قصره. وكان الناس

يجدون أنفسهم أمام حَدَثٍ لا يجدون له تفسيراً. وكان« المحتال » يؤكد لسيده أن العذراء تحدثت إليه باللغة العربية ، وبصوت عذب هادىء ، وطمأنته الى ان سيِّدَهُ في حمايتها. وأسرع المطران جبرائيل صليبي ـ دوماً حسب الصحيفة ـ الى الاعلان بأنهمقتنع أن في الأمر « معجزة ».

ولمّا كان ميشيل مرهج مؤمناً متحمساً فقد أعلن بدوره أن هذه المعجزة شكل من أشكال الدعوة الى ان يعيش ما تبقى له من العمر دون اقتراف أية خطيئة.

ولكنَّ هذه المعجزة لم تتحقق بحضور الساحر الشهير جيرار ماجاكس الذي جاء بصحبة طبيبين متخصصين وكاتب بالعدل. وقد مال جيرار ماجـاكس الى اعتبار الأمـر حيلةً مـاهرة. بيد أن ظهورات العذراء توالت حتى اقتنع ميشيل مرهج بأن يغدق مبالغ ضخمة على مستخدمه بسَّام ، كما أقطعه أراضِيَ وبناياتٍ ، تنفيذاً لتعليمات العذراء.

وبعد عامين ، يوماً بعد يوم ، منذ « الظهور » الأول ، افتضحت اللعبة ، واعترف بسَّام عسَّاف بالحيلة. وأمضى الاخوان عسَّاف الليلة الأولى من سجنهما عشية عيد الصعود الديني.

اهتممْتُ بتسجيل هذا الخبر ، حسبما قرأْته في صحيفة « الفيغارو » لأني عشْتُ هذه الفترة في باريس ، وكنتُ أسمَعُ عن هذه المعجزة وأرثي لميشيل مرهج وَمُرَوِّجيها معه ، وأتألم لهذا التخلف في العقلية الغيبية التي لن تتوب الى رشدهـــا مهما حاولنا ، ومهما جادلنا ، ومهما استشهدنا بأقوال الرُسُل والأنبياء وتعاليم الأرض والسماء. ذلك لأن في الدنيا دوماً متعصبين يعميهم التعصب عن الرؤية الصحيحة ، كما أن هناك

أغبياء ومحتالين ومنتفعين بالتعصب والغباء والجهل. وأذكر أن لي صديقاً حموياً مسلماً ـ وقد قلت انه حموي لأن ميشيل مرهج هو الآخر من مدينة حماة ، وربما ـ على أساس المواطنة الحموية ـ استجاب لدعوة مرهج ، ورأى صديقنا الحموي المسلم المتفتح كيف سال الزيت ، ورواه لي. وابتسمْتُ. وربما ذكَّرْتُهُ بأن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان ولا تنشقَّانِ لأحد من عبيده.

لقد ظهرت العذراء ، وظهر غيرها من الرموز المعتقدية ، واستفاد أُناس كثيرون ، وركب غيرهم هذه الموجة لغاياتٍ هم يدركون قبل غيرهم خطأها أو تدجيلها. ومن عجب أن تكون رسالة « العذراء » في تجلياتها المتعدِّدة تُرَكِّزُ على بذل المال والعقارات لوسيطها ، ولا ينتبه الرأسمالي المحنَّك الى هـذه العملية الإبتزازية. إن رسالة العذراء حتى إذا صَدَّقْنا جَدَلًا بأنها حصلت ، ما كان لنا أن نصدِّق بأنها تتجمد عند بسَّام عسَّاف وضرورة منحه الملايين ، بل كنا نؤثر لو انها جاءَتْ منذرة ومبشِّرة في مجالاتٍ أكثر سعة وأكثر جدوى ـ فيستفيد العالم من هذه « المعجزة » ، لا أن يقتصر الأمر على محتال وغبي. إني لأرثي لهذا الأخير ، ليس لفقدانه عدة ملايين قد يستعيدها ، بل لأنه كان الأحرى به لو تبرَّع بها لأطفال حماة ، ومشرَّديها ، مجنِّباً بلده هجرة أدمغة ، وهجرة عفاف. أليس غريباً أن يعمد إنسانٌ يزعم بأنه مؤمن ، الى إقطاع فرد عدة ملايين وبنايات وما شابه ذلك ، ولا يعمد ـ بدافع من هذا الإيمان ـ الى توزيع قسم من ثروته الطائلة على فقراء مدينته ، كي لا نقول بلده أو وطنه الكبير. فإذا كانت المعجزة صحيحةً فاز في الدارين ، وإذا لم تكن كذلك ، فاز برضى الأهل والوطن. بل أعتقد أنا شخصياً ـ دون انتظار أية معاجز ـ أن مثل هذا العمل ،

لو حصل ، لكان محرّراً لفاعل الخير من أوزار الخطيئة.

ليُتابِع مواطني السوري تَمَسُّكَهُ بعدم ارتكاب الخطايا ، وإن كنتُ لا أدري ما هو مفهوم الخطايا لديه. ولنأخذ بالمعنى الذي نظر إليه السيد المسيح ، ونظرت إليه الديانات السماوية في جوهرها السامي. ولكنْ ، عندما يفوز باسترجاع هذه الملايين والأراضي ـ بعد ملاحقات في المحاكم ما كان أغناه عنها ـ فاني أعده بمحبة من شعبه تجنِّبُهُ كلَّ سخرية أو تشفٍّ وتَغسِل خطاياه الدنيوية ، إذا ما تبرَّع لمشرَّدي حماة وفقرائها ومنكوبيهـــا بكل ما سرقة المحتال الذي لا يستحق إلا الاشمئزاز لركوب الدين مطية للاحتيال. ولكن للأسف ليس الأول ولن يكون الأخير.

الثلاثاء ٢٧ آب

الإرهاب السياسي قديم قِدَمَ التسلط. وكذلك التصفيات الجسدية ، والاضطهاد الديني والمذهبي ، والصراعات القائمة على السلطة. وقد أحرق الخليفة المتوكل وزيراً شَتَمَهُ ، حياً في موقد مجهَّزٍ بدبابيس من حديد. وجاء على لسان أبي حيَّان التوحيدي وصف لحاشية أحد الوزراء : « سباع ضارية وكلاب عاوية ، وعقارب لسّاعة ، وأفاعٍ نَهَاشة ».

كلُّ ذلك ما حالت عليه الأيام بل هو حيٌّ قائم ، نكافح من أجل أن لا يستمر. ولقد انتقد التوحيدي مواقف الحاشية أو الجمهور من الحاكم ، وعدم مجابهته بصدق وقوة ، إذ عَلَّلَ مَسْلكاً شاذاً لا أخلاقياً للصاحب بن عباد بهذه الكلمات : « ان ابن عباد لم يُجْبَهْ قطُّ بتخطئة ، ولا قيل له أخطأت ، أو قصَّرْت ، لأنه نشأ على أن يقال له أصاب مولانا وصدق سيدنا ، ولله درُّه ».

وقرأتُ كلمةً لي في أوراق قديمةٍ تعود الى عشر سنوات : « لا بُدَّ من القول ، أولًا وأخيراً ، أن الإنسان هو محور التغيير ، ولا يمكن لعالم أن يتغير إلا بإنسان جديد. والشيء الذي يدعو للقلق هو أن الإنسان في البلد الاشتراكي الذي يفترض فيه أنه يدعو الى التغيير ، إنما يتخذ مثلًا أعلى له في إنسان العالم الرأسمالي المفروض أنه حصل عليه الإنقلاب. فإذا ظلَّ الإنسانُ في العالم الرأسمالي هو المثل ، فهل يمكن أن نبني عالماً مغايراً أو متغيراً مهما أسرفنا في ذكر كلماتِ التغيير ومهما أعددنا لذلك من نظريات ».

وبعد عشر سنوات سقط المعسكر الاشتراكي.

الأربعاء ٢٨ آب

إننا ضد « أدب الطاعة ». ضد الفلسفة التي خوَّلت حكم الشعب بقوة السيف. لقد كنا نريد لحكامنا العرب أن يعزَّ العَرَبُ في عهدهم كما عزُّوا في عهد معاوية بن أبي سفيان ، ولم نكن نُريدُ لَهُمْ أنْ يقلِّدوه في خطبته بالمدينة في عام المجاعة : « أما بعد ، فاني والله ما وَليتُها بمحبَّةٍ عَلِمْتُها منكم ، ولا مَسَرَّةٍ بولايتي ، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدةً ».

إنَّ الطاعة التي أرادها كبار المسلمين هي الطاعة في الله. وقد اشتهر قول الخليفة الأول أبي بكر الصديق : « أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم فإذا عصيتُ فلا طاعة لي عليكم ».

حتى إذا خالفنا هذا المفهوم ، ما كان لنا إلا أن نستمع مُحَوْقِلين الى وصية معاوية لابنه يزيد : « يا بُنَيَ ، إني كفيتُّكَ الشَدَّ والترحال ، ووطَّأْتُ لك الأمور ، وذلَّلْتُ لكَ الأعداء ، وأخضَعْتُ

لكَ رِقابَ العباد ، وجمعْتُ لكَ ما لم يَجْمَعْهُ أحد ».

وهكذا استطاع زياد بن أبيه أن يخاطب الناس في بَتْرائه : « أيها الناس ، إنّا أصبحنا لكم سادة ، وعنكم ذادة » « فلنا عليكم السمع والطاعةُ فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل والإنصافُ ، فيما ولينا ».

قول متناقض. فأين العدل عندما تكون الطاعة هي المفروضة.

ويجمـــع مـــا بين النقيضين جَهْلُـــهُ
وهـــذا مُحالٌ في العقـولِ الصحيحةِ

رحمك الله أيها الأمير الشاعر ، حسن بن مكزون السنجاري.

الاثنين ٢ أيلول

الكويتيون الذين يطلقون على أولادهم اسم جورج بوش وشوارزكوف وبيكر ، ماذا سيكون موقفهم من أبنائهم عندما يكبر هؤلاء ويدركون المسبَّةَ التي ألحقها بهم هؤلاء الآباء ، وهل سيغفرون ، وهل سيتمسكون بهذه الأسماء أم سيفرون منها فرارهم من الطاعون.

الأحد ٨ أيلول

اليوم فقط عرفتُ أن لبوش « رفعت أسد » آخر ، لم ينفرد به رئيس النظام السوري. أجل ، كما لحافظ الأسد « رفعته » الذي يسيطر على امبراطورية من الاتجار بالمحرَّمات ، فكذلك لبوش أخ أكبر ـ هذه المرة وليس أصغر كما في حال نظيره السوري ـ اسمه بريسكوت بوش ، يعمل مستشاراً لدى إحدى كبريات المافيا

اليابانية التي تستخدم ثمانية آلاف ومئتي مجرم. ويأتي مالُ هذه المافيا التي تعمل حسب إشارة « رفعت بوش » من تجارة المخدرات ، والبغاء. (كما جاء في العدد ١٣٩٨ من مجلة نوفيل اويسرفاتور الفرنسية من ٢٢ الى ٢٨ آب ١٩٩١).

ولربما كان في العودة الى أعداد قديمة فائدة أخرى ، إذ ترينا مدى خطأ المحللين والخبــراء والمستشارين في القضــايا السياسية. وانه لموضوع أطروحة طريف أن يأخذ أحد الطلاب مجلات بلدٍ ما ، مثل فرنسا ـ ولولا معرفتي انه لا محللون ولا خبراء ولا مستشارون في بلدي سورية لكنتُ قدَّمتُها نموذجاً ـ ثم يتابع أخطاء هؤلاء كلما عرضت قضية عالمية وأحياناً محلية ، ويحلل بدوره الأسباب. ولو أني كنتُ ما أزال أمارس التدريس الجامعي لوجهت أحد طلابي الى هذا الموضوع ، ولوجدْتُ لذة وعبرة في الإشراف عليه.

الاثنين ٩ أيلول

يبدو لمن يتتبع ما يكتبه الكثير من أعضاء الأكاديمية الفرنسية أنهم وصلوا الى هذه المرتبة بفضل النفوذ الصهيوني ، فتراهم يملأون صفحات المجلات والكتب بالحديث عن اليهود ، وعن عبقريتهم ، وعن نضالهم ضد النازية ، وعن الديانة اليهودية ـ المسيحية في حين انه لا توجد ديانة هكذا ، فاليهود لم يعترفوا بالمسيح ـ فكيف بديانته ، بل صلبوه ؛ بينما تنصبُّ النقمة على المسلمين ودينهم الذي أكَّد [إنما المسيح بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه] وقد أيَّده سبحانه وتعالى [بروح القدس ، تُكَلِّمُ الناسَ في المَهْدِ وكَهْلًا ، وإذ عَلَّمْتُكَ الكتابَ

والحكمةَ والتوارةَ والإنجيلَ ، وإذ تخلق من الطينِ كهيئةِ الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني ، وتبرىء الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني] كما ان الحضارة الغربية أتت عن طريق المسلمين. فكيف كان الأمر سيغدو لو أنَّ المسلمين هم الذين صلبوا السيد المسيح بعد تعذيبه وتكذيبه.

أجل ، لقد غدا إسرافُ أعضاء الأكاديمية الفرنسية بالخَوْضِ في هذه المواضع شيئاً يثير الإنتباه والإرتياب معاً. ومن هؤلاء جان دورميسون ، وجان غيتون ، ولويس جيلي. وهذا غيض من فيض لا يدُلُّ على خير.

الخميس ١٢ أيلول

توالي أميركا اكتشافاتها لتورط « المصارف العربية » وأصحاب المليارات العرب في فضائح مالية. وتسارع الى مصادرة أموالهم وفرض غرامات عليهم ، ضمن حملة تجريد العرب من جميع الأموال التي جمعوها من بيع النفط ومن الاتجار بالمخدرات والأسلحة ، لتقدّمها جزية مفروضة من إسرائيل على الثروة العربية ، حلالًا وحراماً ، كي تقيم المستعمرات التي ستطارد الوطن الفلسطيني بمن فيه الى خارج حدود التاريخ والجغرافيا معاً.

الخميس ٢٦ أيلول

فضحكتُ ولـــجَّ بي الضِحْـــكُ
حتى استلقيْتُ على ظَهْـــري

هذا البيت البسيط الذي حفظناه لايليا أبي ماضي ونحنُ على مقاعد الدراسة المتوسطة ، عاد الى شفتي وأنا أكاد أستلقي

من الضحك بينما أقرأ افتتاحية « الفيغارو » لهذا اليوم بقلم مَنْ لا يهمني أن أذكره ، وإن كانت إدارةُ الجريدة تعتقده هاماً إذ أخلت له الصَدْرَ. لقد استغل هذا الكاتب « الافتتاحي » تهديد بوش للعراق « محتفظاً بكل الخيارات » لكي يسخر من هذا الرئيس الجبّار الذي يكتفي فقط بالكلام أو بمهاتفة فرنسوا ميتران ، رئيس فرنسا ، مشتكياً بأنَّ « صدَّام يلعب بالنار » ، وانه « لا يزن عواقب أعماله » ، ولكي ينشقَّ هذا « الافتتاحي » ـ مرة ثانية ـ بالصراخ : « الى متى سيظلُّ جورج بوش يكتفي بالتلاعب بالكلمات بدل الإقدام على الفعل ؟! ».

وهكذا أصبح هذا الكاتب الفرنسي الرئيسي في جريدة فرنسية رئيسية يلجأ الى القوة الأميركية كي تؤدي ، هكذا بسهولة ـ ما يحلو للفرنسيين وما يروق ، الأمر الذي ذكرني بتلك القرعاء التي كانت تتباهى وتفاخر بجدائل جارتها الذهبية المتماوجة على كتفها ، كما في أمثالنا الشعبية.

مسك الختام

وجدْتُ في شهادة وزير العدل الأميركي الأسبق ، رمزي كلارك ، أمام اللجنة الدولية للتحقيق في جرائم الحرب الأميـركية في الخليج ، ثم في حديثه الصحفي الذي أدلى به الى صحيفة « سوليدير » البلجيكية ، ما يعبِّرُ عن حقيقة ومشاعر ـ لم تغب عنا لحظةً في هذه الحرب ـ ويجب أن لا تغيب عن أي إنسان واعٍ منطقي شريف. ولنترك هذا الأميركي الذي اجتاز ثلاثة آلاف كيلومتر ، إبَّان الحرب ، في العراق الذي ينوء تحت آلاف القنابل وأطنان المتفجرات ، يُحَدِّثُنا أو يتحدث بلساننا ، ـ وليس لي

إلا فضل تعريبه ـ

[إنَّ السؤال الأساسي هو : في أي عالم سوف نحيا مستقبلًا ؟ لقد بقي في ذاكرتنا ، من هجوم أثينا على ميلوس ، أثناء حرب البيلوبونيز ، أنَّ عدداً من المؤرخين اعتبروا هذا الهجوم سبب انهيار وسقوط أثينا. وعندما فشلت المفاوضات ، خلال حوارٍ مزعوم ، قال الأثينيون لمحاوريهم : إنكم لا تفهمون أنكم تعيشون في عالم حيث الأقوياء يفعلون ما يشاؤون ، وحيث ليس أمام الضعفاء إلا العذاب الذي يستحقون.

[إنَّ على فكرة السلام والحرب أن تجعل من هذا العالم الذي يفعل فيه الأقوياء ما يشاؤون ، وما على الضعفاء إلا الخضوع ، عالماً يجد فيه الجميع حقوقاً ، حقوقاً يجب أن تحترم ، دون إستثناء ، من قبل جميع الحكومات. وبشكل خاص من الحكومات الأقوى ، لأنها تمتلك القدرة الأكثر تهديداً وخطراً.

[نريد إنشاء قوانين جديدة تحول دون التدمير المتعمد لِلْبُنَى الأساسية لحياة الناس. ذلك لأننا إن كنا شاهدنا شيئاً ما جديداً بمأساويته فهو هذه الإمكانات التي تمتلكها الحرب التكنولوجية وطاقتها على العمل ، بأمان ، وعلى مسافات بعيدة ، لتدمير أُسس الحياة المدنيَّة نفسها بتدمير شبكات المياه ، وانتاج الطاقة ، وتدمير المواصلات الذي يخلق الفوضى. وتدمير شبكات البث فلا أحد يعلم ماذا يجري في مدينته علاوةً عمَّا يجري في البلاد أو في العالم. وتدمير المنازل ، والمحطات والحافلات والسيارات. وتدمير الأغذية ، ووسائل انتاجها ، ونقلها ، وتخزينها. وتدمير الأسواق التجارية الكبرى كما شاهدنا في العراق.

[كل هذا بالطبع يؤلف جرائم حرب ، في نظر القوانين

القائمة. ولكنَّ تأويلها يخضع لمهارة المفسرين. إن على شعوب العالم أن تفهم، بلغة بسيطة واضحة، أن مثل هذا النوع من التدمير غير مقبول.

[المهم أن نتمكن من تحديد على مَنْ تقع مسؤوليات الحرب. فإذا لم يكن باستطاعتنا أن نقرر ذلك ضد حكومةٍ ما، فلن يكون هناك أمل في السلام. إن جرائم السلام هي الأشدُّ هولًا. فمنذ ١٩٨٨ كما ينصُّ الإتهام، اندفعت الولايات المتحدة في « طريق الفعل »، وهذا، في اللغة القانونية، يرسم نطاقاً واسعاً للوقائع التي كان من نتائجها جرُّ العراق، في استفزازات تبرر التدخل العسكري للولايات المتحدة الأميركية ضد العراق، والسيطرة العسكرية المستديمة للولايات المتحدة على منطقة الخليج.

[سيكون من الصعب تأكيد الإتهام الأول. إذ ان الحكومة الأميركية سترفض دوماً صحته لأن الاعتراف يقتضي، قبل الثاني من آب بوقت طويل، أن ثمة خطة وضعت موضع التنفيذ لخلق الظروف التي تتيح تدمير قوة العراق العسكرية وبنيته الاقتصادية. ولكن لديَّ على الأقل، وعلى الفور، عشرين إثباتاً منها بوجه الخصوص حديث السفيرة الأميركية أبريل غلاسبي مع صدَّام حسين. كما ان ثمة إثباتات أخرى تعود الى ١٩٨٨ فقد أدلى الجنرال شوارزكوف ووليم وييستر، رئيس وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية حينذاك، أمامَ اللجنة المسؤولة عن الجيش الأميركي بمجلس الشيوخ، بتأكيدهما على أن حضور الاتحاد السوفياتي في الشرق الأوسط قد انخفض كثيراً، وان الاتحاد السوفياتي سوف ينسحب من أفغانستان وأن قدرته على القيام بعمليات عسكرية في المنطقة أصبحت صفراً، الأمر الذي يتيح

للولايات المتحدة الأميركية ، أن تطور ستراتيجية جديدة تماماً في الخليج. وقال الجنرال شوارزكوف ان هذه الستراتيجية تقتضي قدرة الولايات المتحدة على إرسال حملة أميركية الى المنطقة في حالة نزاع بين بلدين صغيرين. وحسب الوقائع ، يبدو لي بوضوح أنه كان يتحدث عن العراق والكويت. وأضاف بأن هذه الستراتيجية الجديدة جوهرية إذا ما أرادت الولايات المتحدة أن تؤمن لها منفذاً الى المنابع النفطية في المنطقة. أما وليم ويبستر الذي لا يلعب فقط لعبة المبارزة ، بل يذهب الى المكتبات وغيرها ليبحث عن معلومات اقتصادية ، والذي لا يقتل بالخنجر وحده بل بالكلمة أيضاً ، فقد أعلن ان عام ١٩٨٨ سيكون عام انخفاض الانتاج البترولي الى حده الأدنى في الولايات المتحدة ، وانه لا بد ، لذلك ، من الإستعانة بمصادر التموين في الخارج. ولكنَّ هذا ليس إلا بداية. ففي عام ألْفَيْن ستقفز حاجات الولايات المتحدة من البترول الأجنبي من عشرة الى خمسة وعشرين بالمئة ؛ وأعلن أن حليفينا الأساسيين : اليابان وألمانيا تحت رحمة بترول الخليج بمقدار أربعين بالمئة من احتياجاتهما ، وان من الضروري والأساسي ، فيما يتعلق بالولايات المتحدة أن تحافظ على وجودها في المنطقة ووضع الانتاج البترولي تحت سيطرتها. هذا التصريح جرى أمام لجنة القوات المسلحة ، التي كان عليها أن تعطي الضوء الأخضر لتوظيف الوسائل الكفيلة بتحقيق الستراتيجية العسكرية للولايات المتحدة في الخليج. وفي تموز ١٩٩١ قام البنتاغون بتجربة حرب معلوماتية ، تحرّك مئة ألف جندي وذلك قبل الاجتياح العراقي للكويت.

بوش رفض كل مفاوضة

[فيما يتعلق بالفترة الذاهبة من ٢ آب الى ١٧ كانون الثاني ، عندما بدأت الحرب الجوية ، يقول الإتهام ان الرئيس بوش أبعد كل إرادة لمعاكسة خطته في الهجوم العسكري والاقتصادي على العراق. أرسل بوش ، مثلًا ، في الرابع من آب ، وزير الدفاع شيني ، والجنرالين باول وشوارزكوف ليقولوا للملك فهد بأن العراق سيجتاح أراضيه ، في حين ان العراق كان يؤكد العكس تماماً. وفي الثالث من آب كان بوش قد أكَّدَ لسفير السعودية في واشنطن : « سنقف الى جانبكم حتى النهاية ». وفي الخامس من آب أطلع شوارزكوف الملك فهد ، في الرياض ، على خطة اجتياح السعودية ، هذا الاجتياح الذي كان سيحدث ، حسب زعمه ، خلال الساعات الثماني والأربعين... ولكنه لم يحدث مطلقاً. وليس ثمة أيُّ دليل على أنه كان مخططاً له. الذي حصل في الواقع هو ان العراق ، وقد اجتاح الكويت ، استقرَّ هناك ، بينما كانت تحتشد هذه القوة المسلحة الهادفة الى تدمير العراق.

[لقد سمعتم اولغا ميخيا تتحدث عن البانامـا. وعلينا أن نتذكر ان الولايات المتحدة اجتاحت باناما قبل ثمانية أشهر من اجتياح العراق للكويت. وكان اجتياحُها خَرْقاً لكل القوانين الدولية. وأحدثت الولايات المتحدة من الضحايا في باناما أكثر ممّا أحدثه العراق في الكويت. وفي باناما استخدمنا قاذفة قنابل « ستيلث » لأسر رئيس دولة ونقله الى الولايات المتحدة . لكأننا في ظل الامبراطورية الرومانية. وقدَّرت « أمنستي » الدولية عدد ضحايا البانامیين بألف شخص ،وقدَّرهم غيرها بأربعة آلاف. وباناما هذه بلد صغير فقير ، يبلغ عدد سكانه مليوني شخص ،

وفي عنقه أغلال العبودية التي يقال لها : قناة باناما. وقد رأينا طوال خمسة أيام كيف كانوا يقصفون مدن باناما ومراكز الشرطة. فكيف يمكن إخفاء ذلك ؟

[لقد استخدمت الولايات المتحدة وسائل تكنولوجية عالية المستوى لتدمير البنية الضرورية لحياة سكان العراق المدنيين. ولم يعد ثمة من مياه في كل البلاد. وفي الرابع من شباط (فبراير) عندما قابلت وزير الصحة ، أثناء القصف ، قال لي ان الحاجة الأكثر إلحاحاً هي الى الماء وان ثلاثة آلاف شخص قد ماتوا لأنهم شربوا من مياه ملوَّثة. إنه لفظيع أن يشكو المرء من الإسهالات والتقيؤات والنَشَفان ثم يكون السائل الوحيد الذي يمكن شربه يزيد المرضى مَرَضاً. لقد دمَّرنا البنية الصحية في المدن الكبرى كافة ، وفي عموم البلاد. ودمَّرنا الكهرباء وأنظمة الإتصالات. وكان البرد والظلام يخيمان على المستشفيات. وكان هناك جرحى في كل مكان ، يكدسون عليهم الأغطية رغم جراحاتهم. ولم يكن ثمة مسكِّن للآلام أو مخدِّر للعمليات. وقد شاهدنا طفلة عمرها أحد عشر عاماً وقد بترت ساقها من عند الورك دون تخدير. كانت تهذي. وليس من مسكِّنات. وشاهدنا أُناساً يبكون من الألم واليأس.

[] جريمة أخرى من جرائم الحرب ، مرتبطة بالقصف ألا وهي التدمير المتعمد والمقصود للمدنيين. ففي البصرة ، شاهدنا عشر مناطق سكنية نالها القصف العنيف وهكذا هدم مئة وستة وعشرون ألف مسكن ، أو لم تعد صالحة للسكنى. ويجب التذكير بأن سلاح الجو الأميركي اعترف بأن سبعة بالمئة فقط من الثمانية والسبعين ألف طن من القنابل التي سقطت على العراق كانت قنابل « ذكية » موجهة باللازر وغيره ، أما ثلاثة وتسعون بالمئة فكانت مجرَّد قنابل

أُطلقت ، لتسقط حرةً ، حيث تقودها الجاذبية الأرضية ، والرياح ، والصِدَف. ولاقى ألوف المدنيين مصرعهم ، بشكل متعمد ومقصود في هذا القصف. حتى على الطرقات ، والطرق السريعة ، كانت العربات المقصوفة مــدنية ، وبعــد الحرب جـرت هجومـات على أشخاص لا حماية لهم. كما جرى تدمير فوج من الجنود العراقيين ، بشكل مقصود ، على بُعد ثلاثين ك.م. من البصرة ، بعيداً عن الحدود ، وبعد ثمانٍ وأربعين ساعة من وقف اطلاق النار. ومما لا لُبْسَ فيه أن أمراً صدر عن الجنرال شوارزكوف بنفسه لتدمير وحدة من وحدات الحرس الجمهوري. لقد كانوا إخوة ، وآباء وأصدقاء ، وكان كل واحد منهم كائناً حياً يساويك أو يساويني. لقد قتلوهم بعد وقف اطلاق النار ، خارقين جميع القوانين. إن هذا لا يصدَّق.

[لقد مارست الولايات المتحدة عملية إجرامية قصدت منها إفساد الأمم المتحدة. ولهذا أهمية كبرى، إن الأمم المتحدة ، كما يراها إنسان مثاليٌّ مثلي ، يمكن لها ويجب أن تكون قادرةً على وضع حد لكارثة الحرب. من أجل ذلك أنشئت الأمم المتحدة ، ولكنها قد غدت بوضوح أداةً للحرب ، نتيجة استخدام الإفساد والتهديد. وكيف يمكن أن نحترم مؤسسة تؤثر على إرادتها مبالغ مالية وتهديدات اقتصادية ؟ لقد جرى شراء صوت الاتحاد السوفياتي بسبعة مليارات دولار ، أمــا الصين فقد امتنعت لسببين : الأول لأن الولايات المتحدة قالت بأنها لن تعارض قرضاً كبيراً طلبته الصين من البنك الدولي. والثاني : رغم انه لم يكن لنا من عــلاقات دبلـومـاسيـة شكليـة مـع الصين بعـد أحـداث

« تيين آن مين » فاننا سننسى هذا الحادث إذا صوَّتُّمْ ونَعْتَبِرُهُ سلبياً. والأكثر إثارةً ومأساوية ربما كان الدعم بالمال والسلاح لحكومة تنهار إذ ذاك ، وهي الحكومة الأثيوبية ، إذ منحتها الولايات المتحدة مئة وثمانين مليون دولار في شكل أسلحة لتتمكن من قتل مزيد من الناس قبل سقوطها ، ولكي تشتري صوتها في مجلس الأمن. وماذا حصل لحكومة اليمن الوحيدة التي صوَّتت ضد التدخل الأميركي في مجلس الأمن ؟ لقد قال سفيرنا على الفور لسفير اليمن في الأمم المتحدة : « سيكون هذا أغلى صوت في حياة اليمن ». وعلى الفور انقطعت كل معونة اقتصادية لليمن وحجب عنها مئة وثمانون مليون دولار عقاباً لها على تصويتها ضد إرادة الولايات المتحدة . وإذا كان على الأمم المتحدة أن تستعيد مصداقيتها فإنها بحاجة الى إصلاحات جدية.

[إنَّ إحدى التوصيات التي نأمل أن تنادي بها اللجنة والمحكمة (لجنة التحقيق في جرائم الخليج ومحكمة مجرمي الحرب) هي إلغاء مجلس الأمن الذي يحول دون كل قرار ديمقراطي يتعلق بمصائرنا ، نظراً لحق النقض الذي يعطي في نهاية الأمر السلطة لدولة واحدة تغدو بذلك فوق الدول. وإذا كنتم تعتقدون بأنها ستكون دولة رحيمة رؤوفة فألقوا نظرة على المستعمرتين الخاضعتين للولايات المتحدة : الفيليبين وليبيريا ، وأسقِطوا ذلك على بلدان العالم الثالث في الأعوام القادمة. فليس ثمة بلدان في العالم يوجد فيها هذا القدر من العنف والأمراض والآلام والأمل المحدود بالحياة ، والأمية ، والفقر ، وموت الأطفال. إن الفيليبين هي البلد الثالث الأسوأ تغذية في العالم ، بينما جاراتها سنغافورة وتيوان وماليزيا واليابان ، كلها ذات دَخْلٍ

بالنسبة للفرد يتجاوز الفيليبين بخمس مرّات ، وعَشْرِ مرات ، وخمسين مرة. إن السيطرة على الآخرين شيء رهيب. إننا في الولايات المتحدة نجتهد في الحصول على إستقالة أية حكومة مسؤولة عن جرائم الحرب. فهذه ، حسب دستورنا ، جريمة كبرى. وعلى هذا ، فمن حق الناس أن يطلبوا حساباً مِنَّا. إنها مهمة الشعب الأميركي. وآمل أن نكون على مستوى مسؤولياتنا.

وباختصار فان الولايات المتحدة ، بوسائل إجرامية ، قد أقامت قواعد عسكرية دائمة في منطقة الخليج ، كما انها تخضع لرقابتها المصادر الطبيعية بما في ذلك مصادر البترول].

ومع ذلك فان الفرنسي كوتشنر ، وزير المساعدات الإنسانية ، قد سخر من الدعوى القائلة بالمجاعة أو الأوبئة التي تهدد العراق. هذه هي إنسانيتهم بنت ديمقراطيتهم. فَثَكِلَتِ الأُمُّ وعَقِمَتِ البِنتُ.

وقد أدلى رمزي كلارك ، بحديث الى صحيفة « سوليدير » البلجيكية التي أدَّت دوراً شريفاً ، مفيداً ، واعياً في حرب الخليج ، جاء فيه ما أهمه :

[أثناء القصف ، قطعنا ثلاثة آلاف كيلومتر في ثمانية أيام ، عَبْرَ العراق ، مع فريق تلفزيوني. واستطعنا ، دون أية رقابة ، أن نأخذ فلماً عن بغداد والبصرة والناصرية والنجف. ولكنَّ شبكات التلفزيون العمومية لم تجرؤ على عرض الفلم.

[أنظروا الآن ما جرى مؤخراً من احتفالات بالنصر في نيويورك. لقد احتفلت هذه الأعياد بمذبحة كبرى. كانت احتفاءً بالعسكرية ، وتحضيراً في الواقع للحرب القادمة. وبطبيعتي ، لا أعتقد بعمليات سبر آراء الجمهور فهي مصطنعة ولا تسمح بالذهاب الى أعماق الأشياء. ولكنْ عندما نقرأها مع ذلك نرى

أن أقل من خمسين بالمئة من الناس كانوا موافقين على هذه الاحتفالات بينما كان خمسة وأربعون بالمئة معارضين. إن معارضة الروح العسكرية في الولايات المتحدة هي أكبر مما يريدون أن يَقْبَلُوه. ولكنهم ، على الشاشة الصغيرة ، يعرضون احتفالاً ضخماً كما لو أن جميع الناس راضون. ويوم الاثنين الماضي ، جمعنا في برودواي عدة مئات من المتظاهرين ، ولكنهم لم يعيروا الأمر أي انتباه. وفي إحدى مظاهراتنا ضد الحرب جمعنا ثمانين ألف شخص. ولم يكن هناك بالمقابل إلا خمسون معارضاً للتظاهر. بيد أن التلفزيون عرض التظاهرتين بشكل لم يكن من الممكن معه معرفة أي منهما ضَمَّ العدد الأكبر.

[إن كوبا مهدَّدة تهديداً واضحاً من قبل الولايات المتحدة . وفي الأيام الأخيرة بدت سورية أكثر مطواعية في عيون الأميركيين الذين ينتظرون منها أن تكنس القضية الفلسطينية. ويغذي الأميركيون الدعاية ضد ليبيا. وفي هذا المساء كانت الـ (ب.ب.س) ما تزال تردد خطر القذافي وتطرفه ويده الخفية هنا وهناك. أما بالنسبة لكوريا الشمالية فسوف يلاقي الأميركيون حتماً بعض المشاكل لوجود كوريا على حدود الصين.

[وفي كاليفورنيا عشرة آلاف مؤسسة تعمل في صناعة التسلح بما يعادل عشرين بالمئة من الاقتصاد. إن الولايات المتحدة ليست دولة ديمقراطية ولكن المال هو الذي يحكم كل شيء فيها. والسياسيون يملأون جيوبهم إذ يدافعون عن بعض المصالح. خذوا مثلًا السناتور هيلمس ، من كارولينا الشمالية : إنه يستطيع أن يصرف خمسة عشر مليون دولار من أجل حملته الانتخابية. ويمثل هذا النظام يريدون أن يسيطروا على العالم.

[إننا غير قادرين على المحافظة على الأمن في مدننا نفسها ، كنيويورك مثلًا ، ومع ذلك نريد ان نحكم العالم.

[فيما يتعلق بموقفي ضد العدوان الأميركي في الشرق الأوسط : كل مواطن يجب عليه أن يسهر على احترام بلاده لحقوق الإنسان. إن الوطنية الحقة هي في أن تمنع بلادك من اقتراف عدوان ، لقد هاجمت الولايات المتحدة عام ١٩٨٣ جزيرة غرانادا. وجرى طرد جميع الصحفيين ولم يكن بوسع أحد أن يدخل. وفي المطار لقيت بالصدفة ضابطاً مُسِنّاً سألني بحرارة : « ماذا تفعل هنا يا أستاذ كلارك ؟ » وأجبته بايجاز : « وأنت ماذا تفعل هنا ؟ ». وبفضل هذه الصدفة استطعت أن أركب الطائرة وأن أشاهد على الميدان أفاعيل حكومة ريغان. لقد قتلت الولايات المتحدة مئتي شخص من بلدٍ عدد سكانه مئة ألف. وهذه نسبة أعلى ممّا جرى في الحرب العالمية الأولى. وقد وقع مستشفى للأمراض النفسية تحت القصف ، وقتل ستة عشر معوَّقاً. كما جرى توزيع تسعة آلاف وسام عسكري. وتعد غرانادا اليوم نسبة عطالة تبلغ سبعين بالمئة من عدد السكان.

[وفي نيسان ١٩٨٦ قصفنا طرابلس وبنغازي في ليبيا ، ومسكن ومكاتب وخيمة القذافي لتصفيته جسدياً. وحصلت العملية حوالي الساعة الثامنة عشرة والنصف والتاسعة عشرة ، بتوقيت أميركا على الساحل الشرقي ، وهي الساعة التي تجذب أكبر عدد من المستمعين. ولتلاحظوا ان هذه هي نفس الساعة التي بدأ فيها قصْفُ العراق. وسقط في ليبيا خمسة وخمسون قتيلًا ، وجرح مئتان وثمانون جراحاً بالغة. وفي الولايات المتحدة يبيح القانون القيام

بحرب متطورة جداً ضد مدينة نائمة. وأتذكر صبية قتلت ، كانت قد جاءت من لندن لزيارة أبيها الذي عمل طوال عشرين عاماً لشركة « اوكسيدنتال بيتروليوم ».

[وفي نيكاراغوا وضعت الولايات المتحدة السكان أمام هذا الخيار: إمّا التصويت لصالح حزب خلقناه بشكل مصطنع بعد أن حَقَنَّاه بثمانية وأربعين مليون دولار ، وإمّا تحمل مآسي الحرب المدنية ، والحصار ، ما دام السندينيون في الحكم.

[وفي السلفادور ندعم نظاماً عسكرياً. وفي باناما قتلت الولايات المتحدة ألوف الأشخاص في بلدٍ تعداده مليونان ونصف المليون نسمة. وسرقنا قطعة أرض من منطقة القناة ، وجعلناها مجالًا لتدريب طائراتنا المقنبلة « ستيلث ». كما قصفنا المواقع السكنية بالمدفعية الثقيلة. ودمَّرت الولايات المتحدة ، بشكل متعمد ومقصود ، جميع مكاتب الشرطة لأن « توريخوس » الذي كان وطنياً حقاً ، قد جعل من هذه المكاتب منطلقاً لنظام دفاع وطني، ووضعنا مكانه نظاماً موالياً لأميركا كما فعلنا سابقاً في غرانادا. وتعتبر ليبيريا وغرانادا ، وهما مستعمرتان أميركيتان سابقتان ، بين أفقر بلدان العالم.

[إنَّ حياة أطفال الشعوب الأخرى تجب المحافظة عليها ورعايتها كما تحافظ على حياة أبنائك وترعاهم. ولئن قال الجنرال باول بأنه لا يهتمُّ بمعرفة العدد الحقيقي للضحايا العراقيين ، فإن هذا خرق فاضح لمعاهدة جنيف التي تفرض الاهتمام بأن يسقط أقل عدد ممكن من الضحايا المدنيين ، الشيء الذي يفترض المعرفة بعدد هؤلاء الضحايا... إن التكنولوجيا لا يمكن لها أن تستخدم من أجل تدمير حقوق الآخرين. والحقوق الاقتصادية

هي ضمن هذه الحقوق. إن الحصار المضروب على العراق هو مواصلة للحرب بأساليب أخرى.

[لو حكمتم على اجتياح العراق للكويت من وجهة نظر الجنوب لرأيتم أنه عبارة عن حركة تحررية قومية في مواجهة الاستعمار، وحق تقرير المصير للبلد على مواده الأولية. وإذا حكمتم على هذا الاجتياح نفسه من وجهة نظر الشمال فسترون انه خطر لنفس هذه الاعتبارات. إني لا أدافع عن الاجتياح ولكنْ أنظر الى جوهر القضية.

[إن الأميركيين يفرضون الآن خمسين بالمئة من العائدات البترولية العراقية، وهذا يعادل أربعة أضعاف الاثني عشر والنصف بالمئة التي تمثل ما يمكن لرب منشأة بترولية أن يفرضه عادة من عائدات.

[لقد ذهبت إسرائيل لجلب ثلاثة عشر ألف أثيوبي يهودي من بلدٍ يعيشون فيه حسب قولهم هم أنفسهم، منذ ألفين وخمسمئة عام. ذهبت الطائرات العسكرية الأميركية لنقلهم فارغةً، وكان بإمكانها أن تحمل ألوف أطنان الأغذية الى الاثيوبيين، وكلُّ همِّها أن تختطف اليهود الأفارقة، وتوطنهم في الأراضي المحتلة التي سرقوها من الفلسطينيين منذ أربعة وعشرين عاماً. وبهذا أضافوهم الى الاثيوبيين المختطفين منذ ١٩٨٤، وما زالوا منذ ذلك التاريخ يتظاهرون كل يوم كي يحصلوا على حق العودة الى اثيوبيا.

[في مختلف القواعد الأميركية، يجري بناء عشرين غوّاصة « تريدنت ». وكل واحدة منها قادرة على إطلاق أربعة وعشرين صاروخاً نووياً، دفعة واحدة. وكل صاروخ يحمل سبع عشرة قنبلة

نوويه. وهو قادر على قطع واحد وعشرين ألف كيلومتر وإصابة هدفه بدقة. وكل قنبلة منها تمثل طاقة تدميرية تعادل طاقة عشر قنابل كتلك التي أطلقت على ناغازاكي. وباستطاعة غوّاصة واحدة، أنْ تصيب دفعةً واحدة، أربعمئة وثمانين مدينة، منزلة الموت - إذا كانت المدن كبيرة - بمليون شخص. وإذا جمعنا هذه الرؤوس النووية فإنها تبلغ ثمانية آلاف ومئة وستين رأساً نووياً، وهي قادرة على تدمير كل حياة على وجه البسيطة، وعلى مغادرتها مهجورة مثل مشهد قمري. إن الذي يملك السلطة العسكرية يملك السلطة السياسية. فإذا كنتم يابانيين أو أوروبيين، كان بوسعكم أن تتصوروا كم سيكون سعر النفط الذي تستوردونه عندما يسيطر عليه الأميركيون سيطرة تامة. وإذا لم يكن بوسعكم الدفع فإنَّ « تريدنت » سوف تتولى أمركم.

[إنَّ على الحكومات أن تكون مسؤولة عن جرائم الحرب التي تقترفها. ومن الواجب إصلاح هيئة الأمم المتحدة، وإلغاء مجلس الأمن. ولا يمكن أن يكون لبلد من الحقوق ما ليس للآخرين. ولا بد من إشاعة الديمقراطية في هيئة الأمم المتحدة. ولا بد من معاقبة التهديد والإبتزاز والفساد في الكونغرس. ولا بد من وضع حد لسباق التسلح واستخدام هذا المال لتغذية هؤلاء الذين يموتون جوعاً وكسوة هؤلاء العراة وإيواء مَنْ لا يجدون المأوى. ويجب إنشاء محكمه على غرار نورمبرغ دائمة، بإشراف الأمم المتحدة، لمحاكمة جرائم الحرب. الجرائم ضد الإنسانية وضد السلام. وعلينا أن نقف بحزم ضد واجب وحقّ التدخل. فإذا ما تركنا لجمل أن يضع أنفه في الخيمة. فكم من الزمن سيحتاج هذا الجمل كي يدخل الخيمة ؟ وإذا لم نتحرك منذ الآن لإعادة

مصداقية الأمم المتحدة ، فسوف تضيع الى الأبد. إن القوانين الدولية مغتصبة. وعلى جميع البلدان الفقيرة أن تحتشد في الأمم المتحدة للدفاع عن حقوقها.»].

فهل من معتبر. وهل من مذّكر ؟!

كُتِبَ في تونس بين كانون الثاني

(يناير)

وأيلول (سبتمبر) عام١٩٩١

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة